



دار آرثيريا للنشر والتوزيع  
Anythra for Publishing and Distribution

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب



Faculty of Arts

ردمك ISSN: 1858 - 89 48

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

تصدر عن كلية الآداب - جامعة أم درمان الأهلية بالشراكة مع  
دار آرثيريا للنشر والتوزيع - السودان

العدد التاسع



مجلة آداب جامعة أم درمان الأهلية علمية دولية محكمة - العدد التاسع ذو الحجة 1444هـ - يونيو 2023م

ردمك ISSN: 1858 - 89 48



دار آرثيريا للنشر والتوزيع  
Anythra for Publishing and Distribution

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان

مجلة آداب Adab Journal

الناشر: دار آرثيريا للنشر والتوزيع - السوق العربي

الخرطوم - السودان.

ردمك: 1858-8948

للتواصل: جوال : 00249 918109938 - 00249911232253

# جامعة أم درمان الأهلية

## مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

### الهيئة العلمية والإستشارية

- السودان \_ بروفيسور يوسف فضل حسن  
السودان \_ بروفيسور عمر حاج الزاكي  
السودان \_ بروفيسور صلاح الدين الفاضل أرسد  
السودان \_ بروفيسور علي صالح كرار  
السودان \_ بروفيسور كرار أحمد بشير العبادي  
السودان \_ بروفيسور جبارة عبدالله محمد الحسن  
الجزائر \_ بروفيسور أحمد بن بو جمعة  
الجزائر \_ بروفيسور محمد يزيد سالم  
العراق \_ بروفيسور محمد يسن الشكري  
السعودية \_ بروفيسور محمد زروق الحسن  
السودان \_ بروفيسور حاتم الصديق محمد أحمد  
السودان \_ دكتور الصديق عمر الصديق

### هيئة التحرير

#### المشرف العام

د. آدم أحمد آدم عجيل

#### رئيس هيئة التحرير

د. هالة أبا يزيد بسطان محمد

#### سكرتير التحرير

د. مصعب أبوبكر أحمد إسماعيل

#### أعضاء هيئة التحرير

د. الشفاء محمد نور عوض الله

#### التصميم والإخراج الفني

النيل الدولية

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة  
تحمل وجهة نظر كاتبها

### شروط وضوابط النشر بمجلة آداب

- ترحب مجلة (آداب) بمساهمات الكتاب والمفكرين العلمية المبتكرة وعرض الكتب مع تغطية المؤتمرات العلمية وتلخيص ما جاء فيها من توصيات وذلك بإحدى اللغات العالمية الحية - اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية وذلك وفق القواعد الآتية:
1. ألا يكون البحث قد نشر من قبل أو أجاز للنشر في مجلة أخرى.
  2. أن يكون عنوان البحث مختصراً ومعبراً عن موضوعه. ومكتوب باللغتين العربية والإنجليزية.
  3. ألا تقل عدد صفحات البحث عن العشرين صفحة ولا تزيد عن الثلاثين وجوباً.
  4. يتصدر البحث مستخلصان أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية، وفي حالة الأبحاث باللغة الفرنسية، يكون المستخلص بذات اللغة والآخر باللغة العربية، يشمل المستخلص أهمية الموضوع ومحاوره أو مباحثه ومنهجه وأهم النتائج والتوصيات إن وجدت (لا تزيد عدد كلمات المستخلص عن مائتين وخمسين كلمة ولا تقل عن المائتين كلمة بعد تضمين الكلمات المفتاحية أسفل المستخلص فيما لا يزيد عن خمس كلمات وجوباً).
  5. أن يتصدر البحث مقدمة منهجية موجزة تتضمن التعريف به، أهدافه، أهميته والمنهج المتبع في الكتابة وتقسيمه إلى محاور أو عناصر أو مقاصد.
  6. تكتب البحوث العربية بخط نوع Simplified Arabic مقاس 14 بمسافة 1.5 بين الأسطر، أما البحوث باللغة الإنجليزية والفرنسية فتكتب بخط نوع Times New Roman مقاس 12 ومسافة 1.5 بين الأسطر، على أن يكون عنوان البحث بخط مقاس 16 عريض والعناوين الجانبية بخط مقاس 14 عريض.
  7. تترك هوامش 3 سم يمين الصفحة في البحوث العربية ويسار الصفحة في البحوث الإنجليزية والفرنسية، ومسافة 2.5 سم لبقية الهوامش، على أن يكون حجم الورقة عادي (A4).

# جامعة أم درمان الأهلية

## مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

8. التزام الموضوعية وأن تكون وجهات النظر والحجج واضحة ومعززة بالتوثيق العلمي كما هو الحال في الدراسات الأكاديمية المنهجية العلمية.
9. يتم توثيق المعلومات حسب منهج فانكوفر؛ بالترقيم التسلسلي في المتن. وتكتب أسماء المصادر والمراجع في نهاية البحث تحت عنوان: (الهوامش) بتسلسل الترقيم الوارد في المتن.
10. أن يكون البحث خالياً من أخطاء الصياغة والأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية والمطبعية وجوباً.
11. تورد الملاحق في نهاية البحث، مع وجوب إرفاق الاستبانة المنهجية المعروفة للدراسات التي تتبع هذا الأسلوب.
12. يُرسل البحث لسكرتير تحرير المجلة من نسخة إلكترونية مثبت عليها في صفحة منفصلة اسم صاحب الورقة باللغتين العربية والإنجليزية، درجته العلمية، جهة العمل، بريده الإلكتروني، على البريد الإلكتروني للمجلة [adab.journal2021@gmail.com](mailto:adab.journal2021@gmail.com)
13. تخضع البحوث المستلمة لمراجعة أولية من هيئة التحرير للتأكد من أهليتها العلمية وللهيئة الحق في قبول أو رفض البحث المقدم في هذه المرحلة أو بعد التحكيم العلمي دون إبداء الأسباب.
14. يُعرض البحث بعد إجازته الأولية لمحكم أو أكثر، وفي سرية تامة للوقوف على صلاحيته علمياً ومنهجياً.
15. في حالة قبول البحث يُعاد لصاحبه لتنفيذ تعديلات المحكمين ومن ثم إرساله مرة أخرى عبر البريد الإلكتروني للمجلة في فترة لا تتجاوز الأسبوع. ( ويعتمد النشر بعد سداد الرسوم المقررة )
16. تشجع المجلة البحوث المشتركة من باحث أو أكثر على أن يكون ذلك مبرراً بطريقة البحث وتعدد التخصصات.
17. لا ترد البحوث التي لا تقبل للنشر.
18. تؤول حقوق النشر للمجلة بعد الموافقة على النشر النهائي.
19. المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

## المحتويات

- الخصائص الجغرافية ودورها في تحقيق الأمن الغذائي والتنمية المستدامة (حالة دراسة دولة السودان في الفترة من 2011 - 2022م) ..... 9 - 30  
د. سلوى حسن أحمد سليمان
- أدب الخيل في الشعر والنثر والدين ..... 31 - 47  
د. صدّيق عبد الرحمن إبراهيم موسى
- السياسة البريطانية والمصرية تجاه السودان (1882 - 1885م) ..... 48 - 62  
د. فتح الرحمن محمد الأمين العراقي
- النظم: نظرية نحو المعاني (دراسة بلاغية ونحوية ولغوية) ..... 63 - 78  
د. سامي حامد طيب الأسماء دفع الله
- حفريات في الطابع السحري للبيان - دراسة وصفية تحليلية ..... 79 - 96  
د. عز الدين علي مختار علي
- حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود في سورة البقرة (دراسة تحليلية) ..... 97 - 109  
د. عبد اللطيف أحمد يعقوب محمّد
- الفنية في شعر ثورة ديسمبر السودانية - (معد شيخون أنموذجا) دراسة نقدية تحليلية ..... 110 - 129  
د/هدى أحمد حسن محمد

## كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نبدأ ونستعين

القارئ الكريم:

بعد التحية والتقدير يسعدنا في دار آرثيريا للنشر والتوزيع - السودان أن نرف إلى حضراتكم أولى ثمار تجربة الدار في النشر العلمي الرصين والجاد وذلك بالشراكة مع كلية الآداب - جامعة أم درمان الأهلية السودان.

القارئ الكريم:

إن هذه الشراكة العلمية من الخطوات الجريئة والرائدة في مجال النشر العلمي ونحسبها ناجحة بكل المقاييس بإذن الله تعالى، ونأما أنها فاتحة خير لعدد من المشروعات النشرية القادمة للدار.

وختاماً تتقدم دار آرثيريا للنشر والتوزيع بخالص الشكر والتقدير لأسرة كلية الآداب بجامعة أم درمان الأهلية السودان ولأسرة التحرير واللجنة العلمية والاستشارية للمجلة، ويمتد شكرنا لكل العلماء والباحثين والأكاديميين المشاركين بأوراقهم العلمية في هذا العدد التاسع للمجلة، متمنين أن يتواصل هذا التعاون العلمي خدمة للبحث والباحثين.

## الناشر

جامعة أم درمان الأهلية

مجلة آداب

مجلة علمية دولية محكمة ربع سنوية

## كلمة العدد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين  
وبعد..

تواصل مجلة ” آداب ” العلمية المحكمة، الصادرة عن كلية الآداب جامعة أم درمان الأهلية  
الصدور، بإخراج العدد التاسع منها؛ خدمة للبحث العلمي الرصين، في تخصصات الآداب المختلفة، في  
إطار سعيها إلى تزكية الفكر المعرفي وترسيخ أهداف وغايات البحث المنهجي الجاد؛ لتضع بصمة فارقة  
في مجال النشر العلمي المحكم بحول الله.

كما تسعى المجلة لتلاقح الفكر العلمي المنهجي وتبادله بين المختصين الباحثين من جامعات شتى،  
داخل القطر وخارجه، ونسعد بل نشرف بكوننا أحد مواعين هذا الفكر العلمي المتقد دوماً بفضل الله  
وحوله.

نشير إلى أن مجلة آداب استطاعت - بفضل الله وتوفيقه - انجاز هذا العدد في ظروف قاهرة تمر بها البلاد  
تحت قصف الطائرات ودوي المدافع إثر الحرب اللعينة التي تعيشها الخرطوم هذه الأيام ؛ حرصاً منها  
لخدمة العلم ، وإيماناً برسالتها السامية . ولا يسعنا في هذه العجالة إلا أن نتضرع لله العلي القدير بأن  
يرفع عنا وعن بلادنا السوء ويجنبا الضراء وأن يحقن دماءنا ودماء المسلمين . آمين .

هذا ونأمل أن يتسع النطاق في الأعداد القادمة، وأن يكون ذا قيمة علمية تعضد رسالته المجلة وتفتح  
أمامها أفق الانتشار والتشاركية العلمية المثمرة مع الجامعات السودانية والإقليمية - إن شاء الله.  
وتجدد الإشارة إلى أننا نستقبل ما يقدمه الباحثين والقراء من ملاحظات، على البريد الإلكتروني،  
سعيًا لترقية المجلة وتحقيقاً لرسالتها العلمية المنشودة.

والله ولي التوفيق

رئيس تحرير المجلة

يونيو 2023م

# الخصائص الجغرافية ودورها في تحقيق الأمن الغذائي والتنمية

المستدامة (حالة دراسة دولة السودان في الفترة من 2011 - 2022م)

Geographic Properties and their Role in Achieving Food Security and Sustainable Development( A Case Study of Sudan 2022 - 2011 )

أستاذ مساعد

جامعة النيلين - كلية الآداب - قسم الجغرافيا

د. سلوى حسن أحمد سليمان

## المستخلص:

تناولت الدراسة مشكلات الإنتاج الزراعي في السودان وارتباطه بالتنمية المستدامة وزيادة الإنتاج وتحسين وضع الإنسان بمحاربة الفقر والبطالة والبعث عن المجاعات وتحقيق الأمن الغذائي. تمثلت أهمية الدراسة في الإسهام الفاعل المتوقع منها في الدراسات الاقتصادية، لا سيما في المجال الزراعي والأمن الغذائي؛ وذلك لأن الزراعة تلعب دوراً هاماً في تقليل المشكلات الاجتماعية، مثل الفقر والبطالة والجريمة بجانب تحقيقها لتنمية متوازنة بين الريف والحضر وتنمية وتنويع الدخل القومي خاصة في الدول النامية. ولتقصي الحقائق للوصول لنتائج الدراسة، اتبعت الدراسة المنهج الإقليمي لمعرفة العوامل الجغرافية المؤثرة في الإنتاج الزراعي ومعرفة العلاقة المتبادلة بينهما والظروف البيئية السائدة كما اتبعت المنهج الحرفي لمعرفة العلاقات البيئية وتحليلها هذا بجانب المنهج الوظيفي لمعرفة دور الوظائف الاقتصادية ودورها في تحقيق الأمن الاقتصادي وغيرها من المناهج التي تحقق الأهداف المرجوة. توصلت الدراسة الي أن النمو الإقتصادي الزراعي يعمل علي تحقيق الأمن الغذائي وأن هنالك عوامل جغرافية طبيعية وبشرية لعبت دوراً في تدني الانتاج الزراعي وانعدام الامن الغذائي بجانب دور السياسات الزراعية الحكومية وأثرها في عزوف المزارعين عن الزراعة ولجوءهم من الريف للمدن وانتشار الجريمة والبطالة وغيرها من المشكلات الاجتماعية التي ظهرت في المدن بسبب تدني الزراعة والهجرة إلى المدن الكبرى.

**Geographic Properties and their Role in Achieving Food Security  
and Sustainable Development**

(A Case Study of Sudan 2011 - 2022)

Salwa Hassan Ahmed Suleiman

Al-Neelain University – Faculty of Arts

Department of Geography

**Abstract**

The present study dealt with the problems of agricultural production in Sudan and its connection to sustainable development, increasing production and improving human conditions by fighting poverty and unemployment, avoiding famine and achieving food security. The significance of the study stems from the effective contribution it is expected to add in economic studies, especially in the field of agriculture and food security. This is because agriculture plays an important role in reducing social problems, such as poverty, unemployment and crime, in addition to achieving balanced development between rural and urban areas and the development and diversification of national income, especially in developing countries. In order to investigate the facts in order to obtain the results of the study, the study followed the regional approach to know the geographical factors affecting agricultural production and to know the interrelationship between them and the prevailing environmental conditions. It also followed the activity approach to know the environmental relations and their analysis, along with the functional approach to know the role of economic functions and their role in achieving economic security and other relevant approaches that achieve the desired goals. The study concluded that agricultural economic growth helps in achieving food security, and that there are natural and human geographical factors that have played a key role in the decline in agricultural production and food insecurity, in addition to the role of government agricultural policies and their impact on farmers' reluctance to farm and their movement from the countryside to cities, and the spread of crime, unemployment and other social problems that have appeared in the cities due to the decline in agriculture and migration to the big cities.

## المقدمة:

استطاع الإنسان أن يغير من خصائص بعض العوامل الجغرافية المؤثرة في الإنتاج الزراعي بشكل مباشر أو غير مباشر كالتربة التي استطاع نقلها من مكان لآخر وتغيير خصائصها الطبيعية والكيميائية يعتبر السودان من الدول الرائدة في تنوع القطاع الزراعي نجد الزراعة المطرية والمروية بالإضافة الى العديد من الأنشطة الزراعية الأخرى. تتمحور مشكلة البحث في انعدام الأمن الغذائي في السودان والتطور السريع في تدني الإنتاج الزراعي بشقيه الحيواني والنباتي ولبحث وتقصي الحقائق عن كل ذلك بغية الوصول لبعض الحلول المعينة لجهات الاختصاص لتفادي مشاكل الزراعة وإنعدام الامن الغذائي. تتمثل الأهداف في تلبية احتياجات الإنسان من الغذاء والكساء وتحسين نوعية البيئة والموارد الطبيعية التي يعتمد عليها الاقتصاد الزراعي، احترام البيئة وحماية الموارد الطبيعية، وتسييل الضوء علي واقع حال الزراعة في منطقة الدراسة وما يتخللها من معوقات ومصاعب تقف عائق في طريقها لما يسعى البحث للتقييم العلمي لهذا الواقع بهدف الوصول الي سبل تطويرها باعتماد الأساليب العلمية الحديثة في هذا الاتجاه. تحظى الدراسة بالأهمية القصوي في الدراسات الإقتصادية ولاسيما في المجال الزراعي والأمن الغذائي ذات الأهمية الحيوية للسكان والمجتمعات بتأمين الغذاء توجيه رؤى أصحاب القرار لاتخاذ الحلول المناسبة بشأن الإنتاج الزراعي والأمن الغذائي. هنالك العديد من الدراسات التي تطرقت للبحث في مشاكل الإنتاج الزراعي منها ×دراسة عبدالله بعنوان مساهمة إنتاج القمح في تحقيق الأمن الغذائي في السودان هدفت الي معرفة مدي مساهمة القمح في تحقيق الأمن الغذائي توصلت الي أن الكميات المنتجة ضعيفة مقارنة بالاستهلاك وإن حجم الفجوة الغذائية كبير.×تطرق الباحث محمد طه علي أثر مشاركة مشاريع الأمن الغذائي علي تمكين المرأة الريفية هدفت الدراسة تقييم عمل المرأه في النشاطات التنموية توصلت الدراسة الي وجود علاقة ارتباط معنوي بين المرأة والعمل بالمشاريع ادت إلى زيادة انتاجية المرأة.

## المفاهيم

### مصطلح وموقع السودان

استخدم مصطلح السودان في وقتنا الحاضر فانه يشير إلى بقعة من الأرض التي تحتل موقعا إستراتيجيا من شمال شرق القارة الأفريقية وتمتد بين خطي طول 22 – 39 شرق ودائرتي عرض -35 23 درجة شمال مغطيه مساحة تقدر ب 2,500 كم.

# الخصائص الجغرافية ودورها في تحقيق الأمن الغذائي والتنمية المستدامة (حالة دراسة دولة السودان في الفترة من 2011 - 2022م)



خريطة رقم (1) موقع السودان  
(المصدر: رسم الباحث)

## حدود الدراسة:

تتمثل حدود الدراسة الفترة من -2001 2022م

## أهمية الدراسة:

- 1/ الأهمية القصوى في الدراسات الاقتصادية لاسيما في المجال الزراعي والأمن الغذائي.
- 2/ الأهمية الحيوية للسكان والمجتمعات بتأمين الانتاج الزراعي والغذاء.
- 3/ التوصل لحلول مشاكل الإنتاج الزراعي وانعدام الأمن الغذائي لتوجيه رؤى أصحاب القرار لإتخاذ الحلول المناسبة بشأن الإنتاج الزراعي والأمن الغذائي.
- 4/ تلعب الزراعة دوراً كبيراً في محاربة الفقر.
- 5/ أهمية الزراعة في محاربة البطالة.
- 6/ تحقق الزراعة تنمية متوازنة بين الريف والحضر.

# الخصائص الجغرافية ودورها في تحقيق الأمن الغذائي والتنمية المستدامة (حالة دراسة دولة السودان في الفترة من 2011 - 2022م)

- 7/ تلعب الزراعة دوراً في تقليل المشاكل الإجتماعية الناتجة من الفقر والبطالة.
- 8/ الزراعة تعمل علي تنوع الدخل الإقتصادي.
- 9/ زيادة عائد تصدير الفائض المنتج للدول الخارجية.

## مشكلة الدراسة:

تتمحور مشكلة الدراسة في :  
انعدام الأمن الغذائي في السودان والتطور السريع في تدني الإنتاج الزراعي بشقيه الحيواني والنباتي  
ولبحث وتقصي الحقائق عن كل ذلك بغية الوصول لبعض الحلول المعينة لجهات الاختصاص لتفادي  
مشاكل الزراعة وانعدام الامن الغذائي.

## أهداف الدراسة:

- 1/ تلبية احتياجات الإنسان من الغذاء والكساء.
- 2/ تحسين نوعية البيئة والموارد الطبيعية التي يعتمد عليها الإقتصاد الزراعي.
- 3/ احترام البيئة وحماية الموارد الطبيعية.
- 4/ تسليط الضوء علي واقع حال الزراعة في منطقة الدراسة وما يتخللها من معوقات ومصاعب  
تقف عائق في طريقها لما يسعى البحث للتقييم العلمي لهذا الواقع بهدف الوصول الي سبل تطويرها  
باعتماد الأساليب العلمية الحديثة في هذا الإتجاه.

## الفرضيات:

- تحقق الدراسة الآتي:
- 1/ النمو في قطاع الزراعة يعمل علي تحقيق الأمن الغذائي.
  - 2/ تلعب التنمية الزراعية دوراً في إنهاء الفقر.
  - 3/ هنالك عوامل جغرافية طبيعية وبشرية مؤثرة في الإنتاج الزراعي في السودان.

## المناهج:

المنهج الإقليمي: The Regional Approach  
استخدم المنهج الأقليمي لمعرفة العوامل الجغرافية المختلفة المؤثرة في الإنتاج الزراعي والتكامل  
الاقتصادي والعلاقات المتبادلة بين تلك الخصائص الجغرافية.

المنهج الحرفي: The Activity Approach  
استخدم المنهج لدراسة حرفة الزراعة في منطقة الدراسة فقد دفعت العلاقات المتبادلة البيئة الطبيعية  
وتتبع هذه العلاقة وتحليلها ولممارستها لايد من توفر عدد من العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية  
لتحديد أنماط الزراعة المختلفة ودورها الامن الغذائي والإقتصاد الوطني .

المنهج الأصولي: The Principle Approach :  
استخدمت الدراسة المنهج الأصولي لدراسة العوامل الجغرافية المتعددة التي تؤثر في الإنتاج الزراعي .

## المنهج الوظيفي: The Functional Approach

استخدم المنهج لمعرفة التركيب الوظيفي للنشاط الزراعي الذي يختلف من منطقة لأخرى لبيان دور الوظائف الاقتصادية ( الإنتاج والتجارة والتسويق ) بجانب تأثيره علي الأمن الغذائي .  
المنهج الايكولوجي :

استخدم لدراسة العلاقات المتبادلة والتفاعلية بين الإنسان وبيئته الطبيعية تبعاً للمدرستين :  
الاحتمية التي تؤكد خضوع الانسان الكامل لظروف البيئة الطبيعية .  
الإمكانية: تركز علي الظروف البشرية وأشكال التكيف البشري مع البيئة الطبيعية وعوامل مراحل التقدم التقني وأنماط العمران من سكن وسكان وتنظيم إداري وسياسي للحياة وتحسين جودتها.  
المفاهيم:

## مفهوم كلمة زراعة

تعرف الزراعة بأنها علم وفن صناعة لإنتاج المحاصيل النباتية والحيوانية النافعة للإنسان. وتعرف الزراعة بأنها علم يعتبر حديثاً نسبياً نظراً لأنه كان ينظر الى الزراعة قديماً علي أنها مجرد عملية بذر البذور في التربة ثم تركها لتنمو تحت الظروف الطبيعية حتي يحين موعد حصادها فتحصد وتصنف الزراعة العالمية الي زراعة متقدمة وأخرى متخلفة أو تقليدية وثالثة نامية . (هيفاء، 2018)  
الزراعة في اللغة الإنجليزية ((Agriculture  
كلمة مشتقة من الكلمتين اليونانيتين Agri تعني الحقل وكلمة Culture وتعني الحراثة. إستخدم للتعبير عن الاهتمام بالأرض وزراعتها.

## مفهوم التنمية المستدامة:

التنمية هي عنصر أساسي للإستقرار والتطور الإنساني والاجتماعي وهي عملية تطور شامل أو جزئي مستمر وتتخذ أشكالاً مختلفة تهدف الى الرقي بالوضع الإنساني الي الرفاه والإستقرار والتطور بما يتوافق مع إمكانياته واحتياجاته الاقتصادية والاجتماعية والفكرية وتعتبر وسيلة الإنسان وغايته. (خالد، 2016م).

## دور الزراعة في التنمية:

تلعب الزراعة دوراً مهماً في اقتصاديات الدول وبخاصة الدول النامية منها، علي إعتبار أن زيادة الإنتاج لمواكبة متطلبات المجتمع وانتظام انسياب المحاصيل الزراعية أمر ضروري لتحقيق التنمية الاقتصادية وهذه الزيادة ضرورية لمواجهة الزيادة السكانية في الدول النامية (أحمد - 2011).

## السياسة السعرية الزراعية:

هي مجموعة من الإجراءات التي يتم من خلالها التأثير علي الأسعار، لذلك تعد هذه السياسات من أهم ما يمارسه المشروع من قرارات والتي يتحدد بناء عليها حجم الإيرادات مما يؤثر في ربحية المشروع.

# الخصائص الجغرافية ودورها في تحقيق الأمن الغذائي والتنمية المستدامة (حالة دراسة دولة السودان في الفترة من 2011 - 2022م)

(عبدالله - 2015).

تمثل السياسة السعرية أداة من أدوات الإقتصاد التي تمارس دوراً مهماً وحيوياً في التنمية الزراعية لاسيما في توزيع الموارد فهي شديدة التأثير في المتغيرات الطبيعية التي تؤثر سلباً وإيجاباً في مستوى دالة الإنتاج ومعدلات نموه فضلاً على إستقرار معدل الأسعار والأجور فهي تؤدي دوراً خطيراً في تحديد مستوى ورفاهية المجتمع الزراعي وتوجيه الإستهلاك باتجاه الأهداف المرجوة (مكي - 1991)

## أهداف التنمية :

- الحد من الفقر
- القضاء على الجوع
- توفير الصحة الجيدة
- توفير التعليم
- توفير المياه النظيفة
- توفير الطاقة الآمنة
- زيادة النمو الاقتصادي
- توفير البنية التحتية وتمكين الصناعة
- تقديم مناطق سكنية مناسبة
- تطوير عمليات الإنتاج غير الضارة بالبيئة
- حماية البيئة البحرية .

## أهمية التنمية المستدامة :

- 1/ تلبية احتياجات الجنس البشري دون الضرر بالموارد الطبيعية .
2. تمكين العمل بالمباديء الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.
3. تساعد علي توفير خطط مناسبة تساعد علي إستخدام موارد البيئة بعيدا عن إتلافها.
4. العناية بصحة الجنس البشري للاهتمام بالنظام الصحي .

## الأمن الغذائي :

هو توفير الغذاء لجميع أفراد المجتمع بالكمية والنوعية اللازمين للوفاء باحتياجاتهم بصورة مستمرة من أجل حياة صحية ونشطة. توفير الغذاء لأفراد دون أي نقص، يعتبر أن الأمن الغذائي قد تحقق فعلا عندما يكون الفرد لأيخشي الجوع أو أنه لا يتعرض له ويستخدم كمعيار لمنع حدوث نقص الغذاء مستقبلا أو إنتقاء أثره هنالك عدة عوامل تعتبر خطيرة منها الجفاف والحروب وغيرها من المشاكل

# الخصائص الجغرافية ودورها في تحقيق الأمن الغذائي والتنمية المستدامة (حالة دراسة دولة السودان في الفترة من 2011 - 2022م)

التي تقف عائقاً في وجه توفير الأمن الغذائي. (غلاب، 1996)

## الدراسات السابقة

دراسة أبوبكر محمد علي (2019) دور مشروعات الهيئة العربية للاستثمار والإنماء الزراعي في تحقيق الأمن الغذائي في السودان - حالة مشروع ام دوم للخضر والفاكهة ولاية الخرطوم في الفترة 1984-2003م.

هدفت الدراسة لتسليط الضوء علي دور الهيئة العربية للاستثمار والإنماء الزراعي في تحقيق الأمن الغذائي بالسودان - إستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لإجراء مقابلات والملاحظات وتحليل البيانات - توصل الي عدة نتائج أهمها فشل المشروع في تحقيق الأمن الغذائي وسد حاجة الولاية من الخضر والفاكهة حيث أوصي لتقويم وضع المشروع وإيجاد علاقة بين المشروع والدولة والبحث عن مصادر تمويل مستقرة .

دراسة إدريس عبدالله (2000) بعنوان مدي مساهمة القمح في تحقيق الأمن الغذائي في السودان - هدفت الدراسة الي مدي مساهمة القمح في تحقيق الأمن الغذائي ومساهمة كمية الإنتاج في التصدير -توصلت الدراسة الي أن الكميات المنتجة ضعيفة جدا مقارنة بالاستهلاك مما يعني أن حجم الفجوة كبير وذلك بسبب أن المناخ في السودان غير ملائم لإنتاج محصول القمح الا في بعض المناطق - توصل الي إستنباط أصناف جديدة أكثر تكيفا مع المناخ في السودان .

دراسة طه محمد طه ( 2020 ) اثر المشاركة في مشروع الامن الغذائي علي تمكين المرأة الريفية بمنطقة ود رمللي ولاية الخرطوم - هدفت الدراسة تقييم مشاركة المرأة الريفية في النشاطات التنموية بمشروع الامن الغذائي لربات الاسر بمنطقة ود رمللي . توصل الي - أدي المشروع الي زيادة إنتاجية المرأة الريفية ووجود فروقات إقتصادية وإجتماعية قبل وبعد الأشتراك في المشروع للمبحوثات ووجود علاقة إرتباط معنوي بين المبحوثات والعمل في المشروع - أوصت الدراسة بتقوية البرامج الإرشادية للمشروع وزيادة خدمات التمويل وإنشاء التعاونيات النسوية لتوفير مدخلات الإنتاج وزيادة ثقافة الأمن الغذائي وبرامج التدريب لتشجيع مشاركة المرأة إجتماعياً .

دراسة أحمد دفع الله ( 2015 ) بعنوان دور الإرشاد الزراعي في تحقيق الأمن في محصول البطاطس ب منطقة ود رمللي هدفت الدراسة إلي معرفة مدى دور الإرشاد الزراعي في تحقيق الأمن الغذائي من خلال معرفة البرامج الإرشادية والأنشطة التي تقدم لتحسين الإنتاج والتعرف علي المعوقات التي واجهت المزارعين - خرجت الدراسة بتوصيات تتمثل في توفير التمويل اللازم من مراكز الإرشاد أو البنوك وتوفير تقاوي مناسبة وجيدة وباسعار قليلة بجانب زيادة عدد المرشدين الزراعيين وفتح أسواق التسويق داخليا وخارجيا وإدخال طرق جديدة للري.

## الدراسة وأساليبها:

### العوامل الجغرافية المؤثرة علي الإنتاج الزراعي:

#### مقدمة:

لا زالت العلاقة المتبادلة بين الزراعة وعوامل البيئة الطبيعية تمثل أهم موضوعات الجغرافية الزراعية، رغم قدرة الإنسان الهائلة والمتطورة باستمرار لمقاومة عناصر البيئة الطبيعية والتحليل على قيودها إلا أن الطبيعة مازالت تحول دون ممارسة الإنسان لبعض الأنشطة الاقتصادية في أماكن معينة، بينما تساعد علي مزاوله البعض الآخر في أماكن أخرى علي سطح الأرض. بالرغم من نجاح الإنسان في نقل المحاصيل الزراعية من أماكن وجودها الأصلية حيث تتوفر أمثل الظروف لنموها إلا أن إنتاجها في المناطق المنقولة إليها أقل كما أنها أكثر تكلفة ومايصاحب ذلك من أثارا اقتصادية واجتماعية.

### العوامل الطبيعية المؤثرة علي الزراعة في السودان

#### التركيب الجيولوجي:

تنحصر أهمية دراسة التركيب الجيولوجي في مجال الجغرافيا الزراعية في دوره في تحديد خصائص التربة وهي تتركز علي الطبيعة الصخرية الأساسية التي تفتت منها، معني ذلك أن التركيب الجيولوجي يعد من العوامل التي تسهم بشكل مباشر في تحديد خصائص وأنماط الإستغلال الزراعي للأرض بالعناصر المعدنية التي تدخل في تركيب التربة من جهات متعددة خاصة أكاسيد الحديد والكالسيوم والبوتاسيوم والألمونيوم والمنجنيز تؤثر في أنماط الإستقلال الزراعي في تحديد نوع المحاصيل المزروعة وأيضا النباتات الطبيعية التي تؤثر بدورها في الثروة الحيوانية. أيضا دراسة التركيب الجيولوجي تساعد في التعرف علي مكامن المياه الجوفية وطبقاتها المختلفة كما تفيد في دراسة بناء السدود والخزانات المائية بحكم مسامية تكويناتها وقدرتها الكبيرة علي تحمل ضغط الماء.

#### السطح:

يؤثر سطح الأرض بشكل مباشر وغير مباشر في الإنتاج الزراعي ويتمثل المباشر في تحديد إنحدار السطح وسمك التربة وحالة الصرف فالإنحدار الشديد يؤدي الي إنجراف التربة بسهولة خاصة في وجود مياه جارية بينما يساعد إستواء السطح التام يصعب من عملية صرف المياه الزائدة عن حاجة المحصول ويحول من نجاح الزراعة خاصة في بعض المحاصيل كالقطن. أراضي السودان تتسم باستواء أشكال السطح وما له من التأثير الكبير في النشاط البشري وتطوره وخاصة ما يتعلق في التخطيط والتنمية الزراعية فقد تكون عائقا مساعدا أو تكون معرقلا لها (الزوكة، 2000).

## تأثير مظاهر السطح والتضاريس علي الإنتاج الزراعي في السودان :

معظم أراض السودان تتميز بالسهول الواسعة ملائمة للإنتاج الزراعي وأكثر سهولة لإنسياب المياه وتوصيل قنوات الري بجانب الأكثر سهولة لسكن وإستيعاب أعداد كبيرة من السكان خاصة في مناطق توفر المياه يتجلي ذلك إيجابيا للعمل بالزراعة والعمل في المشاريع الزراعية الكبرى خاصة وأن حرفة أهل السودان الأولي هي الزراعة.

لقد طوع الانسان الطبيعة حسب إمكانياته بزراعة السفوح الجبلية وإستغلالها كمراعي طبيعية:

## المناخ:

يعد المناخ من أهم العوامل الطبيعية التي تؤثر في الإنتاج الزراعي خاصة الحرارة التي تؤدي دوراً مؤثراً في النشاط الحيوي للتربة إضافة الي أن لكل نبات حدا أدني من درجة الحرارة لا يمكن النمو اذا انخفضت أو ارتفعت عنه.

في السنوات الأخير ساد تغير كامل في المناخ إرتفعت فيه درجات الحرارة أيضا في بعض المواسم قلت أو ندرت الأمطار وساد الجفاف لعب دوراً مؤثراً في الإنتاج الزراعي في السودان وقد أصبح المناخ وعناصره عوامل مؤثرة في قلت الإنتاج الزراعي.

للمناخ علاقة كبيرة في التنمية الزراعية فهو يتحكم من خلال عناصره المختلفة بدرجة واضحة بأنواع المحاصيل التي يمكن زراعتها في منطقة ما دون غيرها وفي إيجاد أنواع من نظم بيئية تنتج المنتجات الزراعية المتنوعة (الموسري،2011).

## المناخ وأثره في الإنتاج الزراعي في السودان:

يعتبر المناخ من أهم العوامل المؤثرة في الإنتاج الزراعي تبعا لدور عناصره المختلفة في الزراعة وتباين المناخات وتعددتها حسب موقع كل منطقة بالنسبة لدوائر العرض مع اختلاف وتنوع المحاصيل الزراعية تختلف المحاصيل الزراعية في الشمال تبعا لسيادة المناخ الصحراوي الحار الجاف حيث تندر الزراعة الا في سواحل النيل العظيم مع تدني الصورة النباتية الرعوية لسيادة الجفاف وقلة الموارد المائية في المناطق البعيدة عن النيل مع تبخرها وعمل نفاذية التربة المفككة متاثرة بعوامل التمدد في الصيف والإنكماش في الشتاء حيث من المعروف أنه لايمكن نموء أي نبات إذا إنخفضت درجة الحرارة لدرجة تجمد المياه في ساق النبات حيث تعمل علي تمزيق خلاياه وأن لكل نبات أقصى حد حرارة لأيمن أن يعيش اذا ما إرتفعت درجة عنه لزبول الأوراق وتساقطها.

في السودان يمكن دراسة دور المناخ ممثلا في عناصره المختلفة للملائمة الزراعة ونمو النبات مع مراعاة النوع والكم.

## الموارد المائية:

يعد الماء قوام الحياة وأساسها الرئيسي الذي لا يمكن الإستغناء عنه كما أنه عماد كل حضارة وتنمية وهو أثنى شيء خلقه الله تعالى بعد البشر إذا إستطاع الإنسان يسخره لخدمته (السيد، 2005)  
يعد الماء أهم العوامل الطبيعية التي تؤثر في النشاط الزراعي وتنقسم الي:  
×المياه السطحية  
×المياه الجوفية (مرجع سابق،2000)

## التربة:

يقصد بها الطبقة السطحية التي تكونت نتيجة تحلل الصخور والمواد العضوية، تؤدي التربة دوراً فعالاً ومهما في إختيار نوع المحصول الذي يمكن زراعته.  
في السودان تسود التربة الصحراوية في معظم المناطق حيث سيادة الجفاف مع عدم مقدرتها علي الأنتاج إلا أن توجد التربة الطينية في بعض المناطق أدت الي سيادة بعض المحاصيل خاصة القطن والبقول السوداني في المشاريع الكبيرة التي أصبحت معدومة النشاط الزراعة كمشروع الجزيرة والمشاريع المروية الأخرى كل ذلك أصبح سببا في تدني إنتاج المحاصيل الغذائية والإقتصادية وما له من أثر في إحداث الفجوة الزراعية والغذائية.  
التربة من المصادر المهمة في الإنتاج الزراعي ويعتمد الإنسان اعتماداً كبيراً في توفير غذائه في علي ما ينمو في التربة من نبات ومايعيش عليها من حيوانات تتنوع انواع الترب في السودان من الرملية الصحراوية والطينية الغرينية وتربة بطون الاودية كل ذلك ادي الي تنوع المحاصيل وفق عوامل تكوين التربة أو مادة الأصل وتكوينها المعدني كما تختلف درجة تطورها باختلاف درجة استجابة تلك الصحور لعوامل التجوية.

## دور التربة في تحقيق الأمن الزراعي في السودان:

خصوبة التربة تعتمد علي ماتحتويه من مركبات كيميائية مكونة العناصر الغذائية اللازمة لنمو النباتات أما إنتاجية التربة يقصد بها إنتاج التربة من المحاصيل المختلفة في السودان تتعدد أنواع المحاصيل كل حسب ملائمة التربة للإنتاجية ويختلف الإنتاج الزراعي وكميته وتنوعه علي قدرة التربة لإنتاج المحصول المعين ينطبق هذا علي تعدد المحاصيل الزراعية في السودان في مختلف مناطقه تبعاً لنوع وقدرة التربة السائدة التي أدت لتنوع المحاصيل الزراعية.

## العوامل البشرية المؤثرة في الزراعة في السودان:

### العوامل الاقتصادية:

#### الأيدي العاملة

يختلف توزيع السكان من جهة إلى أخرى، نتيجة لاختلاف العوامل الطبيعية والبشرية الكوثرية في توزيع السكان. ففي الجهات المكتظة بالسكان تسود الزراعة الكثيفة ويتعدد انتاج المحاصيل وخاصة المحاصيل التي تعتمد في انتاجها علي العمل اليدوي كما هو الحال بالنسبة لمحصولي الأرز والشاي التي يتركز انتاجها في الهند والصين.

في السودان تعدد المناخات وانعدام المياه ووقوع معظم اراضيها ضمن المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية كان له الاثر في انخفاض عدد السكان في بعض المناطق خاصة الشمالية وسيادة المناخ الحار الجاف ادي الي قلت النشاط الزراعي والانتاج عموما.

#### السوق:

يعتمد إنتاج بعض الأسواق علي توفر الأسواق إتساعها ومدى توفر القدرة الشرائية لتغطية إنتاج المحاصيل خاصة وأن معظم الانتاج الزراعي في السودان يعتمد علي الأمطار الموسمية في فصل الخريف يؤكد ذلك كمية الإنتاج في الزمان والمكان المحدد مع تدني شبكة الطرق والمواصلات والخطوط الناقلة للمحاصيل سريعة التلف وأثر ذلك وتدني عائد الإنتاج الموازي بالمقابل إنخفاض عائد المزارع والدولة في إستجلاب المحاصيل الأخرى التي يحتاجها الإنسان في غذائه فقد أحدث ذلك فجوة غذائية وزراعية.

#### الأسواق في السودان:

تلعب المساحة الفاصلة بين الأراضي الزراعية ومساكن المزارعين وأسواق تصريف الإنتاج الزراعي ومدى توفر عامل النقل دوراً كبيراً في تحديد هيكل التركيب المحصولي بأن أصبح الإنتاج علي المحصول الزراعي الأكبر منافسة وإشباراً في التصريف ويعطي عائداً.

#### رأس المال:

تتباين حاجة الأراضي الزراعية لرؤوس الأموال تبعاً لمدي خصوبتها وطبيعتها وموقعها ونوع المحاصيل المراد زراعتها الأراضي الضعيفة الإنتاج تحتاج الي شق الترع والمصارف وتوفير الأسمدة وبالتالي الي أموال كبيرة لرفع قدرتها الإنتاجية.

ومع التغيرات الكبيرة في الظروف الجغرافية تدنت معظم إنتاجية الأراضي الزراعية وهنا يظهر جليا

# الخصائص الجغرافية ودورها في تحقيق الأمن الغذائي والتنمية المستدامة (حالة دراسة دولة السودان في الفترة من 2011 - 2022م)

دور الحكومات في حل مشاكل المزارعين والزراعة وأثر ذلك علي الإنتاج والأمن الغذائي.

## السياسة الزراعية:

هي مجموعة من الإجراءات الاقتصادية والفنية والإدارية التي تحدد توزيع المواد المتاحة وتأثر فيها فعلا عن تهيأت المناخ المناسب الذي يمكن المنتجين والمستثمرين من توجيه الموارد باتجاه الاستهلاك الأمثل (خلف، 2012).

## السياسات الحكومية:

تقوم الحكومات برسم سياسة عامة تهدف الي إستصلاح الأراضي البور وإستزراعها وتنظيم عمليات الري وإنشأ المشاريع التي تخدم هذه العمليات وتكوين الجمعيات التعاونية الزراعية لتقديم الخدمات للمزارعين.

في السودان قلما تفكير بعض الحكومات في عمل التعاونيات لمساعدة المزارع لتقديم خدمات معينات الزراعة واحتياجات المزارع الأساسية مع أثر ذلك في عدم التشجيع في زيادة الإنتاج لتحسين الأوضاع الأساسية للمواطنين وسد النقص الغذائي بجانب تدني الإقتصاد العام. هناك أنواع من السياسات الليبرالية والأشترائية إنتهجتها بعض الحكومات علي. السودان كان لها الأثر في تدني الإنتاج وإنعدام الأمن الغذائي من تلك السياسات:

## السياسات الليبرالية:

هي مذهب فكري يركز علي الحرية الفردية ويرى وجوب احترام إستقلال الأفراد وهو يعتبر أن سعي افراد المجتمع نحو مصلحتهم الخاصة يحقق تلقائيا المصلحة العامة للمجتمع (صالح- 2019).

- أسباب فشل بعض السياسات الليبرالية الحكومية في السودان
- 1/ الفارق الكبير بين ضخامة مشاريع الري والصرف من الناحية التقنية ومستوي وعي المزارعين
  - 2/ عزوف الشباب عن العمل في القطاع الزراعي وإتجاههم الى أعمال أخرى.
  - 3/ عدم كفاية الأستثمارات العامة والنقص في الجهاز التقني.
  - 4/ ضيق اليد العاملة وحدوث بطالة مقنعة.
  - 5/ انخفاض إنتاجية الملكية الزراعية (الطابلس، 1998م)

## السياسات الزراعية الإشتراكية:

ارتكزت الإصلاحات الزراعية العربية وخاصة ذات الأسس الاشتراكية علي الآتي:

- 1/ تحديد سقف الملكية الزراعية.
- 2/ استيلاء الدولة على الفائض عن السقف الذاتي ثم تحديد التعويض للمالك.
- 3/ توزيع الأراضي المستولي عليها على الفلاحين اللذين لا يملكون أرضاً.
- 4/ وضع نظام تعاوني ينخرط فيه الفلاحون ويؤدي الى إدخال المكننة والأساليب العلمية والفنية

الحديثة. (فاضل، 1999م).

## أسباب فشل الإصلاحات الزراعية الإشتراكية:

السياسات الزراعية ذات الطابع الإشتراكي في بعض دول العالم خاصة الدول العربية تعود الى سوء الإدارة التي تعاني منها المزارعين وتشرف عليها الدولة كذلك الجمعيات التعاونية. تزايد تدخل الدولة وبشكل متزايد إنتاجاً وتسويقاً وتوزيعاً وتصنيفاً واستهلاكاً وتصديراً. وجود قطاعيين إحدهما حديث يعتمد علي الإستثمارات الرأسمالية الكثيفة التقانة والآخر قطاع تقليدي يهدف الى الإنتاج للاكتفاء الذاتي. تقليل سير التعاونيات الزراعية. فشل رفع الإنتاجية الزراعية. فشل تحسين أوضاع الفلاحين وتضييق الهوة في التعاون الإقتصادي والإجتماعي. ضآلة المستفيدين. الهيمنة المستمرة لكبار الملاك الزراعيين وقدرتهم على مراوغة الأجهزة الإدارية واستغلال نفوذهم فيها. (رحمة، 2000م).

## السياسة السعرية الزراعية في السودان :

لعبت السياسات السعرية الزراعية دوراً في تدني الإنتاج الإقتصادي القومي باتباع السياسات الليبرالية والإشتراكية وزيادة عائدات ضرائب وجبايات المنتجات الزراعية كقرارات لبعض الحكام الذين تعاقبوا علي حكم السودان أدت الى عزوف المزارعين وتنحيهم عن العمل في الزراعة وتدني الإنتاج يعتبر صورة من صور التدخل الحكومي السلبي في المجال الزراعي وهجر البعض الآخر أوطانهم في الريف أماكن الزراعة ولجؤهم الى المدن بالعمل في المهن الهامشية مع زيادة أماكن السكن العشوائي وانشار الجريمة كل ذلك بسبب التدخلات الجائرة من الحكومة في مهنة المزارع الرئيسية بل في النشاط الأول لإنسان السودان. أصبحت العديد من الدول تتضرر من تلك السياسات لارتفاع تكلفة الإنتاج لدي المزارعين مقارنة بالسعر المحدد من قبل الدولة.

## دور الزراعة في التنمية في السودان

عملت مشاريع التنمية التي توقفت الآن وعلي رأسها مشروع الجزيرة لإنتاج القطن للتصدير وتشغيل المصانع القائمة في تلك الفترة وأيضا زراعة الخضر والفاكهة لتوفيرها لأهالي المنطقة بجانب دورها في تنمية الدولة ورفع الناتج القومي وتحسين معاش الناس خاصة المزارعين وشجعت علي الزراعة الإقتصادية أيضا عملت علي إنشاء الجمعيات التعاونية للمزارعين، لكن بعد توقفها أصبح الإنتاج للاكتفاء الذاتي للمزارعين وساد الفقر في أوساط العديد منهم وقل الناتج القومي خاصة وأن السودان

# الخصائص الجغرافية ودورها في تحقيق الأمن الغذائي والتنمية المستدامة (حالة دراسة دولة السودان في الفترة من 2011 - 2022م)

ذو مساحات واسعة وأراضي صالحة للزراعة.

## التقدم التقني:

يعمل علي رفع قدرة الأرض الإنتاجية بتحسين خواصها الطبيعية والكيميائية وإستنباط فصائل من المحاصيل ذات قدرة عالية علي مقاومة الآفات الزراعية والأمراض. عدم تشجيع وتحفي المنتج من قبل الحكومات في السودان بهدف زيادة الإنتاج أدى الى تدني الإنتاج الزراعي والغذائي.

## الري:

تعتمد الإنتاجية للأراضي الزراعية في أي إقليم علي مدي توفر الإحتياجات المائية لها فهذا يتطلب إنشا شبكة من الترع ذات كفاءة عالية تكفل وصول مياه الري في الوقت المناسب وبالكميات الكافية لكل المحاصيل الزراعية. (مرجع سابق، 2000).

## الري في السودان:

تعتبر الأمطار فصلية في كل أنحاء السودان التي تسقط في فصل الخريف ويعتبر فصل الزراعة الموازنة هي التحكم في العرض متي يتوقف الطلب من حيث الزمن والكمية والنوع وتفادي إغراق الأسواق بمنتجات معينة أو إختفائها تفادي التقلبات الكبيرة في المنتجات الزراعية كمرحلة تسويقية تبرز فيها أهمية التخزين ووسائله في تحقيق التوازن بين العرض والطلب. (مرجع سابق، 2000) بسبب هطول الأمطار تعتمد معظم مناطق السودان علي الري بالأمطار في ذلك الفصل بجانب إعتداد المناطق الساحلية في شمال وشرق النيل علي الري سطحي عن طريق الطلمبات من النيل طول أيام السنة لتوفير الخضر والفواكة ولأعلاف للحيوان وتعتبر من محاصيل الإكتفاء لتوفير تلك المنتجات للسكان المحليين.

## الموازنة بين العرض والطلب:

هي التحكم في العرض حيث يتوقف مع الطلب من حيث الزمن والكمية والنوع وتفادي إغراق الأسواق بمنتجات معينة أو إختفائها تفادي التقلبات الكبيرة في اسعار المنتجات الزراعية كمرحلة تسويقية تبرز فيها أهمية التخزين ووسائله في تحقيق التوازن بين العرض والطلب.

# الخصائص الجغرافية ودورها في تحقيق الأمن الغذائي والتنمية المستدامة (حالة دراسة دولة السودان في الفترة من 2011 - 2022م)

## أمثلة للإنتاج الزراعي في سنوات الدراسة :

جدول رقم (1): يبين تطور إنتاج السلع الغذائية النباتية الرئيسية في السودان في الفترة من 2011م- 2019

التغيير %	متوسط الفترة 2017-2019م	التغيير %	متوسط الفترة 2014-2017	متوسط الفترة 2011-2014	المجموعة الغذائية
29.5	51919	9.8	43998.4	40085.5	جملة الحبوب
24.1	24077	6.1	20582.9	19394.5	القمح والدقيق
114.1	11247	39.2	7311.5	5252.9	البطاطس
1.2	1276	5.8	1367.2	1291.7	جملة البقوليات
102.4	53832	47.5	39231.9	26602.1	جملة الخضر
65.6	30735	47.4	27352.9	18554.7	جملة الفاكهة
34	2667	30.7	2609.8	1996.6	جملة السكر
58.5	1683	55.2	1647.5	1061.5	الزيوت النباتية
130.7	7874	91.9	6552.6	3413	اجمالي اللحوم
107	4890	64.4	3883.4	2362	اللحوم الحمراء
183.9	2984	154.5	2669.2	1051	اللحوم البيضاء
101.3	3879	71.2	3300.6	1927.4	الاسماك
103	26122	53.6	19770	12869	الالبان ومنتجاتها
74	1507	41.3	1223.7	866	البيض

المصدر: (المنظمة العربية للتنمية الزراعية 2019)

الجدول رقم (1) يبين تطور إنتاج بعض المحاصيل الغذائية الأساسية يتضح تذبذب وعدم استقرار مستوي التغيير وتدني إنتاج بعض المحاصيل الغذائية في بعض السنوات يؤكد الأنتباه الي العمل علي تحسين وزيادة إنتاج بعض السلع الأساسية المحققة للأمن الغذائي.

جدول رقم (2) يبين الفجوة الغذائية في إنتاج بعض السلع الغذائية الأساسية (الإنتاج الحيواني) في الدول السودان في الفترة 2019م - 2022

المجموعة الغذائية	الإنتاج الف طن	الاستهلاك الف طن	الفجوة الف طن	قيمة الفجوة مليون دولار	الاكتفاء الذاتي
اللحوم الحمراء	5568	6499	931	1843	86%
اللحوم البيضاء	3399	5545	2145	3326	61%
الاسماك	4332	4024	308	182	108%
الالبان ومنتجاتها	32185	43440	11255	17734	74%
البيض	2065	1919	146	90	108%

المصدر: (المنظمة العربية للتنمية الزراعية 2022)

شكل رقم (1)

الفجوة الغذائية في إنتاج بعض السلع الغذائية الأساسية (الأنتاج الحيواني) في الدول السودان في الفترة 2019م - 2022  
المصدر: عمل الباحث

من الجدول رقم (2) والشكل رقم (1) يمكن القول بأن أوضاع الفجوة الغذائية والإكتفاء الذاتي من السلع الغذائية الأساسية خاصة إنتاج الجبوب تمثل النسبة الأكبر للإنتاج خاصة أن معظم سكان السودان يعتمدون عليها كغذاء رئيسي بجانب تدنب في إنتاج البقوليات في تلك الفترة مع النقص التام في إنتاج الخضر ربما ترجع الي بعض العوامل الجغرافية المساعدة علي النمو.

جدول رقم (3)

تطور إنتاج السلع الغذائية النباتية والحيوانية للفترة من 2019- 2022م

# الخصائص الجغرافية ودورها في تحقيق الأمن الغذائي والتنمية المستدامة

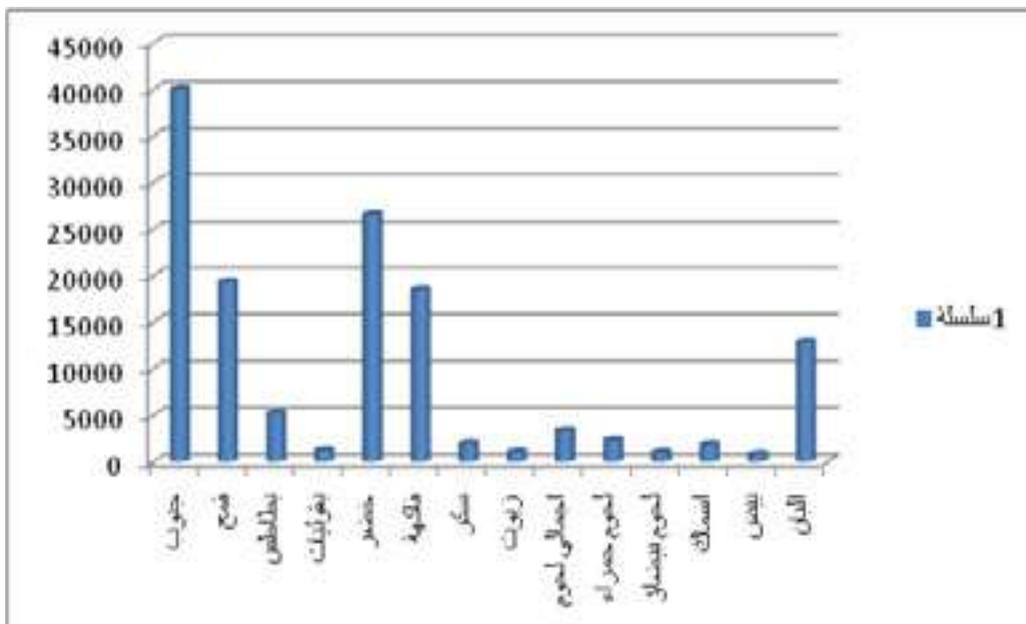
(حالة دراسة دولة السودان في الفترة من 2011 - 2022م)

المجموعة الغذائية	2011م	-2013م	التغير %	2020م	التغير %
جملة الحبوب	40085.51	43998.3	9.8	51919	29.5
القمح والدقيق	19394.5	20582.9	6.1	24077	24.1
البطاطس	5252.9	7311.5	39.2	11247	114.1
جملة البقوليات	1291.7	1367.2	5.8	1276	1.2
جملة الخضر	26602.1	39231.9	47.5	53832	102.4
جملة الفاكهة	18554.7	27352.9	47.4	30735	65.6
جملة السكر (مكرر)	1996.6	2609.8	30.7	2676	34
الزيوت النباتية	1061.5	1647.5	55.2	1683	58.5
اجمالي اللحوم	3413	6552.6	91.9	7874	130.7
اللحوم الحمراء	2362	3883.4	64.6	4890	107
اللحوم البيضاء	1051	2669.2	154.5	2984	183.9
الاسماك	1927.4	3300.6	71.2	3879	101.3
الالبان ومنتجاتها	12896	19770	53.6	26122	103
البيض	866	1223.7	41.3	1507	74

المصدر: (سليمان، 2022)

شكل رقم (2) تطور إنتاج السلع الغذائية النباتية والحيوانية للفترة من 2019-2022م  
المصدر عمل الباحث

الجدول رقم (3) والشكل رقم (2) يبين إنتاج بعض السلع الغذائية والزراعية والإنتاج الحيواني في الفترة من 2019م الي 2022م يتضح الزيادة الواضحة في إنتاج الحبوب الغذائية خاصة وأن معظم سكان السودان يعتمدون في غذائهم علي الحبوب الشيء الذي يوفر الأمن في إنتاج تلك السلع ربما لعبت عناصر المناخ في عدم توفر الظروف الملائمة للإنتاج بجانب الوفرة في إنتاج الخضر والفاكهة حيث عمل التغيير في عناصر المناخ علي توفرها مع تدني إنتاج اللحوم الحمراء والبيض والأسماك وغيرها ربما يرجع ذلك الي مشاكل المراعي وعدم إهتمام الدولة بالثروة الحيوانية وتصديرها خارج البلاد.



جدول رقم (4): متوسط نصيب الفرد من المياه في الفترة من (2011-2022م) متر مكعب في السنة

2022م	2016	2013	2012	2011	2011
220	397	600	676	725	1500

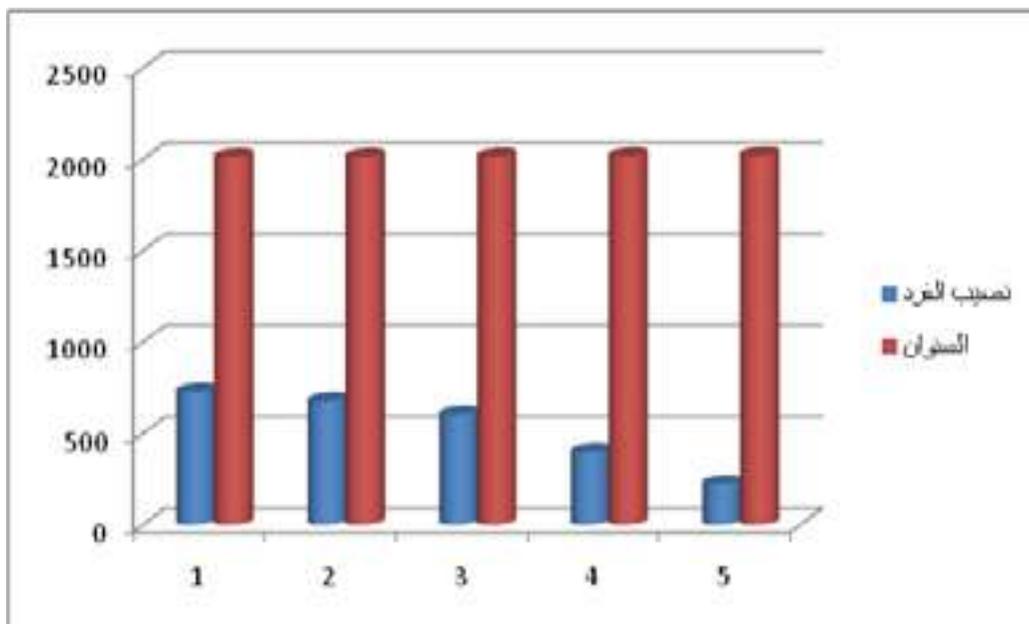
المصدر: المنظمة العربية للتنمية الزراعية تقرير أوضاع الامن الغذائي

شكل رقم (3)

المصدر: عمل الباحث

جدول رقم (4) والشكل رقم (3) يبين نسب نصيب الفرد من المياه الصالحة للحياة بين أن نسب نصيب الفرد للمياه في تدني وبمرور سنوات الدراسة وفق العينة العشوائية المختارة وهذا يثبت خطورت إنعدام الأمن الغذائي المتمثل في تدني نسب نصيب الفرد من المياه في السودان وما يجب عمله في السنوات القادمة باعتباره المؤشر الذي تقاس عليه ندرة المياه حسب البنك العالمي والمقدرها ب 1000 متر مكعب للفرد في السنة كحد ادني.

جدول رقم (5) الأرقام القياسية لبعض مجموعات السلع الغذائية في خلال الفترة 2011-2022م



الالياف	اللحوم	السكر	الزيوت النباتية	الحبوب	السنوات
212.4	112.1	243	169.1	166.8	2011
219.6	128.3	181	225.4	239.1	2014
141.6	117.6	257.3	150	173.7	2016
271	130	258	165	156	2018
201	147	255	240	122	+2022

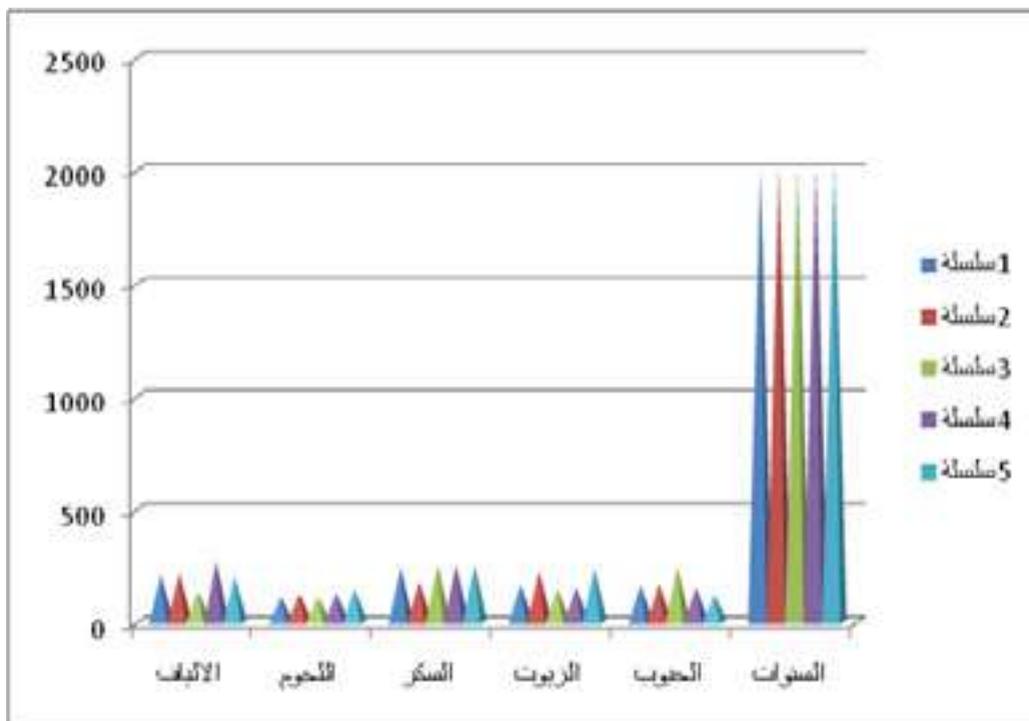
المصدر: المنظمة العربية للتنمية الزراعية 2022م تقرير أوضاع الامن الغذائي

شكل رقم (4): الأرقام القياسية لبعض مجموعات السلع الغذائية في خلال الفترة من 2011-2022م  
المصدر: عمل الباحث

في الجدول رقم (5) والشكل رقم (4) بين تدني انتاجية السلع الغذائية وتباينها في الزيادة والنقصان في السنون يؤكد تدني الإنتاج الزراعي وزيادة الفجوة الغذائية وإنعدام الأمن الغذائي بجانب النمو السكاني المضطرد في السنوات الأخيرة.

**الخاتمة:**

هذه الدراسة محاولة لمعرفة الأسباب الكامنة وراء فشل الأمن الغذائي الزراعي متمثلا في نسب إنتاج



المنتجات الزراعية الغذائية منها ولتحقيق الأمن الزراعي والغذائي بالسودان لعبت الظروف الجغرافية الطبيعية والبشرية خاصة الدور الواضح في تطبيق السياسات الإشتراكية والليبرالية ودورها في الإنتاج الزراعي وتأمين غذاء الإنسان في السودان.

هذا وقد أوضحت الدراسة أن العمل علي النمو في الإقتصاد الزراعي يعمل علي تحقيق الأمن الغذائي، والذي بدوره يقضي علي الفقر والمجاعات خاصة في البلدان النامية ويحارب الهجرة من الريف للمدن والتي اسهمت في تفشي الجريمة والبطالة والمشاكل الإجتماعية، وأن الظروف الجغرافية الطبيعية والبشرية كان لها الأثر الأكبر في تدني الإنتاج الزراعي وإنعدام الأمن الغذائي وتفشي الفقر والمجاعة في السودان.

ومن أهم التوصيات التي خرجت بها الدراسة:

تحديث القطاع الزراعي وتحسين سبل زيادة الانتاج وتحسين مستويات الانتاجية في الزراعات القائمة في القطاعين المروي والمطري.

إجراء الاصلاحات العلمية المدروسة.

تشجيع المزارعين وتحسين شروط القرض الزراعي وتسهيل سبل السداد.

تحسين سبل زيادة الموارد المائية.

# الخصائص الجغرافية ودورها في تحقيق الأمن الغذائي والتنمية المستدامة (حالة دراسة دولة السودان في الفترة من 2011 - 2022م)

- تحسين ادارة القطاع الزراعي.
- استقرار السياسات الزراعية.
- زيادة الكوادر المختصة في الانتاج الزراعي .
- تحسين البنية التحتية ووسائل النقل التخزين والتسويق.
- عدم تراجع الاهداف الاقتصادية ولا تكن علي حساب الاهداف السياسية.
- دعم سياسات البحث العلمي والارشاد الزراعي.
- فتح مجالات الاستثمار الزراعي.
- 12/ تشجيع الانتاج الحيواني مع الاتجاه الافقي والرأسي لزيادة الانتاج.
- ملائمة السياسات السعرية بين المنتج والمستهلك لتشجيع الاستثمار والاستهلاك وانشأ برامج لمواجهة التحديات والمستجدات الناجمة عن التغيرات المناخية وارتفاع الاسعار.
- تشجيع الاستثمار في قطاع الصناعات الزراعية لتأمين الغذاء.

## المصادر والمراجع

- 1/ هيفاء غازي عمران (2018م) الزراعة في الوطن العربي - دار الكتب للنشر.
- 2/ عبدالوهاب محمد خالد (2016) الجغرافيا الزراعية في الوطن العربي - دار العلم للطباعة والنشر.
- 3/ عبدالسميع علي احمد (2011) انتاج التقاوي في السودان - دار الكتب للطباعة والنشر - الموصل.
- 4/ خبابة عبدالله (2015) آثار العولمة الاقتصادية - مؤسسة الثقافة الجامعية.
- 5/ محمد خميس الزوكة (2000) الجغرافيا الزراعية - الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية.
- 6/ علي صاحب الموسري (2011) علم المناخ الطبيعي - دار ضياء للطباعة
- 7/ محمد احمد السيد (2005) تنمية الموارد المائية في الوطن العربي - دار الكتب العلمية والنشر
- 8/ هاشم محمد صالح (2019م) الجغرافية الزراعية - دار النشر العلمي.
- 9/ عبدالقادر الطابلسي (1998) فشل انتاج الغذاء في الوطن العربي.
- 10/ عباس فاضل السعدي (1999م) التحليل الجغرافي للاكتفاء الذاتي - دار السلام للنشر بيروت .
- 11/ يعقوب سليمان (2002م) مفهوم الفجوة الغذائية في الدول النامية - دار الفكر العربي

## التقارير:

- 1/ أحمد فؤاد (1986) التنمية الزراعية في اقطار الوطن العربي - مجلة المستقبل العربي العدد 1987.
- 2/ المنظمة العربية للتنمية الزراعية، تقرير أوضاع الامن الغذائي (2011م).
- 3/ المنظمة العربية للتنمية الزراعية، تقرير أوضاع الامن الغذائي (2022م).

# أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

## The Horses Literature in Poetry and Religion

أستاذ مشارك - قسم الآداب والنقد والبلاغة  
- كلية اللغة العربية - جامعة القرآن الكريم  
والعلوم الإسلامية

د. صديق عبدالرحمن إبراهيم موسى

### مستخلص:

توصل البحث إلى أن للخيل دور كبير في الحياة الإنسانية وإعمار الأرض والتنمية البشرية، وتشبيد الحضارات وتأسيس الدول والممالك والخلافات، وإرساء قواعد الإسلام، الخيل رمز الحرية والعدالة وشعار الكرامة والسلام، وروح الأمن والاستقرار، وكانت الخيل محل الاهتمام الرسمي والشعبي، فهي رمز الفروسية والتفاخر، وأفخر وأسرع مركوب من الحيوانات، فقد استخدمت في البريد ونقل الخلفاء والنجدة، والإشارة، وجدت الخيل اهتماما من الشعراء والخطباء والكتاب فجعلوها في معاني البيان من المجازات والاستعارات والتشبيهات والكنيات، لموضوعات: المدح والفخر والوصف والفروسية والحماسة والأطلال والنسيب، وجاءت الخيل في القرآن للتباهي والخيلاء والفتنة، وإعداد العدة للغزو والحرب، والركوب والزينة، وبيان أحكام الشرع، وبينت السنة معاني فضل الخيل ورفعته نسلها، وإعدادها للسباق والفروسية والغزو والفخر والخيلاء، وبسط الأمن وإظهار الدين، والمدح وتنفيذ المهام السريعة، والرهان والقوة والتدريب، ويهدف البحث إلى بيان أدب الخيل وإظهار مكانتها لدى الأمم السابقة، قبل ظهور الآليات والتقنيات الحديثة، لقد كانت الخيل عوناً وصوناً لتراث البشرية، وراعياً لموجهات الإسلام، وعزاً للإنسانية، لما رسمته من بصمات في إرساء العدل والتقدم، وتأتي أهمية البحث للاهتمام المتزايد الذي حظيت به الخيل لدى الأدباء في الجاهلية والإسلام، وما عبر عنه الدين الحنيف من تلك الصور والأمجاد، وما تداولته الشعوب من فوائد اجتماعية وإصلاحية للخيل، وكان منهج البحث الاستقراء والوصف والتحليل.

كلمات مفتاحية: الخيل، الشعر، النثر، القرآن، السنة، الإعمار.

The Horses literature in Poetry and religion  
Dr.Siddig Abdul Rahman Ibrahim Musa

## Abstract:

The research resulted that the horses literature were, a fort of armament, Islam and peace motto, freedom logo, origin of glories, Islamic law protector, humanitarian mortals building, earth reconstruction, and ambassador, the horses literature had been multitude in the poetry and prose as: pride, praise, lisle, the horses had been using in the rhetoric components as eloquence, metaphoric, simile, rebus, horses was the word civilization transmission, ideology, tradition, customs, chivalry, race, telegram, mail, quick deliver, peace, stability, boast, riding, fighting, The research aimed to show the horses status among the previous nations, as fort of armament, the horses value terminated by the modern technology, it was humanitarian builder, Islamic motto, religious victory, generation heritage upkeep, the importance of research droved from its large interest among the writers and poets, in both Arabic and Islamic literature, the research method was extrapolation, description and analytical.

Keywords; horses, poetry, prose, religion, reconstruction

للخيل أمجاد تليدة في تاريخ الأمم وسير سلطانها فهي الدرع الحصين في تأليف كيائها وحفظ بيضتها وعماد خلافتها، فالخيل رمز الحرية وركن العدالة وشعار الكرامة والسلام والإسلام، وروح الأمن والاستقرار، كانت الخيل تمثل القاعدة الكبرى لمنظومة الدفاع والتسلح لدي الشعوب، وهي بمثابة آليات الحرب ومتحركاته في عصرنا الحديث، وقد قامت الخيول بدور عظيم في الماضي وخاصة إعمار الأرض وتنظيم الحياة البشرية وتنميتها، من تأمين البلدان وحماية الثغور، وإقامة الشرائع وصون النظم والقوانين، وتوطيد الحكم ورفع المظالم وحماية الخلافة، فالخيل قوة عظمي لجميع الأمم والمجتمعات البشرية، فهي عتاد الحرب وأصل شوكته، فالحياة تستقيم بتوظيف الخيل للحفاظ على العدالة، ورعاية أهداف الإنسانية لصيانة المقاصد الشرعية في الإسلام، وكانت الخيل محل الاهتمام ومحط أنظار الناس على المستويين الرسمي والشعبي، فهي رمز الفروسية وشعار الاستغلال، ولقد جرى استخدام الخيل عبر العصور في السلم والحرب ونهضة الدول وكانت أسرع مركوب من الحيوانات وما زالت، فقد استخدمت في البريد ونقل الخلفاء والنجدة، والاتصال السريع، ورد العدو وإرهابه، وفي الظلم والسلب والنهب، ولمكانة الخيل الاجتماعية فقد وجدت اهتماما من الشعراء والخطباء والكتاب فجعلوها في معاني البيان من المجازات والاستعارات والتشبيهات، ومما هو معلوم من البلاغة العربية إن دخول الكلام في مظاهر البيان دلالة على أهميته عند الأدباء لإعطائه الأبعاد المعنوية التي تناسب مقامه، وحفلت الأسفار الأدبية عبر التاريخ بالمعاني البلاغية التي جاء بها الشعر العربي وخاصة في العصر الجاهلي وتقاليد، وفي صدر الإسلام ازداد الاهتمام بالخيل مع بروز الحاجة الملحة لحفظ أركان الدولة لإقامة العدل وصون الدين الإسلامي، وحفلت السير والتفاسير والسنن بتلك المعاني، وما زالت الحاجة ماسة لاستخدام الخيل في رعاية المصالح الإنسانية في كثير من الأمصار وخاصة الأرياف، وفي هذا البحث نقف عند تلك المعاني والمدلولات التاريخية في الشعر والدين، ولقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ونتائج وتوصيات وزيلته بالمصادر والمراجع، وجاء المبحث الأول بعنوان: الخيل في الشعر والنثر، والمبحث الثاني بعنوان الخيل في القرآن والسنة.

### أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان آداب الخيل وإظهار مكانتها لدى الشعوب والأمم السابقة، قبل ظهور الآليات والتقنيات الحديثة التي قللت من شأنها بعد ريادتها للشعوب، لقد كانت الخيل عوننا وصونا لتراث البشرية، وراعيا لموجهاة الإسلام، ومؤيدا للدين وعزا للإنسانية، لما رسمته من بصمات في التقدم.

### أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث للاهتمام المتزايد الذي حظيت به الخيل لدي الشعراء والخطباء في الجاهلية والإسلام، وما أولته السير من رعاية للفروسية في الآداب العربية والإسلامية، وما عبر عنه الدين الحنيف من تلك الصور والأمجاد العريقة، وما تداولته الشعوب من فوائد اجتماعية وإصلاحية للخيل في الحياة الإنسانية.

## منهج البحث:

الاستقراء والوصف والتحليل.

## الخيال في الشعر والخيال في الشعر والنثر

الخيال وأدائها من المعاني التي جذبت الشعراء وحملتهم لإدخال مدلولاته في الشعر العربي بأساليبه المتعددة وخاصة البيان وفنونه من المجازات والاستعارات والتشبيهات، وكانت العرب إذا اعجبت بالشيء صورته تصويراً بيانياً لإعطائه بعداً معنوياً، ومن هذا المنطلق كانت الخيل مجالاً تطبيقياً لتلك المعاني في قوافي الشعر، وأول ما نقف عنده في هذا الجانب العصر الجاهلي الذي مجد الخيل وجعلها من قيمه وتقاليده وأعرافه ومعتقداته، وبعد هذا العصر من أكثر العصور اهتماماً بالخيال، وأول من نقف معه من الشعراء امرؤ القيس أحد أصحاب المعلقات وأول من قال الشعر العربي.

قال امرؤ القيس

مُطَلَّبُ بِنَوَاصِي الخَيْلِ، مَعْصُوبُ	الخَيْرُ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا غَرَبَتْ
إِنَّ البَلَاءَ عَلَى الأَشْقِيْنَ مَصْبُوبُ	صَبَّتْ عَلَيْهِ وَمَا تَنْصَبُ مِنْ أُمِّ
جَرْدَاءُ مَعْرُوقَةَ اللَّحِيَيْنِ سُرْحُوبُ	قَدْ أَشْهَدُ الغَارَةَ الشَّعْوَاءَ تَحْمَلُنِي
وَلَحْمَهَا زَيْمٌ، وَالبَطْنُ مَقْبُوبُ	وَقَافُهَا ضَرْمٌ، وَجَرِيهَا جَذْمٌ
وَالعَيْنُ قَادِحَةٌ، وَالمَتْنُ مَلْحُوبُ	وَاليَدُ سَابِحَةٌ، وَالرَّجُلُ ضَارِحَةٌ
وَالْقَصْبُ مُضْطَمَّرٌ، وَاللُّونُ غَرِيبُ	المَاءُ مِنْهُمْ، وَالشَّدُّ مُنْحَدِرٌ

(1)

هذا الشاعر قدم وصفاً دقيقاً للخيال وظف فيه علم المعاني ليوصل للقارئ أخباراً حية عن بيئة الخيل في زمانه وبين مكانة تلك الدابة، وكانت معاني مفردات الأبيات: نواصي الشعر في مقدمة الرأس، والغارة الشعواء المعركة الحامية، ومعروقة قليلة اللحم، وسرحوب طويل، ولاحت بانة، تجيب من جيب الفر، وجذم سريع، زيم مكتنز، مبوب ضامر، وضارحة نافحة، قادحة غائرة، ملحوب أملس، والقصب، مضطمر وضاغر، غريب حالك السواد، وموضوع الخيل في الأبيات الفخر والحماسة. جاء في أدب الكاتب في وصف الخيل: إذا أبيض أعلى رأسه فهو «أصقع»، وإذا أبيض قفاه فهو «أقنف»، وإذا أبيض رأسه كله فهو «أغشى» و «أرخم»، فإن شابته ناصيته فهو «أسعف»، فإذا أبيضت كلها فهو «أصبغ» فإن كان بأذنيه نقش بياض فهو «أذراً»، و «العرة» ما فوق الدرهم، و «القرحة» قدر الدرهم فما دون؛ فإن سالت عرته ودقت ولم تجاوز العينين فهي «العصفور»؛ فإن دقت وسالت وجلت الخيشوم ولم تبلغ الجحفلة فهي «شمراخ»؛ فإن ملأت الجبهة ولم تبلغ العينين فهي «الشادخة»؛ فإن أخذت جميع وجهه غير أنه ينظر في سواد فهي «المبرقة»؛ فإن رجعت عرته في أحد شقي وجهه إلى أحد الخدين فهو «لطيم» فإن فشت حتى تأخذ العينين فتبيض أشفارهما فهو «مغرب»؛ فإن

١ ( ) ديوان امرؤ القيس ص ٨١

## أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى كحلاء فهو أخيف؛ فإن كان بجحفلته العليا بياض فهو أرثم (2) وهذه المعاني تبين الاهتمام بالخيـل  
قال طرفة بن العبد

ولقد شهدت الخيل وهي مُغيرة  
رَبَلاتٍ جُودٍ، تحتَ قَدِّ بارِعٍ  
رَبَلاتٍ خَيْلٍ، ما تَزَالُ مُغيرةً  
ولقد طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرِّبَلاتِ  
حُلُوَ الشَّمائِلِ، خَيْرَةَ الهَلَكاتِ  
يُقِطِرْنَ من عَلَقٍ على الثَّناتِ

(3)

تحدث الشاعر طرفة وهو أحد أصحاب معلقات العرب، يقول شهدت الخيل وهي مغيرة أي مهاجمة وقد شارك في الحرب والطعان وهنا تكمن أهمية الخيل في حوض المعارك والدفاع عن النفس وقد كانت أسرع دابة في الحروب في ذلك الزمان، ومعنى المغيرة المهاجمة، الربلات مفردا الربلة وهي أصل الفخذ أو اللحم العظيم، الشمائل مفردا الشميلة وهي الصفة والمزية، الهلكات مفردا الهلكة وهي الجيفة، العلق الدم، الثنات مفردا الثنة وهي شعرات تكون في آخر رجل الفرس، وموضوع الخيل الوصف والفروسية.

قال لبيد بن ربيعة العامري

فبتنا حيثُ أمسينا قريبا  
نقلنا سببهم صرماً فصراً  
غضبنا للذي لاقت نفيل  
جلبنا الخيل سائلة عجاجاً  
على جسداء تنبأنا الكليب  
إلى صرم كما نقل التصيب  
وخير الطالب الترة الغضوب  
من الضمرين يخبطها الضريب

(4)

هذا الشاعر المخضرم الذي أدرك الجاهلية والإسلام يفخر في شعره في أيام الجاهلية ويصف كيف أنهم غضبوا وثأروا لما لاقتهم نفيل، ولذلك قال جلبنا الخيل سائلة والخيـل لا تسأل ولكن يسأل الفرسان الراكبون عليها فهو ذكر الخيل وأراد الفرسان وهذا مجاز مرسل علاقته المحلية ذكر المحل وأراد من عليه، وجسداء اسم موضع، الكليب الكلاب، الترة الثأر، الضمران جبلان يقعان في بلاد عليا قيس يقال لأحدهما الضمر وللثاني الضائن، الضريب البرد.

قال عمرو بن كلثوم

تركنا الخيل عاكفة عليه  
نقود الخيل دامية كلاها  
علينا البيض واليلب اليماني  
مقلدة أعنتها صفونا  
إلى الأعداء لاحقة بطونا  
وأسياف يقمن وينحنينا

(5)

(٢) ابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، ت محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ص ١٣١

(٣) ديوان طرفة بن العبد ص ١٣

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ٢٨

(٥) ديوان عمرو بن كلثوم

## أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

يقول الشاعر عمرو بن كلثوم وهو من أصحاب المعلقات مفتخرا تركنا الخيل مقيمة على العدو وهي مجهزة لحوض الحرب تحسبا لأي طارئ، وهي صفونا والصفان من الخيل هو الذي يرفع إحدى رجليه، ويضع طرف سنبله على الأرض، انتظارا لساعة الصفر للانطلاق، وهذه كناية عن الدرجة القصوى للاستعداد، ثم يقول في البيت الثاني نقود الخيل دامية أي مضرجة بالدماء فإن كانت الدماء من الخيل فهذه كناية عن شدة الثبات والشجاعة وقوة الخيل أمام العدو، وإن كانت مضرجة بدماء الأعداء فهذه كناية أيضا عن الفتك بالعدو وإحراق الأذى الجسيم به، فالخيل ذكرت بأوصافها مقابل الشجاعة والثبات وإحراق الأذى بالعدو وكل ذلك جاء في موضوع الفخر وبأسلوب البيان المتمثل في الكناية. جاء في أمثال العرب: لقد كان للمفضل الضبي علاقة بالخلفاء، وكان المنصور ندبه ليعلم ابنه المهدي، فكان يراه أثناء تردده إلى القصر، وكان يجالسه ويسأله عن أشياء تتصل باللغة والشعر. قال له مرة: صف لي الجواد من الخيل، فقال: يا أمير المؤمنين إذا كان الفرس طويل ثلاث قصير ثلاث رحب ثلاث صافي ثلاث، فذلك الجواد الذي لا يجارى، ثم فسر هذا القول المبهم بقوله: أما الثلاث الطوال فالأذنان والهادي والفخذ وأما القصار فالظهر والعسيب والساق، وأما الرحاب فاللبان والمنخر والجبهة، والصفافية: الأديم والعين والحافر. (6) لقد ولعت العرب بالخيل ووصفها حتى أخذت مكانا عند مجالس الخلفاء لمكانتها.

يقول خدّاش بن زهير

وَنَرَكِبُ خَيْلًا لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا      وَنَعْصِي الرِّمَاحَ بِالضِّيَاطِرَةِ الحُمْرِ  
وَأَنَا لَمَنْ قَوْمٍ كَرَامٍ أَعَزَّةٌ،      إِذَا لَحِقَتْ خَيْلٌ بِفُرْسَانِهَا تَجْرِي  
وَنَحْنُ إِذَا مَا الخَيْلُ أَدْرَكَ رَكْضَهَا      لَيْسْنَا لَهَا جِلْدَ الأَسَاوِدِ وَالنَّمْرِ

(7)

الشاعر يفخر في معرض الفروسية عندما قال في البيت الأول نركب خيلا لا هوادهة بينها، لا مجاملة ولا تنازل ولا شفقة بالعدو، وقال في البيت الثاني: وأنا لمن قوم كرام أعزة، إذا لحقت خيل بفرسانها تجري، ثم يفخر بكرمهم وحلمهم في معاملة العدو من أسرى الحرب إذا ظفروا بهم وهم يفرون على ظهور خيلهم، ويقول في البيت الأخير ونحن إذا ما الخيل أدرك ركضها ليسنا لها جلد الأسود والنمر، أي إذا بلغ بهم الأمر أن ركبوا على ظهور الخيل لأي طارئ إنما يركبونها وهم أسود كاسرة أو نمر ضارية، إذا هي أوردتهم ساحة القتال، وكان الخيل تحمل الأسود والنمر على ظهورها لتقاتل بها أعدائها، فأصبحت هذه من أجمل صور البيان لأنها كناية عن نسبة وهي نسبة الشجاعة للخيل وفرسانها وكأنها من سلالة الأسود والنمر لوجودها في معيتها.

٦ ( ) المفضل الضبي، أمثال العرب، ت إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،

١٩٨١م، ص ٨٥

٧ ( ) أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، ت علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر

والتوزيع، ص ٤١٦

## أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

قال عنتره بن شداد

هلا سألت الخيل يابنة مالك  
لا تسأليني واسألني بي صحبتي  
ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني  
فتركت سيدهم لأول طعنة  
والخيل تقتحم الخبار عوابسا  
من بين شيطمة وأجرد شيطم

(8)

عنتره بن شداد من فرسان الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات المشهورة يقول معتزاً بشجاعته: هلا سألت الخيل يابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي، يقول لها أسألني عن شجاعتني ولكن بأسلوب مجازي بسؤال الخيل وهي لا تجيب وإنما المطلوب أن تسأل عن عنتره أقرانه من الفرسان الذين رافقوه في الحرب لبيّنوا لها شجاعته وثباته، فذكر المحل وأراد من فيه وهذا مجاز مرسل علاقته المحلية، ثم ذكر الشاعر الخيل في البيت الأخير لقوله: والخيل تقتحم الخبار عوابسا من بين شيطمة وأجرد شيطم، والخيل لا توجه نفسها بل توجه، وهي لا تقتحم بل يقحمها الفرسان الذين على ظهرها، وفي ذكر الخيل في هذا البيت استعارة عندما شبه الشاعر الخيل بالإنسان الذي يقرر خوض الحرب ويفعل ولكنه حذف المشبه به الفرسان ورمز له بلازمة من لوازمه وهي العبوس وتقطيب الوجه الذي لا يتأتى إلا من إنسان مدرك لنتائج الحرب ومخاطرها من الأهوال المحيطة، والاستعارة هنا مكنية.

قال النمر بن تولب

تأبّد من أطلال عمرة مأسل،  
فبرقة أزمام فجنباً متالع  
لنا فرس من صالح الخيل نبتغي  
رأت أمنا كيصاً يلفف وطبه  
وقالت: أبوكم هكذا كان يفعل  
وقد أفقرت منها شراءً فيدبّل  
فوادى سليل فالندي فأجبل  
عليها عطاءً الله، والله ينحل  
إلى الأنس البادين، وهو مزمّل

(9)

قال النمر بن تولب: لنا فرس من صالح الخيل نبتغي عليها عطاءً الله، والله ينحل، ذكر الشاعر عطاء الله وهذا باب كبير لا ينقل، واستخدم الشاعر كلمة الخيل في المعنى الحقيقي الذي سخره الله تعالى لعباده من خلق الخيل وتذليلها للعباد، فكانت الخيل أعظم مفيد للناس في تسيير أمور عيشهم، وقبل ذكر الخيل ذكر الشاعر المحبوبة وأماكن سكنها وهذا من ذكر الأطلال، ثم ذكر بعد ذكر الخيل أهمهم في البيتين الأخيرين، ولا يذكر الشاعر أمه إلا من باب الغيرة، وأن تكون هذه الغيرة مشفوعة بذكر الخيل والديار فهذا من أكبر ما يثير حفيظة الفرسان من الشعراء ليكون شعرهم توثيقاً لأهم مراحل حياتهم. جاء في كتاب الأمثال لابن سلام: الخيل تجري على مساويها، وهو يعني إنها، وإن كانت بها أوصاب وعيوب، فإن كرمها مع هذا يحملها على الجري، فكذلك الحر من الرجال، يحمي حريمه على ما فيه من علة. وقال أبو زكريا الفراء: من أمثالهم في الحمية عند ذكر الحرم قولهم: كل شيء منه ما النساء

٨ ( ) الشيباني، شرح المعلقات التسع، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ص ٢٤٠

٩ ( ) أنه زيد محمد القرشي، جمهرة أشعار العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢٦

## أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

وذكرهن، ونعنى ذلك: إن الحر يحتمل كل شيء، حتى يأتي ذكر حرمة فيمتعض حينئذ، ولا يحتمله ومعنى المهه اليسير، ويقول: كل شيء جليل هين عند هذا، وفي هذا لغتان: مهه مهاه، وقال أبو عبيد: وهذه الهاء إذا اتصلت بكلام لم تصر تاء، إنما تكون التاء في الاتصال إذا أرادوا بالمهاة البقرة وقال عمران: فليس لعيشنا هذا مهاه وليس دارنا هاتا بدار. (10)

قال دريد بن الصمة

قَتَالَ أَمْرِيءَ أَسَىٰ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ  
فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ، حَتَّى تَنَفَّسَتْ  
تَنَادُوا، فَقَالُوا: أَرَدْتَ الْخَيْلَ فَارِسًا  
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَىٰ مَكَانَهُ  
وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَدِّدٍ  
وَحَتَّى عَلَانِي حَالِكَ اللَّوْنِ أَسْوَدِي  
فَقُلْتُ: أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرَّدِّي؟  
فَمَا كَانَ وَقَافًا، وَلَا طَائِشَ الْيَدِ

(11)

ذكر دريد الخيل بقوله: فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ، حَتَّى تَنَفَّسَتْ، والشاعر لا يريد مطاعنة الخيل في ذاتها وإنما يريد مطاعنة الفرسان الذين تحمّلهم الخيل، وهذا مجاز مرسل ذكر فيه الشاعر الخيل وظهورها وهي مكان جلوس الفرسان، وأراد الخيالة وهم الراكوبون على ظهورها من المقاتلين، وهذا المجاز علاقته المكانية، ومطاعنة الخيل من الفروسية التي يتدرب عليها المقاتلون وهي موضوع ذكر الخيل، وتكرر نفس المجاز في البيت الثالث عندما قال الشاعر: تَنَادُوا، فَقَالُوا: أَرَدْتَ الْخَيْلَ فَارِسًا، والخيل لا تردى وإنما يردي ويقتل من يحمل السلاح على ظهر الخيل وهو المكان الخاص بجلوس الفرسان، وعليه فإن المجاز مرسل علاقته المكانية، وموضوعه الفروسية والدفاع عن النفس ورد كيد الأعداء.

قال الجاحظ في كتابه الرسائل: المطاعنة على أبواب الخنادق وفي المضايق، لأصحاب الخيل والفرسان وعلى الخيل والفرسان تدور الجيوش، لهم الكر والفر، والفارس هو الذي يطوي الجيش طي السجل، ويفرقهم تفريق الشعر، وليس يكون الكمين إلا منهم ولا الطليعة ولا الساقة، وهم أصحاب الأيام المذكورة والحروب الكبار والفتوح العظام، ولا تكون المقانِب والكتائب إلا منهم، ومنهم من يحمل البنود والرايات، والطبول والتجافيف والأجراس، وهم أصحاب الصهيل والقتام، وزجر الخيل، وقعقة الريح. (12)

قال أبو الطيب المتنبي

الخيل والليل والبيداء تعرفني  
وأسمعت كلماتي من به صمم  
سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا  
بأنني خير من تسعى به قدم

(13)

ذكر أبو الطيب الخيل بقوله: الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم، وقال هذا

١٠ ( ) القاسم بن سلام البغدادي، الأمثال، ت دكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، ص ١٠٩.

١١ ( ) جمهرة أشعار العرب (مرجع سابق) ص ٤٧٠

١٢ ( ) عمرو بن بحر بن الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، ٥٣/١

١٣ ( ) شاكر بن مغامس بن محفوظ، نفع الأزهار في منتخبات الأشعار، ت اليازجي، المطبعة الأدبية، بيروت، ط الثالثة، ١٨٨٦م، ص ٧٥

## أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

البيت في معرض الفخر والفروسية، وعندما ذكر الخيل قال إنها تعرفه إنما أراد بذلك معرفة الفرسان له لشجاعته وكثرة منازلته لهم، ولقد أطلق الخيل وهي التي تحمل الفرسان على ظهورها وأراد المحمول وهم الفرسان، ويكون بذلك قد ذكر المكان وأراد من فيه على سبيل المجاز المرسل والعلاقة المكانية. قال حاتم الطائي

وإني لمزجاء المطى على الوجى  
فلا تسأليني واسألني: أي فارس  
وإني لوهاب قطوعى وناقتي  
وإني كأشلاء اللجام، ولن ترى  
أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها  
وما أنا من خلانك ابنة عفزرا  
إذا الخيل جالت في قنا قد تكسرا  
إذا ما انتشيت، والكميت المصدرا  
أخا الحرب إلا ساهم الوجه أغبرا  
وإن شمرت يوما به الحرب شمرا

(14)

لقد ذكر الشاعر الخيل بمعناها الحقيقي في معرض الفخر والفروسية والحماسة بقوله: فلا تسأليني واسألني: أي فارس إذا الخيل جالت في قنا قد تكسرا، أي يوم صولة وجولة الخيل في عرصات الوعى فلا تسأليني بل اسألني الشهود من الفرسان، ثم أفتخر بكرمه وشجاعته في الأبيات التالية ليكون موضوع الخيل: الفخر والفروسية.

قال أنس بن مُدرك الخنعمي

نَحْنُ جَلْبِنَا الْخَيْلَ مِنْ غَرْبِ أَرْضِنَا  
وَكَاثِنٌ تَرَكْنَا فِي هَوَازِنَ مِنْ دَمٍ  
وَأَرْمَلَةٌ تَسْعَى بِنَعْلَيْنِ طَلَّقَتْ  
أَعْنَتُهَا لِلَّهِ حَتَّى يَرُدَّهَا  
إِلَى جَنْبِ أَشْوَالٍ فَذَاتِ بُصَاقٍ  
إِلَى جَنْبِ أَشْوَالِ الْعَقِيقِ مُرَاقٍ  
وَأَسْيَافُنَا أَدْنَاهَا بِطَلَّاقٍ  
بِمَا شَاءَ أَوْ يَشْقَى بِهِنَّ أَشَاقٍ

(15)

قال الشاعر مفتخرا ومباهيا أنهم جاءوا بالخييل للحرب من أماكن بعيد إلى أماكن بعينها، وأراد بذلك أنهم حشدوا الخيل للحرب كما تحشد أليات الحرب اليوم من السارات والدبابات وغيرها، ثم قال مؤكدا ذلك أعنتها لله أي حشدت تلك الخيل في سبيل الله تعالى: أعنتها لله حتى يردها بما شاء أو يشقى بهن أشاق، أي ليقضي الله أمرا كان مفعولا، تلکم خيل الجهاد في سبيل الله تعالى، فالخييل جاءت بمعناها التقليدي.

جاء في أداب الفروسية أن عمر رضي الله عنه قال: اتنزروا واربدووا وانتعلوا وألقوا الخفاف وارموا الأغراض وألقوا الركب وانزوا نزا على الخيل وعليكم بالمعدية، أو قال العربية، ودعوا التنعم وزيّ العجم ولا تلبسوا الحرير فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه إلا هكذا، ورفع إصبعيه، وقال أيضا: لن تخور قوى ما كان صاحبها ينزوع وينزو، يعني ينزع في القوس وينزو على الخيل من غير

١٤ ( ) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ١/٢٤٠

١٥ ( ) حبيب بن أوس أبو تمام، الوحشيات الحماسة الصغرى، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة،

## أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

استعانة بالركب، وقال العمري: كان عمر بن الخطاب يأخذ بيده اليمنى أذنه اليمنى ويده اليسرى أذن فرسه اليسرى ثم يجمع جراميزه ويثب فكأنما خلق على ظهر فرسه، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين: عضوا على النواجذ من الأضراس فإنه أنبى للسيوف. (16)  
قالت مارة بنت الديان

قل للفوارس لا تثل أعيانهم  
التاركين أبا الحصين وراءهم  
لما رأيت الخيل قد طافت به  
ولقد بكيت على شبابك حقبة  
معشر الأبناء ان فزتم بها  
من شر ما حذروا وما لم يحذر  
والمسلمين صلاة بن العنبر  
شبخت شحالك في عنان الأشقر  
حتى كبرت وليت ان لم تكبر  
يا فوز الزبيرة جمعنا لم يثأر

(17)

حرضت الشاعرة قومها علي الأخذ بالثأر وتعرضت لذكر الخيل بقولها: لما رأيت الخيل قد طافت به شبخت شحالك في عنان الأشقر، وهي تعني قارة الخيل التي تعرض لها قومها فاستعدوا لها حتى أن أحدهم يحلب ناقته وهو على ظهر فرسه وهو معنى شبخت شحالك أي حلبت لأن الشبخ معناه الحلب، حلبت النبايق الطوال وهن الشحال، ومعنى هذا أن الفرسان لا يفارقون ظهور خيلهم بل يقضون حوائجهم وهم في أهبة الاستعداد والاستنفار، وجاءت الخيل بمعناها الحقيقي وهو استعمالها في الحرب، وموضوعها الفروسية والحماسة، وهذا سبب وصية الشاعرة في أول بيت بقولها: قل للفوارس لا تثل أعيانهم من شر ما حذروا وما لم يحذر، وهذه من الوصايا التي ترفع الهمم ومن أكبر هم الفرسان امتلاك الخيل الجياد.

وللخيل منازل في الجودة والرداءة، ففي كتاب أدب الكاتب باب بعيوب الخيل ومنها: الحذا « في الأذن: استرخاء أصول الأذنين على الحذنين. و« السَّعْفُ » بياضُ يعلو الناصية. و« القَنَا » أهداب يكون في الأنف، وذلك يكون في الهُجْن. و« السَّفَا » حَفَّةُ الناصية، وهو مذمومٌ في الخيل، ومحمودٌ في البغال. و« العَمَمُ » أن تُغَطِّي الناصية عينيه. و« الإِغْرَابُ » أبيضاض الأشفار مع الزُّرْق و« القَصْرُ » غلظ في العنق. و« الجُسَاةُ » يُبَسُّ المَعْطَف. و« الكَتْفُ » انفراج يكون في عَرَاضيب أعالي كتفي الفرس، مما يلي الكاهل. و« الدَّنَنُ » طمأنينة في أصل العنق، يقال: « فرسٌ أدنٌ » فإذا اطمأننت من وسطها فذلك « الهَنْعُ » يقال: « عُنُقٌ هَنْعَاءُ ». و« الزُّورُ » في الصدر: دخول إحدى الفهدين وخروج الأخرى. و« الهَضْمُ » استقامة الضلوع ودخول أعاليها، يقال: « فرسٌ أهضَمُ ». و« الإِخْطَافُ » لحوق ما خلف المخزم من بطنه، يقال: « فرسٌ مخْطَفٌ ». (18)

ومن خلال وقوفنا على لفظ الخيل في الشعر والنثر وجدناه تناول الموضوعات التالية: الفخر، والمدح، والهجاء، والذم، ووصف المعركة والخيل بأنواعها، والفروسية والحماسة، والشجاعة والأخذ بالثأر،

- ١٦ ( ) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، ٢١٦/١  
١٧ ( ) أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور، بلاغات النساء، صححه أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة، ١٩٠٨م ص ١٧٢  
١٨ ( ) أدب الكاتب (مرجع سابق) ص ١٢١

## أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

والغارات والرباط والجهاد في سبيل الله ونصرة الدين والضعفاء، والدفاع عن النفس، وحملت أشعار العرب تعابير البيان من المجازات والاستعارات والتشبيهات والكنيات.

الخيال في القرآن الكريم والسنة النبوية

الخيال من أهم الدواب المذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية لدورها المتعاظم في الجهاد في سبيل الله، ولما أثبتته من فاعلية فائقة في السلم والحرب، ولقد ورد ذكر الخيل في القرآن تصريحاً باللفظ وتلميحاً بالإشارة، كما حفلت السنة بذكر الخيل ومنافعها وسيرها التاريخية الموثقة، وفيما يلي نتطرق لما جاء من ذكر الخيل.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْإِنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ) (19)

جاء في المعنى: يُخْبِرُ تَعَالَى عَمَّا زَيْنٌ لِلنَّاسِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ أَنْوَاعِ الْمَلَاذِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ، فَبَدَأَ بِالنِّسَاءِ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ بِهِنَّ أَشَدُّ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: مَا تَرَكَتْ بَعْدِي فِتْنَةٌ أَضْرُّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ». فَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَصْدُ بِهِنَّ الْإِعْفَافَ وَكَثْرَةَ الْأَوْلَادِ، فَهَذَا مَطْلُوبٌ مَرْغُوبٌ فِيهِ مَمْدُودٌ إِلَيْهِ، كَمَا وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ بِالْتَّرَغِيبِ فِي التَّرْوِيجِ وَالِاسْتِكْتَارِ مِنْهُ، «وَأَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانَ أَكْثَرَهَا نِسَاءً» وَقَوْلُهُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، إِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سِرَّتَهُ، وَإِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتَهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا حَفِظْتُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا» وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «حُبَّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ وَجُعِلَتْ قِرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» وَقَالَتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا الْخَيْلُ، وَفِي رِوَايَةٍ: مِنَ الْخَيْلِ إِلَّا النِّسَاءُ. وَحُبُّ الْبَنِينَ تَارَةٌ يَكُونُ لِلتَّفَاخُرِ وَالرِّيَازَةِ فَهِيَ دَاخِلٌ فِي هَذَا، وَتَارَةٌ يَكُونُ لِتَكْثِيرِ النَّسْلِ، وَتَكْثِيرِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَهَذَا مَحْمُودٌ مَمْدُوحٌ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَالِدُودَ، فَإِنِّي مُكَاتِرٌ بِكُمْ الْأُمَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَحُبُّ الْمَالِ كَذَلِكَ تَارَةٌ يَكُونُ لِلتَّفَخْرِ وَالْخَيْلَاءِ وَالتَّكْبُرِ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَالتَّجَبُّرِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَهَذَا مَذْمُومٌ، وَتَارَةٌ يَكُونُ لِلنَّفَقَةِ فِي الْقَرِيبَاتِ وَصَلَةِ الْأَرْحَامِ وَالْقَرَابَاتِ وَوُجُوهِ الْبِرِّ وَالطَّاعَاتِ، فَهَذَا مَمْدُوحٌ مَحْمُودٌ عَلَيْهِ شَرَعًا، وَقَدْ اختلف المفسرون في مقدار القنطار على أقوال، وحاصلها: أَنَّهُ الْمَالُ الْجَزِيلُ. (20) مَوْضُوعُ الْخَيْلِ لِلزَّيْنَةِ وَالفِتْنَةِ لِرَغْبَةِ النَّاسِ فِيهَا لِلخَيْلَاءِ وَالتَّبَاهِي.

قال الله تعالى (وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ) (21)

يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَأَعِدُوا لَهُوَلَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، الَّذِينَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ عَهْدٌ، إِذَا خِفْتُمْ خِيَانَتَهُمْ وَعَدَرْتُمْ إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ يَقُولُ: مَا أَطَقْتُمْ أَنْ تَعُدُّوهُ لَهُمْ مِنَ الْأَلَاتِ الَّتِي تَكُونُ قُوَّةً لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّلَاحِ وَالْخَيْلِ. ﴿ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ يَقُولُ: تُخِيفُونَ بِإِعْدَادِكُمْ ذَلِكَ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَبِنَحْوِ مَا قَلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّوَاوِيلِ، فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ

١٩ ( ) آل عمران ١٤

٢٠ ( ) إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت سلامة، دار طيبة للنشر، ط الثانية ١٤٢٠هـ،

١٩/٢

٢١ ( ) الأنفال ٦٠

## أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

عامر، قَالَ أَلَا وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ « قَالَ اللَّهُ: ﴿وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ» ثلاثاً. (22) الخيل لعدة الحرب والتجهيز للغزو في سبيل الله.

قال الله تعالى (وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (23) جاء في المعنى: وَالْخَيْلُ يَعْنِي: وَخَلَقَ الْخَيْلَ، وَهِيَ اسْمُ جِنْسٍ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ كَالْإِبِلِ وَالنِّسَاءِ، ﴿وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً، يَعْنِي وَجَعَلَهَا زِينَةً لَكُمْ مَعَ الْمَنَافِعِ الَّتِي فِيهَا. وَأَخْتَجَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مِنْ حَرَمِ لَحْمِ الْخَيْلِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ: هَذِهِ لِلرُّكُوبِ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْحُكْمُ، وَمَالِكٌ، وَأَبُو حَنِيفَةَ. وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى إِبَاحَةِ لَحْمِ الْخَيْلِ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ، وَشَرِيحٍ، وَعَطَاءٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَبِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ. وَمَنْ أَبَاحَهَا قَالَ: لَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ الْآيَةِ بَيَانُ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ بَلِ الْمُرَادُ مِنْهُ تَعْرِيفُ اللَّهِ عِبَادَهُ نِعْمَةً وَتَنْبِيهُهُمْ عَلَى كِمَالِ قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَإِحْتِجَاجًا بِمَا جَاءَ عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنِ لَحْمِ الْحَمْرِ وَرَخَصَ فِي لَحْمِ الْخَيْلِ». وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ لَحْمَ الْخَيْلِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (24) الخيل للركوب والزينة وبيان حكم أكلها.

قال تعالى (إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ) (25) جاء في المعنى التلميحى عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد أي الخيل، وكانت عشرين ألف فرس ذات أجنحة فعقرها، وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ قَالَ ﴿تَوَارَتْ﴾ مِنْ وَرَاءِ قَرْيَةِ خَضِرَةَ السَّمَاءِ مِنْهَا، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَكَلِّمُ اعْظَامًا لَهُ فَلَقَدْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ وَمَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَكَلِّمَهُ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ يَقُولُ: مِنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا﴾ يَقُولُ: جَعَلَ يَمْسَحُ أَعْرَافَ الْخَيْلِ وَعَرَاقِبَهَا، وَعَنْ أَبِي بَنْ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ قَالَ: قَطَعَ سَوْقَهَا وَأَعْنَاقَهَا بِالسَّيْفِ. (26) الخيل لذكر ملذات الدنيا من شهوات النفس.

قال الله تعالى (وَالْعَادِيَاتُ ضَبْحًا) (27) جاء في تفسير الآية: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا فِي الْجُبْرِ جَالِسًا أَتَانِي رَجُلٌ فَسَأَلَنِي عَنْ ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾، فَقُلْتُ: الْخَيْلُ حِينَ تُغَيَّرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى اللَّيْلِ يَصْنَعُونَ طَعَامَهُمْ وَيُورُونَ نَارَهُمْ؛ فَانْتَقَلَ عَنِّي فَذَهَبَ إِلَيَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ تَحْتَ سِقَايَةِ زَمْزَمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾، فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْهَا أَحَدًا قَبْلِي، قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ، [سَأَلْتُ عَنْهَا] ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: الْخَيْلُ حِينَ تُغَيَّرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ قَالَ: أَذْهَبُ فَادْعُهُ لِي؛ فَلَمَّا وَقَفَ [عَلَى رَأْسِهِ] قَالَ:

٢٢ ( ) ابن جرير الطبري، جامع البيان ط هجر، ت عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ١١/٢٤٤

٢٣ ( ) النحل ٨

٢٤ ( ) الحسين البغوي، معالم التنزيل، ت عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث، بيروت، ط ١٤٢٠هـ ١٠/٥

٢٥ ( ) سورة ص ٣١

٢٦ ( ) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ١٧٨/٧

٢٧ ( ) العاديات ١

## أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

تُفتي النَّاسَ] بِمَا لَا عِلْمَ لَكَ بِهِ؛ وَاللَّهِ، إِنْ كَانَتْ لِأَوَّلِ غَزْوَةٍ فِي الْإِسْلَامِ لَبِيدٌ وَمَا [كَانَ مَعَنَا إِلَّا فَرَسَانِ]، فَرَسٌ لِلزُّبَيْرِ وَفَرَسٌ لِلْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ، فَكَيْفَ تَكُونُ ﴿الْعَادِيَاتُ ضَبْحًا﴾، إِنَّمَا ﴿الْعَادِيَاتُ ضَبْحًا﴾ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمَزْدَلْفَةِ وَمِنْ الْمَزْدَلْفَةِ إِلَى مَنَى. (28) الخيل لبيان الأحكام الشرعية من مناسك الحج.

ومن خلال وقوفنا على معاني الخيل وورودها في القرآن الكريم تصريحاً وتلميحاً نجد أنها جاءت بالموضوعات التالية: التباهي والخيلاء والفتنة، إعداد العدة والتجهيز للغزو والحرب، الركوب والزينة، ملذات الدنيا وشهوات النفس، بيان الأحكام الشرعية، وكل ذلك لإعمار الأرض والتنمية البشرية.

لقد ورد ذكر الخيل في السنة المطهرة لمعان متعددة وأغراض كثيرة، وفيما يلي نقف على تلك المعاني. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْخَيْلُ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ بِهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طَبَلِهَا ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ أَوْ الرُّوضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهُ انْقَطَعَ طَبَلُهَا، فَأَسْتَنْتَ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ أَثَارَهَا، وَأَرَوَّانَهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يَرِدْ أَنْ يَسْقِيَ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، فَهِيَ لِذَلِكَ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغْنِيًا وَتَعَفُّفًا ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظَهْرَهَا، فَهِيَ لِذَلِكَ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَنَوَاءً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وَزْرٌ.» (29) الخيل لبيان المنزلة والتوظيف.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «سَابَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي قَدِ اضْمَرَّتْ، فَأَرْسَلَهَا مِنَ الْخَفِيَاءِ، وَكَانَ أَمْدُهَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ فَقَلَّتْ لِمُوسَى: فَكَمْ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: سِتَّةَ أَمْيَالٍ أَوْ سَبْعَةَ وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمَرْ، فَأَرْسَلَهَا مِنْ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ وَكَانَ أَمْدُهَا مَسْجِدَ بَنِي زُرَيْقٍ.» قُلْتُ: فَكَمْ بَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِيلٌ أَوْ نَحْوُهُ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ مِنْ سَابِقِ فِيهَا. (30) الخيل للسباق لمعرفة الجيد منها (الضامر) وموضوعها اتخاذ العدة في سبيل الله وتوظيفها في محل الإشارة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوُ الْمَشْرِقِ، وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ الْفَدَّادِينَ، أَهْلِ الْوَبْرِ وَالسَّكِينَةَ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ.» (31) الخيل للفخر والخيلاء، وبيان فضلها.

عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدِ سَتَرْتُ عَلَى بَابِي دُرُنُوكًا فِيهِ الْخَيْلُ ذَوَاتُ الْأَجْنَحَةِ، فَأَمَرَنِي فَنَزَعْتُهُ.» (32) لإزالة المنكر ووصون الشرع. عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ الْخَيْلِ الْأُدْهَمُ، الْأَقْرَحُ، الْمُحَجَّلُ، الْأَرْتَمُ طَلِقَ الْيَدِ الْيُمْنَى، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَدْهَمَ فَكَمَيْتٌ عَلَى هَذِهِ الشَّيْبَةِ.» (33) الخيل لبيان المنزلة والوصف.

٢٨ ( ) عبد الله بن وهب بن مسلم، تفسير القرآن من الجامع، ت ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ٢/٧٠

٢٩ ( ) محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت ناصر الناصر، طوق النجاة، ١، ١٤٢٢هـ، ٣/١٣ رقم ٧٣٢١

٣٠ ( ) المرجع السابق ٣١/٤ رقم ٢٨٧٠

٣١ ( ) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ت محمد فؤاد، دار التراث العربي، بيروت، ١/٧٢ رقم ٨٥ (٥٢)

٣٢ ( ) المرجع السابق ٣/١٦٦٧ رقم ٩٠ (٢١٠٧)

٣٣ ( ) ابن ماجة محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ت محمد فؤاد، دار الكتب العربية، فيصل الحلبي، ٢/٩٣٣ رقم ٢٧٨٩

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَفَاضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَرَفَةَ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَرَدِيْفُهُ أُسَامَةُ، وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِأَيِّجَافِ الْخَيْلِ وَالْإِيلِ» قَالَ: فَمَا رَأَيْتَهَا رَافِعَةً يَدَيْهَا عَادِيَةً حَتَّى أَتَى جَمْعًا، زَادَ وَهَبٌ ثُمَّ أَرَدَفَ الْفُضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِأَيِّجَافِ الْخَيْلِ وَالْإِيلِ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ» قَالَ: فَمَا رَأَيْتَهَا رَافِعَةً يَدَيْهَا حَتَّى أَتَى مِنِّي. (34) الخيل لبيان أحكام الشرع.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ سَرَحَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَأَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، وَخَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْخَيْلِ، وَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، اهْتَفِ بِالْأَنْصَارِ» قَالَ: «اسْلُكُوا هَذَا الطَّرِيقَ فَلَا يَشْرَفُنَّ لَكُمْ أَحَدٌ، إِلَّا أُنْتَمَوْهُ» فَبَادَى مُنَادٍ لَا قَرِيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ دَخَلَ دَارًا فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ»، وَعَمِدَ صِنَادِيْدُ قَرِيْشٍ، فَدَخَلُوا الْكَعْبَةَ فَعَصَّ بِهِمْ، وَطَافَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ، ثُمَّ أَخَذَ بَجَنْبَتِي الْبَابِ فَخَرَجُوا فَبَايَعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ. (35) الخيل لبيسط الأمن وحسم المارقين عن الدين، وموضوعها إظهار الدين.

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْخَيْرُ؟ قَالَ: «الْأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ» (36) الخيل لبيان الخير والمدح. عَنْ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ السَّاعِدِيِّ، كَذَا قَالَ: عَنِ أَبِيهِ، أَوْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ أَصْلِي الصُّبْحَ، ثُمَّ أَجْلِسَ فِي مَجْلِسِي فَأَذْكَرَ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَدِّ عَلَى جِيَادِ الْخَيْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (37) الخيل لبيان فضل ذكر الله تعالى، وموضوعها عبادة الله وحده.

عَنْ أُسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: لَمَّا وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذِي طُوًى قَالَ أَبُو قَحَافَةَ لِأَصْغَرَ بَنَاتِهِ: أَظْهَرِنِي عَلَى الْجَبَلِ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ أَعْمَى، قَالَتْ: فَأَشْرَفْتُ بِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا تَرِينَ؟ فَقَالَتْ: سَوَادًا مَجْتَمِعًا، فَقَالَ: تِلْكَ وَاللَّهِ الْجَيْلُ، قُلْتُ: وَأَرَى بَيْنَ يَدَيْ ذَلِكَ السَّوَادِ رَجُلًا يَسْعَى مُقْبِلًا وَمُدْبِرًا، فَقَالَ: ذَلِكَ الْوَازِعُ، وَكَانَ الْوَازِعُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قَحَافَةَ، فَقُلْتُ: وَأَرَى أَنْ ذَلِكَ السَّوَادُ قَدْ انْتَشَرَ، فَقَالَ: قَدْ وَاللَّهِ دَفَعَتِ طَوْقًا لَهَا مِنْ وَرَقٍ فَمَرَّ عَلَيْهَا رَجُلٌ فَاقْتَطَعَهُ مِنْهَا، فَلَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ، وَاطْمَأَنَّ، جَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِأَبِيهِ يَقُودُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلَا تَرَكَتِ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى كُنْتُ آتِيَهُ فِي بَيْتِهِ»، فَقَالَ: بَلْ هُوَ أَحَقُّ أَنْ يَمْشِيَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَمْشِيَ إِلَيْهِ، فَاجْلِسْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْ يَدَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: «أَسْلَمْتَ تَسْلَمُ»، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِيَدِ أخته التي كانت صعدت بابي قحافة الجبل، فقال: أنشدك الله والإسلام، طوق أختي ثلاث مرّات فلم يجبه أحد، فقال: يَا أُخِيَّةُ، احْتَسِبِي، فَوَاللَّهِ إِنْ الْأَمَانَةَ فِي النَّاسِ لَقَلِيلَةٌ. (38) الخيل لتقييم الجيش، وموضوعها شدة سرعتها.

٣٤ ( ) أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، ت محمد محيي الدين، المكتبة العصرية صيدا،

١٩٠/١ رقم ١٩٢٠

٣٥ ( ) المرجع السابق ١٦٣/٣ رقم ٣٠٢٤

٣٦ ( ) نفس المرجع ٣٨٤/٢ رقم ١١٥٢

٣٧ ( ) عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، ت الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، المكتب الإسلامي، بيروت،

٢، ط ١٤٠٣ هـ، ٥٣٠/١ رقم ٢٠٢٧

٣٨ ( ) اسحق بن راهويه، مسند بن راهويه، مسند ابن عباس، ت محمد ضرار، الكتاب العربي، ط ١،

١٤٢٣ هـ، ١٣١/٥ رقم ٢٢٤٥

## أدب الخيل في الشعر والنثر والدين

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، قَتْنَا يَحْيَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ قَالَ: حَدَّثَنِي قَيْسٌ، قَالَ لِي جَرِيرٌ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخَلَصَةِ» وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمٍ يُسَمَّى كَعْبَةَ الْيَمَانِيَّةِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةَ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ قَالَ: وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ، فَأُخْبِرْتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَا أَتُبْتُ عَلَى الْخَيْلِ، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي قَالَ: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا»، فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَّرَهَا وَحَرَّقَهَا، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَشِّرُهُ، قَالَ: يَعْلَى فِي هَذَا الْحَدِيثِ: ثُمَّ بَعَثَ حُصَيْنَ بْنَ رَبِيعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُبَشِّرُهُ، فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا جِئْتُكَ حَتَّى تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أَجْرُبُ، فَبَارَكَ عَلَى خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ. (39) الخيل لتنفيذ المهام السريعة، وموضوعها الإعمار ونصرة الدين.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَلِيُّ أَسْبِغِ الْوُضُوءَ وَإِنْ شَقَّ عَلَيْكَ، وَلَا تَأْكُلِ الصَّدَقَةَ، وَلَا تَنْزِ الْحَمِيرَ عَلَى الْخَيْلِ، وَلَا تَجَالِسْ أَصْحَابَ النُّجُومِ» (40) الخيل لعراقة النسل وصونه.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا قَدْ عَفَوْنَا لَكُمْ عَنِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ، فَأَدُوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دَرْهَمًا دَرْهَمًا» (41) الخيل لبيان حكم الزكاة، وموضوعها إظهار الإسلام. عَنْ أَبِي لَيْبِدٍ، قَالَ: «أَجْرِيَتِ الْخَيْلِ فِي زَمَنِ الْحَجَّاجِ وَالْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ عَلَى الْبَصْرَةِ فَاتَيْنَا الرُّهَانَ، فَلَمَّا جَاءَتِ الْخَيْلُ، قَالَ: قُلْنَا: لَوْ مَلْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فَسَأَلْنَا: أَكَانُوا يُرَاهِنُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: فَاتَيْنَاهُ وَهُوَ فِي قَصْرِهِ فِي الزَّوْجَةِ. فَسَأَلْنَاهُ فَقَلْنَا لَهُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ أَكُنْتُمْ تُرَاهِنُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُرَاهِنُ؟ قَالَ: «نَعَمْ، لَقَدْ رَاهَنَ وَاللَّهِ عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ سَبْحَةٌ، فَسَبَقَ النَّاسَ، فَأَنْهَشَ النَّاسَ، وَأَعْجَبَهُ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَنْهَشَهُ: يَعْنِي: أَعْجَبَهُ. (42) الحديث لبيان رهان الخيل، وموضوعها الإعداد والتدريب والقوة.

ومن خلال وقوفنا على معاني الخيل في السنة المطهرة نجد أنها جاءت لبيان منازل الخيل وفضلها، وإعدادها للسياق والفروسية والغزو في سبيل الله، والفخر والخيلاء وإزالة المنكر وبيان الشرع، وبسط الأمن وإظهار قوة الدين، والمدح والعبادة، وتقويم الجيوش وتنفيذ المهام السريعة، وإعمار الأرض ونصرة الدين، وبيان رفعة النسل، وأحكام الزكاة وإظهار الإسلام والرهان والتدريب، وإعمار الأرض وخدمة الإنسانية.

٣٩ ( ) أحمد بن محمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ت وصي الله ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى،

١٤٠٣هـ، ٢/٨٩١ رقم ١٦٩٤

٤٠ ( ) أحمد بن حنبل، المسند مخرجا، ت شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط الأولى،

١٤٢١هـ، مخرجا ٢٢/٢ رقم ٥٨٢

٤١ ( ) عبد الحميد بن حميد بن نصر، المنتخب، ت صبحي السامرائي، الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة،

الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ص ٥١

٤٢ ( ) عبد الله الدارمي، سنن الدارمي، ت سليم أسد، دار المغني، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ،

٢٤٧٤/٣ رقم ١٥٧٦

## الخاتمة:

وقف البحث على أدب الخيل في الشعر والنثر والقرآن والسنة وتبع أهمية الخيل في الحياة الإنسانية وعظم دولارها في إعمار الأرض والتنمية البشرية، وتشبيد الحضارات وتأسيس الدول والممالك والخلافات، وإرساء قواعد الإسلام ورفع رايته، فكانت الخيل رمز الحرية وركن العدالة وشعار الكرامة والسلام والإسلام، وروح الأمن والاستقرار، تعتبر الخيل القاعدة الكبرى لمنظومة الدفاع والتسلح لدي الشعوب، وعملت الخيل على تأمين البلدان وحماية الثغور، واقامة الشرائع وصون النظم والقوانين، وتوطيد الحكم ورفع المظالم ورعاية أهداف الإنسانية لصيانة المقاصد الشرعية في الإسلام، وكانت الخيل محل الاهتمام الرسمي والشعبي، فهي رمز الفروسية والتفاخر، ولقد جرى استخدام الخيل عبر العصور في السلم والحرب ونهضة الدول وكانت أسرع مركوب من الحيوانات وما زالت، فقد استخدمت في البريد ونقل الخلفاء والنجدة، والإشارة ورد العدو وإرهابه، والسلب والنهب، ومكانة الخيل الاجتماعية فقد وجدت اهتماما من الشعراء والخطباء والكتاب فجعلوها في معاني البيان من المجازات والاستعارات والتشبيهات والكنيات، وشملت موضوعات الخيل: المدح والفخر والذم والوصف والفروسية والحماسة والأطلال والنسيب، وحفلت الأسفار الأدبية عبر التاريخ بالمعاني البلاغية التي جاء بها الشعر العربي وخاصة في العصر الجاهلي وتقاليده، وفي صدر الإسلام ازداد الاهتمام بالخيل مع بروز الحاجة الملحة لحفظ أركان الدولة لإقامة العدل وصون الدين الإسلامي، وحفلت السير والتفاسير والسنن بتلك المعاني، وما زالت الحاجة ماسة لاستخدام الخيل في رعاية المصالح الإنسانية في كثير من الأمصار، وجاءت معاني الخيل في القرآن الكريم للتباهي والخيلاء والفتنة، وإعداد العدة والتجهيز للغزو والحرب، والركوب والزينة، وملذات الدنيا وبيان الأحكام الشرعية، وجاءت معاني الخيل في السنة لبيان منازل الخيل وفضلها، وإعدادها للسباق والفروسية والتجهيز للغزو والفخر والخيلاء، وإزالة المنكر وبيان أحكام الشريعة، وبسط الأمن وإظهار قوة الدين، والمدح والذكر والعبادة، وتقويم الجيوش وتنفيذ المهام السريعة، وبيان رفعة النسل، وأحكام الزكاة والحج والرهان والقوة والتدريب.

## أهم النتائج

للخيل دور كبير في الحياة الإنسانية وإعمار الأرض والتنمية البشرية، وتشبيد الحضارات. الخيل رمز الحرية والعدالة وروح الأمن والاستقرار، واقامة الشرائع وأركان الإسلام. الخيل لتنفيذ المهام الصعبة فقد استخدمت في البريد ونقل الخلفاء والنجدة، والإشارة. استخدم الأدباء الخيل في مباحث البيان للمدح والفخر والوصف والفروسية والأطلال والنسيب. معاني الخيل في القرآن للتباهي والخيلاء والفتنة، والغزو، والركوب والزينة، وملذات الدنيا. الخيل في السنة لبيان منازلها والغزو والفخر والمدح وإزالة المنكر وبسط الأمن والرهان.

## التوصيات

الإطلاع على الشعر وتبع مكانة الخيل لدي العرب وخاصة في الجاهلية. الوقوف على القرآن الكريم ومعرفة عنايته بالخيل وأدابها الإسلامية. تتبع السيرة النبوية للوقوف علي عناية الإسلام بالخيل.

## المصادر والمراجع

القرآن العظيم

ديوان امرؤ القيس

ابن قتيبة الدينوري، أدب الكاتب، ت محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

ديوان طرفة بن العبد .

ديوان ليبيد بن ربيعة العامري.

ديوان عمرو بن كلثوم.

- المفضل الضبي، أمثال العرب، ت إحسان، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.
- أبو زيد محمد بن القرشي، ت علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الشيباني، شرح المعلقات التسع، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.
- أبو زيد محمد القرشي، جمهرة أشعار العرب، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن سلام البغدادي، الأمثال، ت قطامش، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، 1400هـ.
- عمرو بن بحر الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الثانية، 1423هـ.
- ابن محفوظ، نفع الأزهار منتخبات الأشعار، اليازجي، المطبعة الأدبية، بيروت، ط3، 1886م.
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ.
- حبيب بن أوس أبو تمام، الوحشيات الحماسة الصغرى، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.
- أحمد بن طيفور، بلاغات النساء، صححه أحمد الألفي، مطبعة والدة عباس، القاهرة، 1908م.
- إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ت سلامة، دار طيبة للنشر، ط الثانية 1420هـ.
- ابن جرير الطبري، جامع البيان ط هجر، ت التركي، دار هجر للطباعة ط الأولى 1422هـ.
- الحسين البغوي، معالم التنزيل، ت عبد الرزاق، إحياء التراث، بيروت، ط1 1420هـ.
- عبد الرحمن بن أبي بكر، السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت.
- عبد الله بن وهب بن مسلم، تفسير القرآن من الجامع، ت موراني، دار الغرب، ط1، 2003م.
- محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت ناصر الناصر، طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ت محمد فؤاد، دار التراث العربي، بيروت.
- ابن ماجة محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة، ت محمد فؤاد، دار الكتب العربية، فيصل الحلبي.
- أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داؤود، ت محمد محيي الدين، المكتبة العصرية صيدا.
- الصنعاني، المصنف، ت الأعظمي، المجلس العلمي، المكتب الإسلامي، بيروت ط2، 1403هـ.
- اسحق بن راهويه، مسند إسحاق بن راهويه ت محمد ضرار، الكتاب العربي ط1 1423هـ.
- أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ت وصي الله، الرسالة، بيروت، ط الأولى، 1403هـ.
- أحمد بن حنبل، المسند مخرجات شعيب الأرئوط، وآخرون، الرسالة، ط الأولى، 1421هـ.
- عبد الحميد نصر المنتخب، ت السامرائي الصعيدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط الأولى 1988م.
- عبد الله الدارمي، سنن الدارمي، ت سليم أسد، دار المغني، السعودية، ط الأولى، 1412هـ.

# السياسة البريطانية والمصرية تجاه السودان

(١٨٨٢ - ١٨٨٥ م)

## British and Egyptian Policy Toward Sudan (1882 -1885 AD)

أ. مشارك . جامعة الجزيرة  
كلية الآداب. قسم التاريخ

د. فتح الرحمن محمد الأمين العراقي

### المستخلص:

يهدف البحث للحديث عن تداعيات النسيحة البريطانية للحكومة المصرية لإخلاء السودان، وذلك بالحديث عن السياسة البريطانية في السودان خلال سيطرة الحكومة التركية المصرية عليه، وذلك بتقديم صورته وافيته عن تلك السياسة وتقلباتها مابين الإهمال وعدم الإكتراث إلى تغييرها بفرض إخلاء السودان على الحكومة المصرى وكذلك الحديث عن تغيير هذه السياسة باقرار مبداء التدخل العسكري لاحقاً عندما تقرر إستعادة السودان، وتمثل مشكلة البحث في محاولة الإجابة على السؤال الرئيس وهو كيف نصحت الحكومة البريطانية الحكومة المصرية بإخلاء السودان، وماهى النتائج التى ترتبت على تلك النسيحة التى عملت الحكومة المصرية على تنفيذها. إستخدم الباحث في كتابة الدراسة المنهج التاريخى ( الوثائقى) التحليلي وذلك بمحاولة الإستفادة من المصادر الأولية والثانوية لبعض المعاصرين، والإستفادة من الدراسات السابقة في الموضوع، وأهم النتائج التى توصل لها تتمثل في تبني بريطانيا العظمى خلال فترة الحكم التركي المصري في السودان (سياسة السلبية وعدم الإكتراث لما يحدث في السودان) وأراد الانجليز من إستخدام هذه السياسة متعمدين أن يخلقوا في السودان حالة تسمح لهم بتطبيق ( نظرية الارض الخلاء التى لا صاحب لها) وإستغلال ذلك لخلق أساس قانونى تستند عليه في الإستيلاء على السودان امام الدول الاوربية المنافسة لها أو غيرها مثل تركيا ابرز الطامعين فى السودان، كانت الحكومة المصرية خاضعة للإحتلال البريطاني موافقة على أوامره، ونجدها قد وافقت على تنفيذ تعليمات بريطانيا بأخلاء السودان ولا شك أن ذلك الخضوع لإرادة الحكومة البريطانية كان ضربة قاضية لكرامة خديوي مصر وحكومته.

**British and Egyptian policy toward Sudan  
(1882 - 1885 AD)**

**Dr.Fath al-Rahman Mohammad Al-Amin**

**Abstract:**

The research aims to talk about the repercussions of the British advice to the Egyptian government to evacuate Sudan, by talking about the British policy in Sudan during the Turkish-Egyptian government's control over it, by providing an adequate picture of that policy and its fluctuations between neglect and indifference to its change by imposing the evacuation of Sudan on the Egyptian government And the reasons for its failure when Gordon Pasha was assigned to implement it in Sudan, as well as talking about changing this policy by approving the principle of military intervention later when it was decided to restore Sudan. That advice that the Egyptian government worked to implement. In writing the study, the researcher used the analytical (documentary) historical approach, by trying to benefit from the primary and secondary sources of some contemporaries, and to benefit from previous studies on the subject Paying no attention to what is happening in Sudan) and the British wanted to deliberately use this policy to create a situation in Sudan that would allow them to apply (the theory of empty land that has no owner) and exploit that to create a legal basis upon which to base the seizure of Sudan before the competing European countries or others such as Turkey The most prominent aspirants in Sudan, the Egyptian government was subject to the British occupation, approving of its orders, and we find that it had agreed to implement Britain's instructions to evacuate Sudan. There is no doubt that that submission to the will of the British government was a fatal blow to the dignity of the Khedive of Egypt and his government.

## مقدمة:

نجحت بريطانيا في السيطرة على مصر بعد إنتصارها على الجيش المصري في معركة التل الكبير في 14 / سبتمبر سنة 1882م، وقد كفل لها هذا الإنتصار السيطرة على قناة السويس الشريط الملاحي الوحيد المؤدي لمستعمراتها في الهند، ليبدأ الإحتلال البريطاني لمصر والذي إستمر لأكثر من سبعين عاما على الرغم من التعهدات البريطانية المتكررة بالجلاء عن مصر عند إستباب الامن، وفي اعقاب ذلك قامت بريطانيا باستدعاء سفيرها في الأستانة اللورد دوفرين ( Duffrin ) ليقوم بتنظيم الأوضاع السياسية والإقتصادية وفقاً لمصالح بريطانيا العظمى الاستعمارية، وذلك لوضع تصور عام للإصلاحات الضرورية والمطلوبة في كافة المؤسسات المصرية وتقديم الاقتراحات اللازمة لإدارة شؤونها.1 وقد قام اللورد دوفرين بوضع تصور عام للإصلاحات المطلوبة لإدارة الشؤون المصرية فيما عرف لاحقاً بمسمى ( القانون الأساسي ) الذي صدر في أول شهر مايو 1883م، وكانت أهم ملامح هذا القانون الجديد على النحو الآتي: 2

- 1 / تسريح جيش احمد عرابي الذي قام بالثورة على أن يعاد تشكيله تحت إشراف بريطانيا.
  - 2 / الا تتولى إنجلترا الحكم المباشر في مصر، بل تبقى السلطة في يد الخديوي ووزرائه تحت إشراف بريطانيا.
  - 3 / إستمرار السيادة العثمانية على مصر خوفاً من إثارة مشاكل مع السلطان العثماني.
  - 4 / العمل على صيغ الإدارة في مصر بالصيغة الانجليزية ( سياسة الاجلنزة ).
  - 5 / إلغاء المراقبة الثنائية إكمالاً لإنفراد بريطانيا بمصر.
  - 6 / إلغاء مجلس النواب وإقامة مجلس صوري عرف لاحقاً باسم ( مجلس شورى القوانين ) الذي يتكون من 30 عضواً تعين الحكومة فيه 14 عضواً.
- ولكن نجد أن بريطانيا لم تحتفي بانتصارها وسيطرتها على مصر بعد أن تناهت إلى مسامعها الحوادث الداهمة التي تجري في السودان نتيجة لقيام ثورة دينية تهدف لإجتثاث الحكم التركي المصري من السودان، بل وجدت أن هذه الثورة لها أهداف تتعلق بتحملها لمسئولية تخليص المسلمين من الحكم التركي في العالم العربي اجمع.

سياسة السلبية وعدم الإكتراث البريطانية لما يحدث في السودان :  
خلال مراقبة بريطانيا لما يحدث في السودان وجدت أن الحكمدار محمد رؤوف قد سعى لإنتهاج سياسة التصعيد العسكري وقد قام بوضع خطة تهدف إلى إعتقال محمد المهدي في الجزيرة ابا في بداية الإعلان عن مهاديته عبر المنشورات ولكنه لم ينجح وواجه أول هزيمة عسكرية اخلت بميزان القوى المحلي، حيث تسببت المحاولتين اللتين دبرهما في اواخر عهده ضد المهدي في خسارة منصبه، ورغم تلك الأحداث، نجد أن هذه السياسة التي كانت بريطانيا تتبعها فيما يخص تطور الاوضاع الثورية في السودان عند إندلاع الثورة المهدية كانت هي (سياسة السلبية وعدم الإكتراث لما يحدث في السودان) حتى بعد أن تمت إثارة مسألة السودان في مجلس العموم البريطاني عبر تقديم حوالي

- 1 / تميوثي ميتشل، إستعمار مصر، ترجمة بشير السباعي، احمد حسان، مدارات للابحاث و النشر، ٢٠١٢م، ص ٥٥
- ٢ المرجع نفسه

سبعة عشر مسألة مستعجلة في فترة لم تتجاوز الشهرين مما إعتبره رئيس الوزراء السير غلادستون مضيقاً لزمين المجلس وعرقلة لأداء الحكومة عن تنفيذ مهامها، كما أن المعتمد البريطاني في مصر كان مشغولاً بتصفيه المشكلات التي خلفتها الثورة وتعويض الأجانب عما لحق بملكاتهم من اضرار نتيجته للحرائق التي حدثت في مدينة الاسكندرية، هذا بالإضافة لما تعانيه مصر من ضعف مالي

وارتباك إداري وإقتصادي عجزت معه عن مد يد العون لحكمदार السودان.3  
في هذه المرحلة اكتفت بريطانيا بارسال الكولونيل ستيوارت للتقصي والإستطلاع عن الأحوال في السودان ومن ثم كتابة تقرير عن الأوضاع فيه للحكومة البريطانية، وبالفعل وصل الكولونيل ستيوارت السودان في عهد الحكمदार عبد القادر حلمي الذي جاء خلفاً للحكمदार محمد رؤوف باشا الذي خسر منصبه بسبب الهزائم الكبيرة التي انزلها محمد احمد المهدي عليه وعلى جنود حكمادارته، وقد حاول الكولونيل ستيوارت أن يكتب تقريراً شاملاً يحتوى على كل ما يخص شئون السودان الإقتصادية والإجتماعية، مما اوقعه تحت دائرة شكوك الحكمदार عبد القادر حلمي الذي لم يكن ملماً بطبيعة المهمة التي يقوم بها إستيوارت، مما ادى لإستفساره لدى الحكومة المصرية التي توصلت إلى نتيجة أن مهمة الكولونيل مهمة استخبارية تتعلق بجمع معلومات عن الثورة المهديّة، ولكن على الرغم من تفهمها لطبيعة مهمة إستيوارت إلا أنها طلبت من الحكمदार عبد القادر حلمي بعد أن يتعاون معه أن يضعه تحت المراقبة.4

ولكن الباحث يعتقد أن هذه المهمة كانت تخدم نوايا بريطانيا فيما يتعلق بتخطيط بريطانيا للسيطرة على السودان لاحقاً، وعلى الرغم من أن ابراهيم فوزي باشا كان قد ذكر أن هناك معلومات راجت بأن طبيعة المهمة كانت ثنائية بحيث شملت التقصي عن اخبار تتعلق بالكشف والتدقيق في نوايا وتخطيط عبد القادر حلمي الذي تحدثت وراجت بعض الأخبار عن عزمه للاستقلال بالسودان، وكانت نتيجة ذلك التقرير الذي كتبه الكولونيل إستيوارت ضمن تقريرين أحدهما كان عن أحوال السودان الشرقي والآخر عن السودان عموماً فيما يعرف بالسودان التركي المصري وقد توصل فيه للاتي:5

1 / اكد على أن مصر راغبة في التمسك بملكاتها في السودان .  
2 / وإن مشروع إخلاء السودان الذي تنوي بريطانيا طرحه على مصر لن يجد القبول لان الحكومة المصرية والشعب المصري يرفضان فكرة إخلاء السودان بأي حال من الاحوال .  
والجدير بالملاحظة إن تقرير ستيوارت وكذلك تقرير اللورد دوفرين سفير بريطانيا في الأستانة والذي كلف بتنظيم أوضاع مصر بعد الإحتلال البريطاني لم يوصيا بضرورة ترك مصر لملكاتها في السودان رغم الثورة المنتشرة في ربوعه وهزائم الحكومة التركية المصرية العسكرية على يد أنصار المهدي، ولكن الكولونيل إستيوارت قد تناول الأسباب التي أدت لقيام هذه الثورة وما يلزم من إصلاحات حاسمة وسريعة لتوطيد سلطان الحكومة في الأقاليم القليلة التي بقيت في حوزتها.6  
اما اللورد دوفرين فقد كان كل ما اشار به الإعتراف بالامر الواقع وذلك بأن تتخلى مصر عن اقليم

٣ مكي الطيب شببكة (بروفيسر) السودان عبر القرون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ص ٣٣٩

٤ المرجع نفسه

٥ إبراهيم فوزي، كتاب السودان بين يدي غردون وكتشنر، دار الكتب و الوثائق القومية ، مصر، ج ١ ،

٢٠١٥م ص ١٢٢

٦ محمد فؤاد شكرى، مصر والسيادة على السودان، دار الفكر العربي ، مصر، ص 50

دارفور واجزاء من اقليم كردفان التي يسودها الإضطراب على أن تكتفي بحفظ سلطانها في سنار والخرطوم أي الأجزاء التي ما زالت حتى ذلك الحين في حوزتها، بل كان اللورد دوفرين ضد فكره الإخلاء ويعتبرها امراً يتعارض مع مصالح مصر الإقتصادية، وكانت رؤية اللورد دوفرين تتماشى مع رؤية الحكومة المصرية وتتخلف مع رؤية الحكومة البريطانية التي كانت تري ضرورة الإنسحاب، مما جعل الحكومة البريطانية تحجم عن تقديم اي مساعدة فنية او عسكرية لجيش هكس باشا عند مشاركته في المعارك التي كانت تجري داخل السودان.<sup>7</sup>

وعلى الرغم من أن تاريخ التدخل البريطاني في السودان لم يكن بالأمر الجديد وإن كان لم يتجاوز إساءة النصيح وفي بعض الحالات مارست بريطانيا على مصر اشد انواع الضغط السياسي والتهديد للحاكم من أسره محمد على وخاصة الخديوي إسماعيل الذي اسرف في إستخدام الاوربيين بناء على رغبة بريطانيا وضغطها، وخاصة فيما يخص محاربة تجارة الرقيق حيث فرضت على الخديوي تعيين صمويل بيكر حاكماً على مديرية خط الإستواء إستجابة لجمعية محاربة الرقيق في بريطانيا وكذلك فرضت عليه تعيين غردون بعد إنقضاء أجل بيكر لمواصلة الجهود في مجال مكافحة تجارة الرقيق، وخاصة أن الخديوي إسماعيل قد وقع مع بريطانيا اتفاقية لهذا الغرض في 1877م وقد إتبع سياسة لم تكن في مصلحة مصر ولا في مصلحة السودان بل اساءت إلى شطري وادي النيل إساءة كبيرة.<sup>8</sup> مما جعل التدخل الأوربي في شئون مصر الداخلية بدعوى حماية الدائنين من تبذير الخديوي إسماعيل ومن سياسته المالية الخرقاء امراً محتوماً، حيث بدأ التدخل إستشارياً عن طريق لجان للتحقيق والتسوية، ولكنه إرتكز على سيطرة كاملة على الموارد المالية مثل إنشاء صندوق للدين ودخول وزيرين احدهما إنجليزى والاخر فرنسي للمالية والأشغال بجانب مسئولية كاملة على سلطات السكة الحديد والجمارك حيث كان الهدف تخليص الإدارة المالية من الخديوي إسماعيل وحصرها في وزارة يشترك فيها اوربيون أو تكون تحت رقابتهم.<sup>9</sup>

لذلك كان جوهر السياسة البريطانية فيما يخص المسألة السودانية وهي في شهورها الأوائل من إحتلالها لمصر يكتنفه الحيطه والحذر يقوم على عدم التورط في القيام بأعمال حربية في السودان والإكتفاء بما تقوم به الإدارة المحلية السودانية من جهود في محاربة الثورة المهديّة، بل لم يكن لدى الإدارة البريطانية ما يمنع مصر من التخلي عن أجزاء من السودان خاصة تلك التي تشهد التمرد ضد الحكومة التركية المصرية وأن تركز إهتمامها على الحفاظ على أمن وسلامة العاصمة الخرطوم، ولكن ادت هذه السياسة في النهاية لمقتل غردون باشا حاكمدار السودان كما سيأتي لاحقاً.<sup>10</sup>

تراجع بريطانيا عن سياسة السلبية وعدم الإكتراث تجاه ثورة السودان:  
بدأت بريطانيا في التراجع عن سياسة السلبية وعدم الإكتراث لما يحدث في السودان، بعد العديد من الحوادث الجارية في السودان التي في مقدمتها إنتصارات محمد المهدي في كردفان خاصة إنتصاره

- ٧ عبد الرحمن الرفاعي، مصر والسودان في اوائل عهد الاحتلال، دار المعارف، مصر، ١٩٨٣م، ص ١١١
- ٨ محمد محمود السروجي (دكتور) دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، جامعة الاسكندرية، ١٩٩٨م ص ٣٦٦
- ٩ مكي شببكة (بروفيسر) وادي النيل بين ثورتين المهديّة والعرايبية، محاضرات معهد الدراسات الاضافية ج الخرطوم ص ١٢
- ١٠ محمد فؤاد شكري، مصر والسيادة على السودان، دار الفكر العربي، مصر، ص ٥٦

على حملة وليام هكس باشا في معركة شيكان التي إعتبرها الاوربيين بأنها كانت ضرباً من الجنون، بل اورد الرائد عصمت زلفو بأن احد لوردات مجلس العموم قد وصف تلك الهزيمة الكبيرة قائلاً ( لعل التاريخ لم يشهد منذ أن لاقى جيش فرعون نحبه في البحر الأحمر كارثةً مثل تلك التي حلت بجيش هكس باشا في صحاري كردفان حيث افنى عن آخره وقضى عليه قضاءً مبرماً) وبالفعل أعتبر بفناء

هكس وحملته في كردفان في عام 1883م بدياته النهائية للحكم التركي في السودان.11 حيث تجاهل هكس كل النصائح التي قدمها له المعاونون له ومبعوثي بريطانيا بعدم التوغل في كردفان وعدم مفارقة الضفة الغربية للنيل ولكن الغرور وعدم التوافق بينه وبين قاداته أدى لزعة الثقة وسط الجنود مما أدى لخفض الروح المعنوية للقوات الغازية وقد تبين لهكس باشا سوء تدبيرة بعدم الأخذ بأراء القادة الانجليز والمصريين الذين عملوا في تلك الجهات ولكن لم يكن لديه خيار سوى المواصلة في المغامرة، وقد خاطبة الإمام المهدي وقدم له الدعوة لإعتناق الإسلام والمهدية وتفضيل السلامة على الهلاك ولكنه قد رد على هذه الدعوة رداً غارقاً في الغرور وبعيد كل البعد عن الواقعية (بانه قادر على إمساك السماء بسيفه اذا وقعت وأنه قادر على بسط الارض بحذائه اذا تزلزلت) ولذلك ذهب إلى مصيره برفقة عشرة الف من الجنود الغزاة. وقد تحدث العديد من المؤرخين عن أسباب هزيمة جيش هكس باشا في شيكان وقد ارجعوا ذلك للتغيرات الإدارية التي حدثت في هيئة الحكم في السودان، حيث قام الخديوي بسحب اصلب العناصر في السودان وهو الحكمدار عبد القادر باشا حلمي وعين بدلاً عنه علاء الدين باشا حكمداراً على السودان وعين هكس باشا رئيساً للاركان في الجيش السوداني، وقد اثار مسألة اعفاء الحكمدار عبد القادر حلمي العديد من التساؤلات باعتباره كان الشخص المناسب لمهمة القضاء على الثورة المهدية وقد استطاع أن يحصر نفوذ الإمام المهدي في نواحي كردفان مما جعل الإمام المهدي يدعو انصاره للإبتهال والدعاء قائلين ( يا قادر اكفنا شر عبد القادر).12

كما استطاع أن يحاربه بسلاح الدين وذلك عبر حث مجموعة من العلماء المسلمين داخل وخارج السودان على إصدار بيانات تثبت بطلان الدعوة المهدية.13 وقام بتشجيع المصريين المقيمين في الخرطوم على التطوع للعمل العسكري وهم واسرهم ورتيقهم وقام بتدريبهم بنفسه تعزيراً لجيشه و أساساً من الحكومة المصرية التي كانت في مواجهة الثورة العرابية.14 وكذلك اثني عليه الكولونيل إستيوارت في تقريره وإستحسن إدارته وأعماله العسكرية، وقد تحسر علي إعفائه، وقد قام بتنفيذ تلك الدعاوي التي اشرنا لها والتي تحدثت عن عزم الحكمدار عبد القادر حلمي بفصل السودان عن الحكومة المصرية على خلفيه مطالبته للحكومة المصرية بأرسال خمسة عشر ألف جندي ليتمكن من القضاء على ثورة محمد احمد المهدي، بل إعتبر ذلك وشايه وسوء قصد من الذين روجوا لها عند الخديوي توفيق.15

١١ عصمت حسن زلفو، شيكان تحليل عسكري لحملة هكس باشا، شركة كررى للطباعة، الخرطوم،

ص ٤٥

١٢ شوقي الجمل، وعبد الله عبد الرازق، تاريخ مصر و السودان الحديث و المعاصر، دار الثقافة للنشر،

القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٣١٧

١٣ المرجع نفسه

١٤ محزون ، ضحايا مصر في السودان، مطبعة السفير الاسكندرية، ١٩٣٥م، ص ٢٠

١٥ ابراهيم فوزى ، المرجع السابق ، ص ١٢٣

## النتائج التي تترتب على هزيمة حملة هكس باشا :

وقد تترتب على هزيمة هكس باشا زيادة نفوذ الثورة المهديّة والإمام محمد أحمد المهدي كما كشفت ضعف (سياسة السلبية وعدم الإكتراث لما يحدث في السودان) التي كانت تتعامل بها بريطانيا مع تطور اوضاع السودان الثورية الأمر الذي دفع السير ايفلين بارنج بعد وصوله لمصر في منصب القنصل العام لبريطانيا حيث رأى ضرورة أن تتفاعل دولته مع أحداث السودان وأن تعترف بأهمية المسألة السودانية، وبالفعل إستجابت بريطانيا لذلك وبدأت خطوات لتصحيح مسار سياستها ولكن تحفظت على إرسال جنود للسودان مما أوقعها في تهمة التقاعس عن إنقاذ غردون باشا لاحقا وبدأت خطوات تصحيح سياستها عبر إسداء النصح لمصر باتباع سياسة تنتهي بإخلاء السودان.16 وتسارعت الأحداث نحو إخلاء السودان عقب هزيمة جيش هكس باشا في معركة شيكان على ارض كردفان، وعندما علمت الحكومة المصرية بخبر هذه الهزيمة في 23 نوفمبر اضطرت وإرتاعت وارسلت الخبر إلى مصر عبر التلغراف وبعثت وابوراتها في النيل الأبيض ونشرت قواتها من فشودة إلى الكوة وشات والدويم وشرعت في زيادة تحصين العاصمة الخرطوم، كما إتخذت عدة قرارات سريعة تمثلت في العمليات التالية:17

1 / إجلاء الحاميات العسكرية المصرية من مناطق خط الاستواء ودارفور وبحر الغزال وتجميعها في العاصمة الخرطوم لتقوية الحامية الموجودة .

2 / والإبقاء على حامية أخرى في سنار وفتح طريق بربر سواكن.

مما يدل على أن خطة الحكومة المصرية قد بنيت على المحافظة على الاقاليم في الوسط والشرق والشمال، بينما أدت هذه الهزيمة لإحداث حراك سياسي كبير في دار المندوب السامي في مصر حيث عقد ثلاثة من كبار العسكريين البريطانيين في مصر اجتماعا مع المندوب السامي البريطاني وذلك لصياغة موقف ورأي موحد تجاه ما يحدث في السودان وتمليك ذلك الرأي للحكومة البريطانية، وهم افلن وود (E Wood) واستفنسن (stephenson) والسير صوميل بيكر (Bekar) فخرج الاجتماع بأن الحكومة المصرية لن تستطيع إبقاء السودان تحت سيطرتها، بل ربما يتطور الامر إلى كيفية الإحتفاظ بمصر نفسها، لذا خرج الاجتماع بأن لا بد لمصر من الإنسحاب (Withdrawal) إلى حدود مصر، فأبرق اللورد كرومر المندوب السامي في مصر وزير الخارجية البريطاني بفحوى هذا القرار الذي الحق معه تنبيه لحكومة بلاده بانهم في دار المندوب السامي لا يمكنهم الإتزام الصمت تجاه الوضع في السودان 18.

وعلقت بروفيسر ميمونة ميرغنى حمزة على ذلك قائله بأن فحوى القرار المرسل الذي في ظاهره الإخلاء وفي باطنه التخلي ليس بجديد، حيث سبق للمندوب السامي البريطاني كرومر القيام بتقديمه من قبل، وذلك عند ورود أخبار عن الصعوبات التي تواجه حملة هكس باشا في السودان ورأي كرومر إستحالة إرسال نجده من فرق بريطانية أو هندية أو وحدات من الجيش المصري الذي بدء

١٦ نعوم شقير، تاريخ السودان، تحقيق محمد ابراهيم ابوسليم، دار الجيل بيروت ١٩٨٠م، ص ٤٠١

١٧ المرجع نفسه، ص 402

١٨ ميمونة ميرغنى حمزة (بروفيسر) تاريخ السودان الحديث ٢، نشر جامعة السودان المفتوحة،

٢٠٠٧م، ص ٩

تشكيله تحت قيادات بريطانية، وهنا اقترح كرومر الحل الذي يتمثل في الإنسحاب من السودان إلى أي نقطة على النيل يمكن الدفاع عنها، وإستخدم هنا مصطلح (Withdrawal) التي تعنى سحب ولكن دون أن يوضح أو يحدد ما إذا كان هذا الإجراء يعنى مجرد إخلاء (Evacuation) للسلطة المدنية والحاميات أم أنه تخلى (Abandonment) عن السودان، ووضحت بروفيسر ميمونة بأن هناك فرق في استخدام المصطلحين حيث يعنى الأول حاله مؤقتة وبينما يعنى الثانى حالة دائمة.19

وفي الجانب البريطاني نجد بعد هزيمة هكس باشا من قوات الإمام المهدي في يوم 5 نوفمبر 1883م نبذ السير غلادستون رئيس الوزراء البريطاني تلك السياسة السلبية ورفض كل المقترحات التي تقدمت بها الحكومة المصرية وأشار عليها بإخلاء السودان بحيث تنتهي حدودها الجنوبية عند وادى حلفا وكان ذلك في 1883م، وكانت هذه النصيحة منشأ الأزمة التي اودت بوزارة شريف باشا إلى نهايه أعمالها، ووضحت بريطانيا رؤيتها فيما يخص تدهور الأوضاع في السودان بالاتي:

1 / إن إحتلال قواتها لمصر لا يفرض عليها الإشتراك فى عمليات عسكرية بقصد إحتفاظ مصر بالسودان

2 / إنها لا تتحمل أى مسؤولية عما تتخذه الحكومة المصرية من إجراءات بشأن التعينات لحكمدارية السودان او للقوات المرسله إليه.

3 / وكل ما يمكنها عمله هو أن تنصح حكومة مصر بالتخلي عن الاقاليم السودانية على الأقل حتى تكون قادرة تستطيع الدفاع عنها كمقدمه للدفاع عن مصر.

ولكن شريف باشا رئيس الحكومة المصرية رفض هذا المشروع وقام بالإتصال بالحكومة التركية وطلب مساعدتها للإحتفاظ بالسودان ولكن لم تستجيب الحكومة التركية وكذلك طلب من حكومة بريطانيا أن تقدم له جنود هنود أو بريطانيين لقمع الثورة في السودان ولكنها رفضت ذلك كما اسلفنا القول، واصرت على تنفيذ سياسة إخلاء السودان لان مصر حسب وجهه نظرها لم تعد كما في السابق

تتوفر لها الإمكانيات المادية والعسكرية التي تمكنها من هزيمة قوات المهدي.20

وقام شريف باشا رئيس الحكومة المصرية بتقديم مذكرة للقنصل الانجليزي في مصر ايفلين بارنج وضح فيه وجهه نظر حكومته، حيث قال أن الحكومة المصرية لا يمكن أن توافق على التخلي عن اراضي لا غنى عنها قط لضمان سلامة مصر وحياتها، وأن إخلاء السودان يتنافى مع الفرمانات

العثمانية التي تمنح خديوى مصر من التخلي عن أي جزء من اراضيه، واتبع ذلك بمذكرة اخرى في 2 يناير 1884م أظهر فيها إستعداده لإعادة السودان الشرقي ومواني البحر الأحمر إلى السلطان العثماني

وأن الحكومة المصرية سوف تركز جهودها للاحتفاظ بوادي النيل حتى الخرطوم جنوباً.21 ولكن تلك المقترحات المصرية لم تجد موافقة من حكومة بريطانيا بل أرسل اللورد جرانفيلد وزير المستعمرات

برقيته الشهيرة في يناير سنة 1884م وقال فيها (لا اري حاجة الي أن اوضح لكم إنه من الواجب مادام الإحتلال البريطاني المؤقت قائماً في مصر أن تتأكد حكومة جلالة الملكة من ضرورة إتباع النصائح

التي ترى من الواجب إسداءها للخديوي في المسائل الهامة التي تستهدف فيها ادارة مصر وسلامتها

١٩ ميمونة ميرغني حمزة، المرجع السابق، ص ٩

٢٠ حسن احمد ابراهيم ( بروفيسر) تاريخ السودان الحديث، دار النشر التربوى، السودان، ١٩٨٦م، ص

٦٤

٢١ المرجع نفسه، ص ٦٥

من الخطر، ويجب على الوزراء والمديرين المصريين أن يكونوا على بينة من أن المسؤولية الملقاه الان علي عاتق الحكومة البريطانية تضطرها إلى أن تصرّ على اتباع السياسة التي تراها، ومن الضروري أن يتخلى عن منصبه كل وزير أو مدير لايسير وفقا لهذه السياسة).22 أهداف بريطانيا من إقرار سياسة إخلاء السودان:

وقد اختلفت الآراء حول هدف بريطانيا من إقرار سياسة إخلاء السودان وإلزام مصر بها وكانت كالآتي:23

اولاً / قد ارجع البعض بأن الانجليز ارادوا من إستخدام هذه السياسة متعمدين أن يخلقوا في السودان حالة تسمح لهم بتطبيق (نظرية الارض الخلاء التي لا صاحب لها) واستغلال ذلك لخلق أساس قانوني تستند عليه في الإستيلاء على السودان أمام الدول الأوربية المنافسة لها أو غير الدول الاوربية مثل تركيا أبرز الطامعين في السودان .

ثانياً / وهنا كراى آخر يقف على قدم المساواة مع الراى السابق ويستند هذا الراى لتعرض حكومة جلاستون في بريطانيا لضغط شديد من اللورد هارتنجتون أحد زعماء حزب الأحرار الحاكم في بريطانيا الذي كان مدفوعاً بوخز الضمير على خلفية مشاركته في إختيار غردون لحكم السودان، ونتيجة لذلك قام بتهديد الحكومة بالإستقالة اذا لم تتبنى مشروع لإنقاذ غردون، ولانه كان احد الأثرياء البارزين والمؤثرين في الحياة السياسة وباعتباره احد أصحاب (ذوى الشعر المستعار) ويتزعم جماعة سياسية نافذة، إضطر رئيس الوزراء البريطاني السير جلاستون للموافقة على تغير سياسة بريطانيا من (سياسة السلبية) (للسياسة التفاعل مع أحداث السودان) وبدأت الحكومة البريطانية عازمة على إنقاذ غردون بأرسال حملة لهذا الغرض ولكن يد الأنصار كانت قد إستبقت هذه الحملة وإستطاعت فتح الخرطوم وإغتيال غردون على قصره.

ثالثاً / هذا بجانب العديد من التطورات الدولية والسباق الإستعماري الذي جعل بريطانيا تغير سياستها تجاه السودان والتي على رأسها الآتى :24

أ / بدأت فرنسا تحاول الوصول لأعالي النيل مستهدفة بريطانيا التي إنفردت باحتلال مصر.

ب / كانت هناك المانيا تحاول إحتلال يوغنדה للوصول لمنابع النيل.

ج / وحاول ملك بلجيكا الوصول لمناطق الكونغو وبحر الغزال .

ونتيجة لهذه التطورات الإستعمارية في إفريقيا أصبح لبريطانيا العديد من الأسباب للتراجع عن سياستها السلبية في السودان خاصة وفى افريقيا عموماً، وبالفعل نلاحظ أن السياسة البريطانية قد تغيرت فى جنوب افريقيا وفى غربها فى غانا ونيجريا وفى السودان، حيث قررت بريطانيا تنفيذ (مبداء التدخل العسكري المباشر) للإطاحة بحكومة الدولة المهدية، هذا بجانب النشاط الدبلوماسي البريطاني الذي يتخذ العديد من الأشكال السياسية وحسب ما يقتضي الحال وحسبما تواجه من ظروف ومشكلات، حيث نجدها على الرغم من تبنيها لسياسة الأرض الخلاء التي لا صاحب لها

٢٢ داود بركات، السودان المصري و مطامع السياسة البريطانية ، مؤسسة هندواى للثقافة و النشر،

القاهرة، ص ٣٤

٢٣ عبد الفتاح عبد الصمد منصور ( دكتور) العلاقات المصرية السودانية في ظل الاتفاق الثنائي، الهينه

المصرية العامة للكتاب، ص ٢٠

٢٤ المرجع نفسه ، ص 21

ومحاولتها إذاعة ونشر ذلك نجدها تتمسك ( بسياسة تكامل الدولة العثمانية) والتي من ضمنها تتمسك بالسيادة المصرية والعثمانية علي السودان وترفض إعتبار السودان أرض فضاء لا صاحب لها وخاصة عندما تواجه عدواً أو منافساً لها في وادى النيل يريد إقتطاع أجزاء من السودان، ونتيجة لهذه السياسة المتناقضة وذات الوجهين وما نجم عنها قررت بريطانيا سياسة إسترجاع السودان لاحقاً.25

## وزارة نوبار باشا وإخلاء السودان:

ونتيجة لتلك البرقية التي أرسلها وزير الخارجية السير قرانفيل والتي في ظاهرها النصيحة ولكن تحمل في طياتها الأمر والتهديد تقدم رئيس الوزراء المصري شريف باشا بإستقالته من رئاسة الحكومة المصرية في 17 يناير سنة 1884م قائلاً ( إذا تركنا السودان فالسودان لن يتركنا ) وذلك عملاً بالقاعدة التي سنها اللورد غرانفيل وزير الخارجية البريطاني وهي ( إما أن يخضع الموظف أو يستقيل) ثم ما لبث أن ابرق السير افلين بارنج المندوب السامي البريطاني باستعداد الحكومة البريطانية لتعين وزراء إنجليز إذا تعذر وجود مصريين يقبلون تنفيذ أوامر الخديوي تحت إرشاد وتوجيه إنجلترا عبر مندوبها السامي البريطاني في مصر.26

بعد إستقالة شريف باشا، قام بتشكيل الحكومة المصرية نوبار باشا الأرمني في 10 يناير 1884م، وكانت حكومته خاضعة للإحتلال البريطاني موافقة على أوامره، ونجدها قد وافقت على تنفيذ تعليمات بريطانيا بأخلاء السودان ولا شك أن ذلك الخضوع لإرادة الحكومة البريطانية كان ضربة قاضية لكرامة الخديوي وحكومته التي أصدرت تعليماتها التالية:27

1 / إخلاء السودان وترحيل الموظفين وسحب الحاميات المصرية التي بلغت 25000 ألف جندي  
2 / كما صدر مرسوم آخر في 15 يناير ينص على إلحاق إدارة السودان بوزارة الحربية بدلاً من رئاسة الوزراء.

3 / شرعت الحكومة المصرية في دراسة مجموعة من الأسماء لإختيار حاكم مناسب للسودان يستطيع تنفيذ سياسة الإخلاء من السودان.

من بين الأسماء التي تم إقتراحها لتنفيذ سياسة الإخلاء كان الحكمدار المصري السابق عبد القادر حلمي باشا وذلك لخبرته السابقة في العمل في السودان، حيث يذكر له تحقيق العديد من النجاحات في حصار الثورة المهديّة في كردفان وتحقيق العديد من الإنتصارات عليه في وسط السودان وكان ذلك منسجماً مع إرادة بريطانيا التي كانت راغبة في تعيين إحدى الشخصيات المصرية لهذه المهمة، ولكن فشل التفاهم بين عبد القادر حلمي والسير ايفلين بارنج المندوب السامي البريطاني الذي اخبر عبد القادر باشا حلمي بأن مهمته تنحصر في إخلاء السودان على أن يتم إعلان تلك السياسة بمجرد وصوله للخرطوم، ولكن عبد القادر حلمي إعترض على ذلك بحجة أن الإعلان والكشف عن نوايا الحكومة المصرية لإخلاء السودان يقود إلى الإرتباك وعرقلة الإنسحاب نفسه.28

ونظراً لهذا الإختلاف تم صرف النظر عن الحكمدار السابق وسعى ايفلين بارنج لتعين ضابط بريطاني

٢٥ عبد الفتاح عبد الصمد منصور، المرجع السابق، ص ٢١

٢٦ محمد فؤاد شكرى، مصر و السيادة على السودان، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٢٢٢

٢٧ المرجع نفسه، ص ٢٢

٢٨ محمد فؤاد شكرى، المرجع السابق ص 223

لتنفيذ هذه المهمة، وتحت ضغط الرأي العام والصحافة البريطانية تم تعيين غردون باشا حكاماً عاماً للسودان لتنفيذ سياسة إخلاء السودان وذلك لخبرته السابقة ومعرفته بأحوال السودان وخبرته السابقة في الصين في القضاء على الحركات الدينية المتعصبة، وذلك لإرجاع الجنود والموظفين المدنيين والتجار إلى مصر. 29

## غردون باشا وتنفيذ سياسة إخلاء السودان:

وصل غردون إلى القاهرة واستقبله الخديوي توفيق وقدم له فرماناً بتعيينه حكاماً عاماً على السودان ومنحه فرماناً آخرًا يطلب منه تنفيذ إخلاء السودان من الجنود والإداريين المصريين والأجانب وتدابير وسائل إجلاءهم بأمان من السودان وبعد إكمال هذه المهمة طلب منه الخديوي تشكيل حكومة نظامية تمتع تواصل الفوضى والثورة في أنحاء البلاد. ولكن هذا التفاهم والإتفاق الذي حدث بين غردون باشا والخديوي كان تحصيل حاصل لأن التفاهم كان قد تم مسبقاً بينه وبين حكومة بريطانيا على أن تكلفه بهذه المهمة باسم جلالة ملكة بريطانيا وليس باسم خديوي مصر، لأنه يعتقد بأنه ضابط بريطاني عظيم ينفذ الأوامر التي يكون له شرف تلقيها من جلالة الملكة، وهو لا يرضى بأي حال من الأحوال أن يكون ممثلاً لخديوي مصر، فاجابته الحكومة البريطانية بأنه سيذهب للسودان ممثلاً للحكومة البريطانية وليس له أقل شأن مع الخديوي، ولكي يكون ذلك واضحاً فهو عليه السفر للخرطوم مباشرة عن طريق السويس إلى ميناء سواكن وسوف يقابله المندوب السامي البريطاني هناك، وقد تلقى بعض الأوامر السرية التي يجب أن ينفذها في السودان وهي: 30

1 / إخلاء مصر لممتلكاتها في السودان.

2 / إجلاء الجنود والموظفين المصريين.

3 / إستعادة السودان لمصلحة بريطانيا وحدها لاحقاً.

وبالفعل غادر غردون باشا القاهرة صوب الخرطوم في 26 يناير 1884م وقد صحبه الكولونيل ستيوارت وآخرين في مهمة لم تتجاوز العام، ولكن على الرغم من الصلاحيات الواسعة التي منحت له والخبرة الطويلة التي إكتسبها من خلال العمل في مديريات السودان إلا أن غردون فشل في مهمة إخلاء السودان وتعقدت مهمته حتى أصبحت مسألة انقاذه على سلم الأولويات بدلاً عن إنقاذه للعناصر الموجوده وقد كلف بإجلاءها، وقد ارتكب مجموعة من الأخطاء الجسيمة والفادحة التي حملته شخصياً مسؤولية (فشل سياسة إخلاء السودان) ووقوع العديد من الاوريين والمصريين في أسر الدولة المهديية، ويحاول الباحث هنا رصد هذه الأخطاء التي ارتكبها غردون او البعض منها وقد ادت في مجملها إلى فشل سياسة الإخلاء وسقوط الحكم التركي المصري في السودان ومقتل غردون نفسه مما فتح الباب لقيام الدولة المهديية. 31

٢٩ داود بركات، السودان المصري و مطامع السياسة البريطانية ، مؤسسة هنداوي للثقافة و النشر،

القاهرة، ص ٢٣

٣٠ داود بركات، المرجع السابق ، ص ٣٥

٣١ مكي شبكية، السودان عبر القرون ، المرجع السابق، ص ٣٩٩

## أسباب فشل سياسة إخلاء السودان:

أولا / أكبر هذه الأخطاء التي أدت لفشل سياسة إخلاء السودان من الوجود العسكري والمدني التركي المصري يرجع إلى ذهاب غردون للسودان دون أن يصحبه جيش ولو مكون من عدد قليل، مما فتح الباب لمرافقية لإبداء الدهشة من ذلك التصرف حيث نجد أن الحكمدار عبد القادر حلمي قد نصحه بأن يصطحب معه جيش حتي لو تكون من الفين جندي، ورد غردون مستسلماً وقد سخر من ذلك بقوله (بأن الله معي) ولكن عندما وصل الخرطوم تبين له خطأ تصرفه وإستعجب الأهالي لعدم وجود قوات برفقته ولكنه إستدرك بأن قال لهم انه يعتمد عليهم في إنجاز مهمته، وضح أن غردون يحاول الإعتماد على نفوذه الشخصي ولكن سلاطين باشا وصف ذلك بانه قطرة في محيط وأنه لن يتمكن من إنهاء مهمته دون جيش.<sup>32</sup>

ثانيا / ومن الإجراءات الخاطئة الاكثر خطورة التي ارتكبتها غردون كان تنويره للمسؤولين في بربر عن مهمته الثانية وهي عزم الحكومة المصرية إخلاء السودان وقد أعلن غردون ذلك في إجتماع سري بحضور مدير بربر وعدد من العمد والمشائخ، وكان لإعلان تلك السياسة نتائج مدمره على مهمة غردون وعلى حياة الذين ترغب حكومة مصر في إجلأهم عن السودان، وقصد من إعلانه لسياسة الإخلاء كسب ولاء القبائل السودانية في صراعه ضد المهدي ولكن جاء الإعلان بنتائج عكسية كان يمكن لاي حصيف توقعها، حيث رأت القبائل بأن الحكومة المصرية سوف تغادر وسوف تتركهم لمصيرهم في مواجهه قوات المهدي لذلك سارع العديد من رجال القبائل بعد أن تكشفت لهم نوايا الحكومة بأن عملوا على الإلتحاق بجيوش المهدي، وقد صرح اللورد ايفلن بارنج بأن إعلان سياسة الإخلاء بانها من الأخطاء الكبيرة التي ارتكبتها غردون وإستفاد منها الإمام المهدي الذي اظهر للجميع عدم جدوى الحكومة التي تحقبت في أغراضها مسرعة وراغبة في ترك الجميع، وبالفعل ربح المهدي العديد من العناصر التي تسرب نقصان الأمل في التغيير إلى نفوسهم.<sup>33</sup>

ثالثا / في 18 فبراير وصل غردون إلي الخرطوم فكان أول ما عمله أنه أذاع منشوراً بتعيين المهدي حاكماً علي كردفان وإقترح الدخول معه في مفاوضات وطلب منه الإفراج عن الأسرى وأرسل إليه هدايا من الملابس الثمينة، وقد علق سلاطين باشا على هذه الخطوة بأنها كان يمكن أن تكون لها قيمة إذا كانت معه قوة عسكرية سار بها لكردفان لثم له ذلك، ولكن هذه الخطوة كانت عديمة الجدوى والنتفع.<sup>34</sup> لان الأخبار بلغت المهدي في كردفان واصبح يعلم علماً تاماً بما يدور في مصر ذاتها حيث كان له من يوافيه باحوالها وقد كتب له احد أعوانه ووضح له بأن الحالة السياسة في مصر تنتقل من سوء إلى اسواء وأن حكومة مصر لاتقوى على تقديم المساعدة إلي حكومة السودان.<sup>35</sup> وكذلك علم المهدي بأن غردون جاء إلي الخرطوم وليس معه سوى عدد قليل من الحرس، بل أن المهدي قد تعجب من تصرف غردون بأن كيف يمنحة ملكاً علي كردفان بالكلام وقد حصل عليه بنفسه بقوة السيف وأنه (أي)

٣٢ سلاطين باشا، السيف و النار، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة، مصر، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ٦٧

٣٣ عبد الفتاح عبد الصمد منصور، المرجع السابق، ص ٢٥

٣٤ سلاطين باشا المرجع السابق، ص ٦٧

٣٥ موسي عبد الله حامد، الثورة المهدية و العلاقات السودانية المصرية، بحوث المؤتمر العالمي لتاريخ المهدية، جامعة الخرطوم، دراسات في تاريخ المهدية، تحرير عمر عبد الرازق النقر، ١٩٨١م، ص ٥٣

غردون نفسه غير قادر على أن يسترده منه، مما جعل المهدي يرد عليه ويطلب منه أن يسلم الخرطوم ويحقن بذلك دمه ودم مواطنيه من المصريين والأجانب.<sup>36</sup>

رابعا / من الإجراءات الصادمة التي إتخذها غردون ولم يحسن تقديرها وجاءت نتائجها عكسية بغير ما توقع حيث لا يغفر له (اباحته لتجارة الرقيق ) بعد أن تم إبطالها في السابق، حيث ابلى المسئولين في بربر رسميا تعليق العمل بالاتفاقية الموقعة بين مصر وبريطانيا الخاصة بإلغاء تجارة الرقيق، بل أكد على عزيمة على إصدار قرار يبيح العمل بتجارة الرقيق، ولم يدري بأن هذا الإجراء لن يخدم سوى تجار الرقيق ابرز مناصري الثورة المهديية، واكبر الحاقدين عليه، حيث هما الذين لم نسوا له بأنه هو من قام بطرد الجلابة من الجنوب في حربه ضد الزبير وخاصة عشائر الجعليين الذين يتوقع أن يكرهوه لا أن يتعاونوا معه وهم الذين فقدوا الكثير من أباهم وابنائهم أو اقاربهم ولم ينسوا أن غردون كان السبب في ذلك، كما ثار الرأي العام في بريطانيا ضد هذا الإجراء بل تم إعتبره ردة كبيرة في مجال الحقوق الإنسانية، ولا يغفر له مقولته (بعدم قدرته على مواجهه تجارة الرقيق).<sup>37</sup>

خامسا / من الأخطاء الكبيرة التي صاحبت اداء غردون خلال فترته القصيرة كحاكم عام على السودان إضاعته للكثير من الوقت في أمر تشكيل حكومة وطنية نظامية، مما خلق الكثير من الريبة التي شككت في نوايا مغادرته للسودان وجعل المستهدفين من الإخلاء غير راغبين في المغادرة ويقول سلاطين باشا بأن غردون أضاع الكثير من الوقت، وإن إخلاء السودان كان يمكن أن يتم بقليل من الجهد والمال والرجال ودون الحاجة لوجود غردون باشا حكمداراً في الخرطوم.<sup>38</sup>

سادسا / شغل غردون نفسه بمسألة من سيخلفه على رأس الحكومة الوطنية في السودان وإقترح على الحكومة البريطانية شخصية الزبير باشا رحمة بل اسرع في طلبه من القاهرة، وكان في السابق قد ساءت العلاقات بينهما على اثر مقتل ابن الزبير سليمان ولكن هذه الصفحة قد طواها الطرفان، ولكن الحكومة البريطانية ابلغته عبر القنصل في مصر بأن الرأي العام في بريطانيا لا يحتمل ولا يقبل فكرة وصول الزبير لحكم السودان، مما جعل غردون يقول من العار على حكومة صاحبة الجلالة عدم الموافقة على عودة الزبير باشا للخرطوم لانه يعرف كيف يتعامل مع السودانيين وأدى هذا الرفض لنقصان ثقة غردون في حكومته البريطانية.

سابعا / من الأفكار غير المسئولة التي تعامل بها غردون خلال فترة حكمادريته على السودان بغرض تنفيذ سياسة الإخلاء، محاولته تهديد الجميع بانه يمكن أن يبحر بما لديه من سفن ويدخل في خدمة ملك بلجيكا ليوبولد اذا اصرت الحكومة البريطانية على تنفيذ سياسة الإخلاء.<sup>39</sup>

ويمكن القول ختاماً إن غردون قد اضاع الكثير من الوقت في البحث في قضايا لا طائل منها وفي حوار ومكاتبات مع الإمام المهدي لا جدوى منها، وأن الحكومة المصرية والبريطانية كانتا على خطأ عندما إعتقدتا بأن معرفته السابقة بالبلاد التي خدم فيها وبعض الصفات الشخصية الخاصة به (غردون) مثل شجاعته وإشتهاره بالرفق بالفقراء قادرة على تسكين الثورة وتهده الأحوال، ولكن تلك الأخطاء فتحت الطريق للمهدي لإختبار قواته ولتجميع انصاره وقام بضرب حصار قاسى على العاصمة

٣٦ سلاطين باشا، المرجع السابق، ص ٦٥

٣٧ سلاطين باشا، المرجع السابق، ص ٦٠

٣٨ عبد الفتاح عبد الصمد منصور، ص ٢٧

٣٩ مكى شبكية، المرجع السابق، ص ٣٠٠

الخرطوم انتهى بمقتل غردون داخل قصره ولم تسعفه محاولات بريطانية لانقاذه بارسال حملات الانقاذ التي وصلت بعد 26 يناير 1885م حيث سقطت العاصمة الخرطوم في يد الغزاة ليعرف هذا الحدث ويصحح بفتح الخرطوم.

## النتائج والتوصيات:

### أولاً / النتائج :

- 1 / السياسة التي تبنتها بريطانيا العظمى خلال فترة الحكم التركي المصري في السودان هي (سياسة السلبية وعدم الإكتراث لما يحدث في السودان).
- 2 / أراد الانجليز من إستخدام هذه السياسة متعمدين أن يخلقوا في السودان حالة تسمح لهم بتطبيق) نظرية الارض الخلاء التي لا صاحب لها) وإستغلال ذلك لخلق أساس قانوني تستند عليه في الإستيلاء على السودان امام الدول الاوربية المنافسة لها أو غير الدول الاوربية مثل تركيا ابرز الطامعين في السودان .
- 3 / كانت سياسة الحكومة المصرية تجاة السودان خاضعة للإحتلال البريطاني موافقة على اوامره، ونجدها قد وافقت على تنفيذ تعليمات بريطانيا بأخلاء السودان ولا شك أن ذلك الخضوع لإرادة الحكومة البريطانية كان ضربة قاضية لكرامة الخديوي ولسياسة حكومته.
- 4 / إن سياسة الحكومة المصرية والبريطانية كانتا على خطأ عندما إعتقدتا بأن معرفه غردون باشا السابقة بالبلاد التي خدم فيها وبعض الصفات الشخصية الخاصة به (غردون) مثل شجاعته إشتهاره بالرفق بالفقراء قادرة على تسكين الثورة وتهدئه الأحوال.
- 5 / أصبح لبريطانيا العديد من الأسباب للتراجع عن سياستها السلبية في السودان خاصة وفي إفريقيا عموماً، وبالفعل نلاحظ أن السياسة البريطانية قد تغيرت في جنوب إفريقيا وفي غربها في غانا ونيجريا وفي السودان، حيث قررت بريطانيا تنفيذ مبداء (التدخل العسكري المباشر) للإطاحة بحكومة الدولة المهدية، بعد عن حققت أغراضها من سياسة السلبية وعدم الإكتراث لما يحدث في السودان.

### ثانياً / التوصيات :

يوصي الباحث بأجراء مزيد من الدراسات حول سياسة بريطانيا ومصر نحو السودان خلال فترة الحكم التركي المصري خاصة بعد الإفراج عن مجموعة الوثائق البريطانية الخاصة بالسودان بتلك الفترة.

## قائمة المصادر والمراجع:

- 1 . إبراهيم فوزى، كتاب السودان بين يدي غردون وكتشنر، دار الكتب و الوثائق القومية ، مصر .
- 2 . قميوثي ميتشل، إستعمار مصر، ترجمة بشير السباعي، احمد حسان، مدارات للابحاث والنشر، 2012م .
- 3 . داود بركات، السودان المصري ومطامع السياسة البريطانية ، مؤسسة هنداوى للثقافة والنشر، القاهرة.
- 4 . حسن احمد ابراهيم ( بروفيسر) تاريخ السودان الحديث، دار النشر التربوى، السودان، 1986م.
- 5 . سلاطين باشا، السيف والنار، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، مصر، القاهرة، 2012م.
- 6 . شوقي الجمل، (دكتور) وعبد الله عبد الرازق،(دكتور) تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1997م.
- 7 . عبد الرحمن الرفعى، مصر والسودان في أوائل عهد الإحتلال، دار المعارف، مصر، 1983م.
- 8 . عبد الفتاح عبد الصمد منصور ( دكتور) العلاقات المصرية السودانية في ظل الإتفاق الثنائي، الهيئه المصرية العامة للكتاب.
- 9 . عصمت حسن زلفو، شيكان تحليل عسكري لحملة هكس باشا، شركة كررى للطباعة، الخرطوم.
- 10 . مكى الطيب شببيكة ( بروفيسر) السودان عبر القرون، دار الجيل، بيروت، 1991م.
- 11 . مكى الطيب شببيكة، ( بروفسر) وادى النيل بين ثورتين، محاضرات معهد الدراسات الإضافية، جامعة الخرطوم ، 1965م
- 12 . محمد فؤاد شكرى، مصر والسيادة على السودان، دار الفكر العربي ، مصر.
- 13 . محمد محمود السروجى (دكتور) دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، جامعة الاسكندرية، 1998م.
- 14 . محزون ، ضحايا مصر في السودان، مطبعة السفير الاسكندرية، 1935م.
- 15 . ميمونة ميرغنى حمزة ( بروفيسر) تاريخ السودان الحديث 2، نشر جامعة السودان المفتوحة، 2007م.
- 16 . موسي عبد الله حامد، الثورة المهديية والعلاقات السودانية المصرية، بحوث المؤتمر العالمى لتاريخ المهديية، جامعة الخرطوم، دراسات في تاريخ المهديية، تحرير عمر عبد الرازق النقر، 1981م.
- 17 . نعوم شقير، تاريخ السودان، تحقيق محمد ابراهيم ابوسليم، دار الجيل بيروت 1980م.

# النظم: نظرية نحو المعاني

## (دراسة بلاغية ونحوية ولغوية)

### EL-NAZM: (Meanings Grammar Theory Rhetorical Grammatical Linguistically)

أستاذ مساعد  
كلية إفريقيا الجامعية - سابقاً

د. سامي حامد طيب الأسماء دفع الله

#### مستخلص:

إنَّ أكمل ما أنجزته نظرية النظم توجيه الدراسة النَّحوية إلى جوانب جمالية، تركيبية ترصد العلاقات الدلالية المتفاعلة في الجملة ونسقها المعنوي في الظاهرة اللغوية، وقد قامت نظرية النظم التي ابتدعها الجرجاني على أسس وركائز أهمها: الأساس النحوي، والعلاقة بين اللغة والفكر والانسجام؛ وتمثل هذه المرتكزات المنهج الفكري للجرجاني. تهدف هذه الدراسة إلى إعداد منهج لغوي متكامل لفهم النظريات البلاغية والنحوية واللغوية برؤية متكاملة لا تفصل بين هذه العلوم بل تثبت أنها نظرية لغوية مركزية واحدة، وتأسيس منهج دراسي متكامل لطلاب الدراسات العليا، واستحداث وسائل جديدة لتدريس نظرية النظم مناصفة مع تدريس نظريتي السياق والعامل، وتبيين وإثبات أن نظرية النظم هي المنهج الأول في التحليل البنيوي للنص وفق رؤية تستمد قواعدها من ارتباط البلاغة بالمعاني النَّحوية، وقد انتهج الباحث المنهج الوصفي التحليلي، مع المنهج المقارن التقابلي. ويتبدى ذلك جلياً في تحليل العلاقات التركيبية المختلفة بين الجملة الواحدة، أو الجمل في طرق تأدية المعنى، فيتناول المعنى الوظيفي في السياق أو التركيب للوصول إلى المعنى الدلالي كما أوصت الدراسة بتدريس نظرية النظم بوصفها (نظرية نحو المعاني)، على ألا تدرس بمعزل عن نظرية العامل، والنظرية السياقية، ونظرية تضافر القرائن، والنظرية التوليدية والتحويلية؛ لما التمسته الدراسة من عُسر وتعقيد فهم هذه النظريات حين تدرس بمعزل عن بعضها بعضاً، مقارنة بيسر وسهولة إدراك كنهها عند دراستها مجتمعة ومتسلسلة، إضافة للفائدة المرجوة من النظرة الشاملة لعناصر النظرية اللغوية الحديثة، ومدى نضجها واكتمالها، وما يعتورها من نقصان وقصور، وبذا تكتمل الفائدة، وتتضح الرؤية، لتفسير الغموض الذي يحيط بهذه النظريات.

الكلمات المفتاحية: النظم، التعليق، المعنى، الترتيب، التخيير.

## EL-NAZM: (Meanings Grammar Theory) Rhetorical Grammatical Linguistically

### Abstract:

The most comprehensive achievement of EL-NAZM Theory is directing grammatical study to ornamental and structural aspects counting indicative relations interactive in the sentence and its meaning form in the linguistically phenomenon. EL-NAZM Theory, first innovated by Aljirjani, is based on the following important bases: Grammatical base, relation between the language, intellect and harmony. These bases represent the intellect methodology of Aljirjani. This study aims to prepare comprehensive linguistically methodology to understand rhetorical, grammatical and linguistically theories with comprehensive vision confirming that they are one central linguistically theory rather than separate sciences. It also aims to establish comprehensive curriculum for graduate students' studies and create new methods for teaching EL-NAZM Theory equally with teaching Context and Amil Theories. The study also aims to explain and prove that EL-NAZM Theory is the first methodology in the structural analysis of the text based on vision deriving its principles from connection of rhetoric with grammatical meanings. This is explicitly shown in analysis of various structural relations between one sentence(s) in methods of explaining the meaning by taking the functional meaning in the context or structure to find out the indicative meaning. The researcher had taken the analytical descriptive methodology with the comparative methodology (confronting). The study also recommended teaching EL-NAZM Theory as Meanings Grammar together with Amil Theory, Contextual Theory, Theory of Transformational index and Clues Coalesce Theory for difficulty and complexity in understanding these theories when teaching them separately compared with easy understanding of their meanings when teaching them together sequential in addition to the contemplated benefit from the comprehensive view of the elements of the modern linguistically theory, extent of its maturity and completeness, deficiency and default. Therefore, full benefit will be gained and vision will be clear for interpreting ambiguity surrounding these theories.

Key words: EL-Nazm, Interlelatedness, Meaning, Order, Choice .

## المقدمة:

لقد حاولت الدراسات المختلفة في مجال الفكر اللغوي الوصول إلى رأي في كنه البيان القرآني، وإلى السرّ البديع في نظمه ودقة وصفه؛ دراسات أقامها اللغويون والمتكلمون والنحاة والنقاد والمتفلسفة من القدماء والمحدثين، وقد نتج عن هذه الجهود اكتشاف نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ووضع ثلاثة علوم تمثل هذه الاتجاهات وهي: البيان والمعاني والبديع، وهذه العلوم يجمعها إطار مشترك هو "العلاقة بين الاختيار الأسلوبي بكونه رمزاً وبين المعنى" (1).

يهدف هذا البحث إلى إيجاد منهج متكامل لفهم النص العربي، وتبيان القدرات التفسيرية للنحو والبلاغة والعلوم اللسانية مجتمعة، وتبيان أن دراسة النظريات البيانية وفهمها لا يتم بمعزل عن دراسة النحو والظواهر اللغوية كالسياق والقرائن، وأن نظرية النظم قيمة بتحقيق هذه الغايات. مشكلة البحث:

لم يستنبط اللغويون أسساً واضحةً للنظرية اللغوية العربية بل ذهبوا مذاهب شتى بعدت بها الشقة بين النحو والنظم والمعنى، وهذه الدراسة تحاول الإجابة عن سؤال مهم مفاده ما علاقة النحو بالمعنى؟ وما علاقة النظم باللفظ والمعنى، وما الأسس التي قامت عليها نظرية النظم والقواعد التي تتحقق بها القدرات التفسيرية لهذه النظرية؛ لتُميط اللثام عن رؤية أتت لتثبت نظرية (نحو المعاني). وقد جاءت أهداف هذا البحث عامدةً إلى إيجاد منهج متكامل لفهم النص العربي، وتبيان القدرات التفسيرية للنحو والبلاغة والعلوم اللسانية مجتمعة، وتبيان أن دراسة النظريات البيانية وفهمها لا يتم بمعزل عن دراسة النحو والظواهر اللغوية كالسياق والقرائن، وقد قُسم هذا البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخبّاقة ونتائج وتوصيات ثم مصادر ومراجع البحث، وقد جاء المبحث الأول بعنوان (النظم لغةً واصطلاحاً)، والمبحث الثاني حمل عنوان (النظم عند عبد القاهر الجرجاني)، أما المبحث الثالث فقد جاء بعنوان (ركائز نظرية النظم)، وأخيراً حمل المبحث الرابع عنوان (دلالات التراكيب النحوية والسياقية).

١ ( ينظر ابن جني، (الخصائص)، باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني وباب قوة اللفظ لقوة المعنى، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٦، ج٢، ص١٥٤ و ج٢ ص٢٦٧.

## المبحث الأول: النظم لغةً واصطلاحاً :

### أولاً / النظم لغةً :

ورد في معجم العين: "نَظَمَ: النَّظْمُ نَظْمُكَ خَرَزًا بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ فِي نِظَامٍ وَاحِدٍ، وَهِيَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى قِيلَ: لَيْسَ لِأَمْرِهِ نِظَامٌ؛ أَي: لَا تَسْتَقِيمُ طَرِيقَتُهُ. وَالنِّظَامُ كُلُّ خِيَطٍ يُنْظَمُ بِهِ لَوْلُوٌّ أَوْ غَيْرُهُ فَهُوَ نِظَامٌ" (2). فالنظم إذا عند الخليل هو جمع الأشياء ووضعها في نظام واحد.

وفي صحاح العربية: "نَظَمْتُ اللَّوْلُوَّ أَي: جَمَعْتُهُ فِي السُّلْكِ، وَالتَّنْظِيمُ مِثْلُهُ، وَمِنْهُ نَظَمْتُ الشَّعْرَ وَنَظَمْتُهُ" (3). مَّا يَعْنِي التَّرْتِيبَ وَالْجَمْعَ.

يقول ابن فارس: "النون والطاء والميم أصل يدل على تاليف شيء... نظمت الخرز نظماً، ونظمت الشعر وغيره، والنظام: الخيط يجمع الخرز" (4).

ويقول ابن منظور: "نَظَمَ: النَّظْمُ: التَّأْلِيفُ نَظْمَهُ يَنْظُمُهُ نِظْمًا وَنِظَامًا، وَنَظَمَهُ فَانْتَضَمَ وَتَنَظَّمَ، وَنَظَمْتُ اللَّوْلُوَّ: أَي جَمَعْتُهُ فِي السُّلْكِ، وَالتَّنْظِيمُ مِثْلُهُ، وَمِنْهُ نَظَمْتُ الشَّعْرَ وَنَظَمْتُهُ، وَنَظَمَ الْأَمْرَ عَلَى الْمَثَلِ، وَكُلِّ شَيْءٍ قَرْنَتَهُ لِأَخْرَ أَوْ ضَمَمْتِ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ فَقَدِ نَظَمْتَهُ، وَالنِّظْمُ الْمُنْظُومُ وَصِفَ بِالمُصَدِّرِ، وَالنِّظْمُ: مَا نَظَمْتَهُ مِنْ لَوْلُوٍّ وَخَرَزٍ وَغَيْرِهِمَا. وَنِظَامٌ كُلُّ أَمْرٍ: مَلَكَه، وَالْجَمْعُ أَنْظَمَةٌ وَأَنْظِيمٌ، وَنَظْمٌ، وَالْأَنْظَامُ الْأَنْسَاقُ" (5). وَفِي التَّعْرِيفَاتِ: "النَّظْمُ فِي اللُّغَةِ جَمْعُ اللَّوْلُوِّ فِي السُّلْكِ" (6).

ثانياً /النظم اصطلاحاً :

اهتم علماء البلاغة القدماء ببلاغة القرآن وإثبات إعجازه، وبيان عظمته وتبيان أسرارها؛ ومن هنا جاء اهتمامهم بمصطلح النظم، فألفوا كتباً عديدة تتضمن عناوينها كلمة النظم، مثل كتاب أبي عبد الله محمد بن زيد الواسطي (306) المسمى (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه)، وقد شرح الجرجاني كتاب الواسطي مرتين؛ ويبدو أنه وجد فيه ما يوافق فكرته الجوهرية للنظم بوصفه إعجازاً للقرآن، يقول محمد نايل: "إن موضوع الكتاب - يقصد كتاب الواسطي - هو خصائص النظم القرآني التي تظهر جانب الإعجاز فيه، كما أن عبد القاهر الجرجاني قد شرح هذا الكتاب شرحين؛ أحدهما صغير، والآخر

٢ ( ) الخليل بن أحمد الفراهيدي، (معجم العين) ، تح: مهدي المخزومي، وإبراهيم

السامرائي، مكتبة الهلال، د.ط، د.ت، ج ٨، ص ١٦٥، مادة «ن ظ م» .

٣ ( ) الجوهرى، (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم

للملايين، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م، ص ٢٠٤١، مادة «ن ظ م» .

٤ ( ) ابن فارس، (معجم مقاييس اللغة) ،مادة «ن ظ م» .

٥ ( ) ابن منظور، (لسان العرب) ،مادة «ن ظ م» .

٦ ( ) الشريف الجرجاني، (معجم التعريفات) ، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر

والتوزيع، القاهرة، ص ٢٠٣.

## النظم: نظرية نحو المعاني - (دراسة بلاغية ونحوية ولغوية)

كبير، فلولا أن الشيخ وجد في الكتاب ما يوافق نظمه ما شرحه مرتين“ (7).  
أما أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (388هـ) فقد استطاع أن يقدم صورة لأسباب الجمال في التركيب، فتناول الظاهرة البيانية ميرزا تميز الكلمات وما تحملها من دلالة؛ وبذلك يكون قد نظر إلى العمل الأدبي نظرة أسلوبية تبين أثر الجزئيات في البناء الكلي، ويُخصّص الخطابي فكره اللغوي مبينا سر الإعجاز عنده بإيجاز شديد في المعنى واللفظ والنظم، يقول: “ وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظٌ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم” (8).

ويستخدم الباقلاني (403هـ) مصطلحات النظم والتأليف والرصف والرتبة، للتعبير عن فكرة النظم بقوله: “ ولقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه على حد واحد في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا” (9).

كما يأتي تعريف النظم عند الزمخشري أنه “ حُسْنُ التَّأْلِيفِ، وَجُودَةُ التَّرْكِيبِ، وَحُسْنُ الوَصْفِ” (10).  
وأورد الشريف الجرجاني أن النظم هو “ تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني متناسبة الدلالات، على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل: الألفاظ المرتبة المسوقة المعبرة دلالاتها ما يقتضيه العقل” (11).  
والنظم أيضاً هو “ التأليف الشعري عامة الذي يلتزم قواعد متواضع عليها من حيث الوزن خاصة والعروض عامة،... وقد يعني النظم قرض الشعر” (12).

إلا أن هذا المصطلح لم تكتمل دلالاته إلا في القرن الخامس الهجري على يد عبدالقاهر الجرجاني (ت471هـ) الذي أقام دعائمه وأركانها. و تعريف النظم عند عبدالقاهر الجرجاني “ هو تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض” (13).  
ومما سبق فالنظم هو الضم والجمع على نحو مخصوص؛ فهو يُشبهه الخيط الجامع للؤلؤ في التعريف اللغوي، وفي الاصطلاح: هو الترتيب والتناسق الرابط والجامع بين الألفاظ والمعاني.

- ٧ ( ) محمد نايل أحمد ، (نظرية العلاقات أو النظم بين عبدالقاهر الجرجاني والنقد الغربي الحديث)، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة، ط ١ ، ١٩٨٩م، ص ١٤.
- ٨ ( ) الخطابي أحمد بن محمد بن إبراهيم ، (بيان إعجاز القرآن) ، تحقق: محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف ، مصر ، ثلاث رسائل، ص ٢٤.
- ٩ ( ) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد (إعجاز القرآن) ، تحقق: السيد أحمد صقر ، دار المعارف، مصر ، (د.ت) ص ٥٦.
- ١٠ ( ) الزمخشري، (أساس البلاغة)، شرحه وعلق عليه: محمد أحمد قاسم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط ١ ، ٢٠٠٣م، ص ٨٦٠ .
- ١١ ( ) الشريف الجرجاني، (معجم التعريفات) ، ص ٢٠٣.
- ١٢ ( ) مجدي وهبة، وكامل المهندس، (معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب) ، مكتبة لبنان، ط ٤ ، ١٩٨٢م، ص ٤١٤.
- ١٣ ( ) عبدالقاهر الجرجاني، (دلائل الإعجاز) ، ص ٢٠٣.

## المبحث الثاني: النظم عند عبدالقاهر الجرجاني:

كان البحث في وجوه الإعجاز القرآني سبباً في إثارة قضية النظم، واستأثرت باهتمام كثير من علماء اللغة والبيان، حتى خصّها بعضهم بمؤلفات مفردة، حاولوا عبرها إبراز جمالية النظم القرآني في وجه شبّهات المبطلين.

وقد خصّ أبو هلال العسكري الناس على تعلّم الفصاحة والبلاغة كأدوات لمعرفة القدرات الإعجازية في القرآن الكريم يقول: "إن أحق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ بعد معرفة الله جل ثناؤه، علم البلاغة ومعرفة الفصاحة، الذي يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى... وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبلاغة التركيب"<sup>(14)</sup>. وما حسن التأليف وبلاغة التركيب إلا النظم.

لم يكن النظم قبل عبدالقاهر الجرجاني يرقى إلى مستوى النظرية، ولم يكن محيطاً بألوان البلاغة كافة، ولم يشمل جميع التعبيرات، وإنما كان تنفّساً متفرقة هنا وهناك لا يجمعهما رابط ولا ينظمها سلك، ولم تكن عماداً يرتكز عليه في الأسلوب والتعبير.

ورغم ذلك فقد كانت نظرية النظم عند الجرجاني تتويجاً لمباحث البلاغيين والمتكلمين في مسألة اللفظ والمعنى عبر العصور، إذا لم تكن نظرية النظم التي وضعها الجرجاني وليدة الصدفة أو اللحظة؛ بل كانت جهوداً فكرية متواصلة، شارك فيها العلماء والباحثون - كما جاء سابقاً في هذا البحث - في مجال الفكر والمعرفة، يقول وليد مراد: "إلا أن جهودهم هذه لم تتخذ منهاجاً علمياً إلا على يدي عبدالقاهر الجرجاني في نظرية النظم التي يرى فيها صورة الإعجاز القرآني مع حقيقة العلاقة الرابطة بين اللفظ والمعنى، واللغة والفكر بكونها علاقة عضوية قائمة، يمكن إدراكها بالفكر والذوق"<sup>(15)</sup>.

لقد تحدّدت معالم النظم واتضح قسماتها على يد عبدالقاهر الجرجاني دون غيره؛ لأنّ النظم قبل عبدالقاهر لم يكن مقصوداً عن عمد أو مدروساً بطريقة مباشرة، وإنما هو شئ عفوي نابع من ملاحظات العلماء حين يؤخّذون بجمال الشعر أو الإعجاز في القرآن الكريم في داخل هذا النطاق فحسب، أمّا عند عبدالقاهر فهو عمل مدروس، ومحور يدور حوله كتابه "دلائل الإعجاز" كله، وهو القصد من تلك الدراسة الواسعة التي نهضت على أكتاف النحو وعلى تماسك لبناته حتى إنه يرجع كل جمال في النظم إلى مراعاة أحكام النحو.

## المبحث الثالث: ركائز نظرية النظم

لقد قامت نظرية النظم مرتكزةً على أربعة ركائز رئيسة؛ والركيزة الأولى هي ما أسماه ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالألفاظ على حذوه، وإحكاماً لهذه الركيزة يميز عبدالقاهر بين نظم الحروف ونظم الكلم، وبهذا يتفاضل البلغاء، أمّا الركيزة الثانية فهي فكرة التعلق؛ فالألفاظ كما يراها الجرجاني لا توضع متجاورة دون تعلق بعضها ببعض؛ وإنما يرتبط بعضها ببعض بعلاقات نحوية لا يتم بدونها

١٤ ( ) أبو هلال العسكري، (كتاب الصناعتين)، ص ١.

١٥ ( ) وليد محمد مراد، (نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبدالقاهر الجرجاني)، ص ٦.

## النظم: نظرية نحو المعاني - (دراسة بلاغية ونحوية ولغوية)

كلام ولا يفهم حديث، ولما كان تعلق الألفاظ بعضها ببعض لا يكفي، حتى يختار لكل لفظ موقعه المناسب، ولا تستطيع إزالته عنه أو نقله إلى موقع آخر دون أن تفسد النظم وتذهب بالمزية والقيمة البلاغية؛ كانت الركيزة الثالثة وهي تخيير الموقع؛ يقول الجرجاني: "وهل يقع في وهم وإن جهد أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية، وأن تكون حروف هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية، وأما يكد اللسان أبعد؟ وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعد مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعنى جارتها وفضل مؤانستها لأخواتها" (16).

وإذا كانت الألفاظ ترتب حسب ترتيب المعاني في النفس بحيث يتعلق بعضها ببعض، وتقع موقعها الملائم من النظم فلا بد من وسيلة لمعرفة الفروق الدقيقة التي تكون بين نظم ونظم، والتي يقع بها التفاوت ويكون بها التفاضل، وهذه الوسيلة الكاشفة مردها إلى "علم النحو" وهو الركيزة الرابعة من ركائز نظرية النظم.

الركيزة الأولى ترتيب المعاني في النفس ثم النطق بالألفاظ على حذوها: أبان الجرجاني في أول كتابه (دلائل الإعجاز) أن هدفه من تأليفه هو تمكين الدارس من وضع يده على الخصائص والمزايا التي تعرض في الكلام، حتى يفضل بعضه بعضاً، ثم يتعاطم ذلك الفضل حتى يبلغ حد الإعجاز الذي يسلب أبواب البلغاء، فتتحسر دونه مطامعهم، فيقرّون جميعاً بالعجز. يقول: "ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة، وفي بيان المغزى من هذه العبارات، وتفسير المراد بها، فأجد بعض ذلك كالرمز والإيماء، والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيء ليطلب، وموضع الدفين ليبحث عنه فيخرج، وكما يفتح لك الطريق إلى المطلوب لتسلكه، وتوضع لك القاعدة لتبنى عليها، ووجدت المعول على أن ههنا نظماً وترتيباً، وتاليفاً وتركيباً، وصياغة وتصويراً، ونسجاً وتخييراً، وأن سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه، وسبيلها في الأشياء التي هي حقيقة فيها، وأنه كما يفضل هناك النظم والنظم، والتأليف، والنسج، والنسج، والصياغة الصياغة، ثم يعظم الفضل، وتكثر المزية، حتى يفوق الشيء نظيره والمجانس له درجات كثيرة، وحتى تتفاوت القيم التفاوت الشديد، كذلك يفضل بعض الكلام بعضاً، ويتقدم منه الشيء، ثم يزداد فضله ذلك ويترقى منزلة فوق منزلة، ويعلو مرتباً بعد مرتب، ويستأنف له غاية بعد غاية، حتى ينتهي إلى حيث تنقطع الأطماع، وتحسر الظنون، وتسقط القوى، وتستوي الأقدام في العجز" (17).

إن ترتيب الألفاظ عند الجرجاني منوط بترتيب المعاني؛ فإذا ترتبت المعاني جاءت الألفاظ مرتبة على نسقها من غير استئناف نظراً جديداً يقول الجرجاني: "فلا يتصور أن تعرف للفظ موضعاً من غير أن

١٦ (١٧) عبدالقاهر الجرجاني، (دلائل الإعجاز)، ص ٤٤.

١٧ (١) المصدر السابق، ص ٣٤-٣٥.

(١٩) المصدر السابق، ص ٥٣-٥٤.

(٢٠) المصدر السابق، ص ٣٢٧.

## النظم: نظرية نحو المعاني - (دراسة بلاغية ونحوية ولغوية)

تعرف معناه، ولا أن تتوَحَّى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيباً ونظماً، وأنك تتوَحَّى الترتيب في المعاني وتُعمل الفكر هناك، فإذا تمَّ لك ذلك أتبعتهما الألفاظ وقَفُوتَ بها آثارها، وأنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلي أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها خدْمٌ للمعاني، وتابعةٌ لها، ولا حقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علمٌ بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق“ (18).

والجرجاني في موقفه من اللفظ لم يتحيز للمعنى كلياً؛ وإنما كان يعتقد بتلازمهما نظراً لطبيعة الوظيفة الدلالية التي يقدمهاها معاً للكشف عن الصورة داخل النص؛ ” إذ لا يعقل أن يقصد أولاً إلى ترتيب المعاني في استقلال عن اللفظ، ثم بعد ذلك يستأنف النظر في الجملة الدالة عليها، يقول الجرجاني:“ ولا يقصد إلى ترتيب الألفاظ وتواليها على نظام خاص في استقلال عن الفكر، ويمكن هنا الترتيب للألفاظ يقع ملازماً للمطلوب الأول، وهو المعنى المدلولُ عليه في الصورة“ (19).

انطلق عبد القاهر من ثنائية اللفظ والمعنى وما ترتب عنهما من مبالغات في تفضيل الواحد عن الآخر، وكانت من أبرز المسائل التي اعتنى بها في كتابيه (20)، وكيف لا واللفظ والمعنى أساس الظاهرة اللغوية، وجوهر الكلام من حيث تألفهما وتوافقهما في المفردة الواحدة أو أكثر من ذلك تركيباً. وقد توصل الجرجاني إلى أن وحدات اللغة ألفاظ، وبفضل النحو تستعمل الألفاظ لتشكل التراكيب، وهي تتجدد دائماً بفضل النحو ولإعادة تراكيبها؛ وبالتالي فالألفاظ عند الجرجاني رموز للمعاني، والإنسان يتعرّف على مدلول اللفظ المفرد أولاً، ثم يتعرّف على مدلوله داخل التركيب فالألفاظ سمات لمعانيها، يقول:“ ولا يمكن أن تسبق الألفاظ معانيها، وهل كانت الألفاظ إلا من أجل معانيها؟ وهل هي إلا خدم لها؟ ومصرفة على حكمها؟ أوليست هي سمات لها، وأوضاع قد وضع لتدل عليها؟ كيف يتأتى أن تسبق المعاني أو تتقدمها في تصور النفس وإن جاز ذلك جاز أن تكون أسامي الأشياء قد وضعت قبل أن تعرف الأشياء، وقبل أن كانت، وما أدري ما أقول في شيء يجر الذاهبين إليه إلى أشباه هذا من فنون المحال، وردى الأحوال“ (21).

والجرجاني يجعل المزية في النظم للمعاني وليس للألفاظ؛ بل إن الألفاظ في ذلك تبعٌ للمعاني، فهي تترتب تلقائياً بحسب الترتيب الذي تنشأ عليه المعاني في النفس، ولا يحتاج المتكلم أن يفكر مرتين: مرة في ترتيب المعاني، وأخرى في ترتيب الألفاظ، وإنما ينحصر تفكيره في المعنى.

لقد فرق الجرجاني بين نظم الكلام ونظم الحروف، يقول:“ فنظم الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضى عن المعنى، ولا الناظم لها بمقتضى في ذلك رسماً من العقل، اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال: رِبض، مكان ضرب، لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد، أما نظم الكلام فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمه آثار المعاني و ترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظمٌ يعدُّ فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق“ (22).

١٨

١٩

٢٠ كتاب (دلائل الإعجاز) ، وكتاب (أسرار البلاغة).

٢١ الجرجاني، (دلائل الإعجاز) ، ص ٣٧٩.

٢٢ المصدر السابق ، ص ٩٣.

## النظم: نظرية نحو المعاني - (دراسة بلاغية ونحوية ولغوية)

فالألفاظ المفردة لا مزية فيها وإنما تعليق بعضها ببعض، وجعل بعضها سبب لبعض ، وتأليفها وترتيبها بحسب ما يقتضيه علم النحو هو المزية وحسن السبك والانسجام. وإيضاحاً لهذه الفكرة يميز عبد القاهر بين نظم الحروف ونظم الكلم، فيقول: "وَمَا يَجِبُ إِحْكَامُهُ فِي هَذَا الْفَصْلِ الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِنَا: حُرُوفٌ مَنْظُومَةٌ وَكَلِمٌ مَنْظُومَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ نِظْمَ الْحُرُوفِ هُوَ تَوَالِيهَا فِي النُّطْقِ فَقَطْ، وَلَيْسَ نِظْمُهَا بِمُقْتَضَى عَنِ مَعْنَى، وَلَا النَّاطِمُ لَهَا يَحْقِقُ فِي ذَلِكَ رِسْمًا مِنَ الْعَقْلِ اقْتَضَى أَنْ يَتَحَرَّى فِي نِظْمِهِ مَا تَحْرَاهُ، وَأَمَّا نِظْمُ الْكَلِمِ فَلَيْسَ الْأَمْرُ فِيهِ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّكَ تَقْتَضِي فِي نِظْمِهَا أَثَارَ الْمَعَانِي، وَتَرْتِبُهَا عَلَى حَسَبِ تَرْتِيبِ الْمَعَانِي فِي النَّفْسِ فَهُوَ إِذَنْ نِظْمٌ يَعْدُ فِيهِ حَالُ الْمَنْظُومِ بَعْضُهُ مَعَ بَعْضٍ، وَلَيْسَ هُوَ النِّظْمُ الَّذِي مَعْنَاهُ ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ كَيْفَ جَاءَ وَاتَّفَقَ" (23). ومن ثم يصبح كل اختيار لترتيب دون تركيب له مغزاه ومدلوله وخواصه التي يفقدها إذا تغير الترتيب، فالعلم بمواقع هذه الألفاظ علم بمواقع معانيها في نفس المتكلم، ومن ثم لا بد أن تلتبس هذه المزية والفضل داخل التركيب على النحو الذي أريد له أن يكون، وقد مضى عبد القاهر يطبق ذلك في مواضع كثيرة من كتابه.

وليس المقصود بنظم الألفاظ مجرد تناوبها في النطق كما هي الحال في نظم الحروف، إذا لا استوي الناس كلهم في العلم بحسن النظم ورداءته؛ لأنهم جميعاً يحسون بتوالي الألفاظ في النطق إحساساً واحداً، ولكن المقصود به تناسق دلالاتها وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل.

إن نظم الكلام ليس في توالي الألفاظ في النطق؛ بل في تناسقها واتساق دلالاتها، وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل (24)، ويقبله المنطق؛ إذ لا يمكن أن يتصور أن اللفظة تعلق بلفظة أخرى من غير أن يعد حال معنى هذه مع معنى تلك، ويراعى هناك أمر يصل إحداها بالأخرى (25).

إن فاعلية جمال النص لا تتحقق إلا بكون اللفظ وعاءً يتشكل به المعنى، وليس له أي فاعلية جمالية للنص مهما كانت في تناسق أصواته وصحة معناه مفرداً، كما لا يمكن أن يكون به شكل من الإعجاز لوحده وهذا ما يؤكد عبد القاهر يقول: "واعلم أننا لا نأبي أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلاً فيها يوجب الفضيلة، ونأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز وإنما الذي ننكره، ونقبل رأي من يذهب إليه أن يجعله معجزاً به وحده ويجعله الأصل والعمدة" (26).

وأدرك الجرجاني أن الألفاظ لا تفاضل بينها من حيث أنها ألفاظ مفردة منفصلة، بل التفاضل يحدث عند ملائمة معناها لمعنى اللفظة التي تليها في السلسلة اللغوية، وهذا يجري على سائر الكلام وتحدث المزية كلها فيه.

يقول الجرجاني: "فكما أنه لا تكون الفضة أو الذهب إلا خاتماً أو سواراً أو غيرها من أصناف الحلي بأنفسهما، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة، كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف كلاماً وشعراً، من غير أن يحدث فيها النظم الذي حقيقته توحي معاني النحو وأحكامه" (27).

كما أبان الجرجاني أن ترتيب الألفاظ في النطق يجري على ترتيب المعاني في النفس، وأن العملية فكرية

٢٣ ( ) المصدر السابق، ص ٤٩.

٢٤ ( ) ينظر: المصدر السابق، ص ٤٩-٥٠.

٢٥ ( ) ينظر: المصدر السابق، ص ٤٠٦.

٢٦ ( ) المصدر السابق: نقلاً عن التفكير البلاغي عند العرب. حمادي صمود. ص ٤١٩.

٢٧ ( ) ينظر: المصدر السابق، ص ٤٨٨.

## النظم: نظرية نحو المعاني - (دراسة بلاغية ونحوية ولغوية)

محضة وتتم في نفس الوهلة حين تخرج في صورة أدبية بليغة وتامة البيان. وربما لا يتصور أن الألفاظ المفردة لا يقع بينها تفاضل من حيث هي ألفاظ مفردة ومجردة دون أن تدخل في تركيب أو تأليف، ولكن ذلك لا ينفي أن للألفاظ المختارة فضل في معنى النظم وجمال التأليف، فالرأي المنصف أن النظم أو التركيب، يحسن بالألفاظ العذبة السلسة، ويقبح بالألفاظ القبيحة الخشنة، ثم إن الألفاظ الحسنة تزداد جمالاً وحسناً بحسن موافقتها لما جاورها من الألفاظ، فيكشف التجاور عمماً فيها من حسن وجمال.

حدّد الجرجاني معاني الألفاظ التي يولدها السياق، داخل الصياغة اللغوية من خلال ما صرح به قائلاً: ”ينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً وأمرًا ونهيًا واستخبارًا وتعجبًا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة، هل يتصور أن يكون بين اللفظين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناه الذي وضعت له من صاحبها على ما هي موسومة به“ (28).

ويمكن حصر معاني الألفاظ التي يولدها السياق كما صرح بها الجرجاني فيما يلي:  
- ينبغي أن ينظر إلى الكلمة المفردة قبل دخولها في التأليف؛ وهذا يعني المعنى المعجمي.  
- تؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة، وبناء لفظة على لفظة؛ وهذا يعني المعنى الوظيفي (معاني النحو + سياق المقام + الأسلوب + الوزن... إلخ).  
- تفاضل اللفظين في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبها على ما هي موسومة به؛ ويعني بذلك المعنى الدلالي وهو المعنى الحاصل الذي يصل إليه القارئ جملة واحدة. وهنا يحصل التفوق والإبداع والتميز عند الجرجاني في نظره إلى المعنى عن سابقه من البلاغيين والنحويين.

وخلاصة الأمر فليس نظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق بل أن تحقق دلالتها كمالاً لغوياً، وأن تتناسق معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل؛ فاللفظة إن حققت مزية النظم صلحت لأن معناها معروض على الطريق، ولكن دلالتها تشق على النفس الاجتهاد.  
وجملة الأمر أن اللفظة لا تحقق البعد التصوري البليغ مقطوعة من الكلام التي هي فيه، لكن بما تتواصل مع معناها بمعنى ما يليها من ألفاظ.  
الركيزة الثانية التعليق ودلالة الوحدات السياقية:

لقد قادت الجرجاني فكرة ترتيب الألفاظ حسب ترتيب المعاني في النفس إلى فكرة أخرى تعدّ ركناً من أركان نظريته وهي فكرة التعلق النحوي؛ فالألفاظ لا توضع متجاورة دون تعلق بعضها ببعض، وإنما يرتبط بعضها ببعض بـ “علاقات نحوية” لا يتم بدونها كلام ولا يفهم حديث، يقول: “وإعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يتعلق بعضها ببعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا مالا يجله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس“ (29).

ويؤكد الجرجاني في نظريته في النظم أنه لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يتعلق بعضها ببعض، وبينها بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، إذ عبّر عن فكرة نظام اللغة حيث ترتيب الكلام في

٢٨ ( ) المصدر السابق ، ص ٤٧.

٢٩ ( ) المصدر السابق ، ص ٥٥.

## النظم: نظرية نحو المعاني - (دراسة بلاغية ونحوية ولغوية)

النفس، ثم انتقاء كلمات عدة، وهذا الترتيب يخضع لقواعد اللغة وفق الدلالة العقلية للكلمات(30). ففكرة النظم عند الجرجاني هو تصور العلاقات النحوية كالعلاقة بين المسند والمسند إليه، ونظر الجرجاني للكلمة قبل دخولها التأليف وقبل أن تصير كلمة لها معنى الإخبار أو الأفراد أو التعجب، ورأى أنها في حالة الأفراد تفقد خصوصيتها، ورأى أن الألفاظ سمات لمعانيها، ولذا لا يتصور أن تسبق الألفاظ معانيها، وذلك ضرب من المحال(31).

ويقول مبيناً طرائق التعلق النحوي: "معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلام بعضها من بعض، والكلام ثلاث: اسم وفعل وحرف. وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما"(32)، فاللغة عند عبد القاهر ليست مجموعة متجاوزة من الكلمات، بل هي شبكة مترابطة من العلاقات لكل علاقة منها دلالتها وخصوصيتها. وإذا كانت اللفظة لا تكتسب معناها ولا خصوصيتها في التعبير إلا بضمها إلى أخوات لها وتعلق بعضها ببعض وعلى نحو مخصوص؛ فإن ذلك يستتبع أن يكون لاختيار موقع الكلمة دوراً أساسياً فيما النظم على نظم من مزية وفضل.

لقد استعمل الجرجاني لفظة التعلق؛ ليشير إلى التأليف والصياغة والبناء والوشي والتخبير والنسج بين أجزاء الكلم، وكلها ألفاظ من جنس التماسك والانسجام الواقع في الكلام الواحد الناتج عن تعلق معانيه بتناسق ألفاظه بعضها ببعض داخل مقام مشترك ومتماسك.

إذا التعلق عند الجرجاني هو النظم؛ يقول في أول صفحة من دلائل الإعجاز: "معلوم أن ليس النظم سوى تعلق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض"(33).

وتأتي أهمية العلاقات السياقية عند الجرجاني في توفير استقامة الكلام، وما يقوم بين معانيه من وشائج تجعل دلالتها متناسقة ومعانيها متلاقية يقول: "ليس من عاقل يفتح عين عقله إلا وهو يعلم ضرورة أن المعنى في ضم بعضها إلى بعض، وتعليق بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من يضع، لا أن ينطق بعضها في إثر بعض من غير أن يكون فيما بينها تعلق، ويعلم كذلك ضرورة إذا فكر أن التعلق يكون فيما بين معانيها، لا فيما بينها أنفسها"(34).

إن السياق هو ما يسبغ المزية على اللفظة المفردة التي تفقد قيمتها الفنية عند الأفراد، فإذا ما ضمها السياق تكون فيه عضواً فاعلاً شكلاً ومعنى؛ فيتفعل دورها في خلق البناء اللغوي والفني، وذا لا يكون بضم كلمة إلى أخرى؛ وإنما يتمكن عملية التعليق التي تساعد في اكتمال البناء اللغوي؛ لأن التعلق هو الذي "يتيح للصياغة أن تتشكل في مستويات دلالية مختلفة، فتأتي الإفادة اللطيفة"(35). إن اتساق النظم، وجودة سبكه، وتلاحم أجزائه يُتفاضلُ عنده بين الأدباء، وتتميز به الأشعار؛ لأن

---

٣٠ ينظر: المصدر السابق، ص ٥٤.

٣١ ينظر: المصدر السابق، ص ٢٨٩ - ص ٢٩٠.

٣٢ المصدر السابق، ص ٤.

٣٣ المصدر السابق، ص ٩٣.

٣٤ المصدر السابق، ص ٤٦٦.

٣٥ محمد عبدالمطلب، (جدلية الأفراد والتركيب في النقد العربي القديم)، لولوجمان: الشركة المصرية العالمية للنشر، ط ١، ١٩٩٥م، ص ٣١٥.

## النظم: نظرية نحو المعاني - (دراسة بلاغية ونحوية ولغوية)

” أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه إفراغٌ إفراغاً واحداً، وسُبكي سبكا واحداً، ويجري على اللسان كما يجري على الدهان“ (36)، وذلك لا يكون إلا باجتماع كل المقاييس الأسلوبية“ (37)، ”من بلاغة اللفظ“ (38)، و”إصابة معاني الكلام“ (39)، و”اختيار شريفها وكريمها“ (40)، و”أن تكون التشابيه مصيبةً تامّةً“ (41)، و”التأليف بديعاً مخترعاً بعيداً عن الاستكراه والاضطراب“ (42)، بحيث تتضام المعاني، ولا يتقطع نظامها إلى درجة أنك إذا سمعت صدر البيت عرفت قافيته“ (43)، فالنظم هنا تنضيد متقن، وحرفة مبدعة، وتناسق بديع، ونسيج يأخذ بالألباب، وتألفه المسامح.

إن التوائم والتلاؤم والاتساق يقوم في نظرية النظم على وجود علاقات قائمة على نظام إيقاعي يركز أساساً على حسن التأليف والنظم ” ولعل أبرز مظاهر النظم في بنية التشبيه إنما تبدو من خلال علاقات المقارنة بين أطراف متميزة تربط فيما بينها الأداة ملفوظة أو مقدره، وهذا لا يتم إلا من خلال روابط لغوية نظامية محكمة الدلالة لمشاركة أمر لآخر في معنى، من هنا لا تبقى الأداة وسيلة للجمع أو للتقريب الذهني بين هيئته الحركة والشكل؛ لأن تفاعلات الدلالات الإيحائية للطرفين من خلال السياق قد يضفي على المعنى - بحسب نوع الأداة - تفاعلاً بين الأطراف يختلف من صورة تشبيهية إلى أخرى“ (44).

وعلى ذلك تكون اللفظة المفردة ممتة لا حياة فيها لوحدها، فإن وصلها المبدع الحاذق، والصانع الماهر، والفنان الخالق بأخواتها في التركيب ووضعها في موضعها من الجملة، دبّت فيها الحياة، وسرت فيها الحرارة، وظهر عليها اللون (45)، فالسياق يعطي اللفظة المفردة حقيقتها وروحها (46).  
ربما يمكن القول إن التعليق نظرية تركيبية محكمة، ورغم ذلك فإن النحاة المتأخرين لم يحاولوا الانتفاع

- 
- ٣٦ ( ) أبو عثمان الجاحظ، (البيان والتبيين) ، ج ١، ص ٦٧ .
- 
- ٣٧ ( ) حمّادي صمّود، (التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السادس «مشروع قراءة») ، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٨١م، ص ٢٩٦ .
- 
- ٣٨ ( ) أبو عثمان الجاحظ، (البيان والتبيين) ، ج ١، ص ٨٣ .
- 
- ٣٩ ( ) المصدر السابق ، ج ١، ص ٥٨ .
- 
- ٤٠ ( ) المصدر السابق ، ج ١، ص ٨٣ .
- 
- ٤١ ( ) أبو عثمان الجاحظ، (الحيوان) ، ج ٣، ص ٣١١ .
- 
- ٤٢ ( ) المصدر السابق ، ج ٧، ص ٦ .
- 
- ٤٣ ( ) أبو عثمان الجاحظ، (البيان والتبيين) ، ج ١، ص ١١٥-١١٦ .
- 
- ٤٤ ( ) ابتسام أحمد حمدان، محمد أحمد الحسين ، (نظم الصورة التشبيهية في شواهد من شعر الهذليين) ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها «فصلية محكمة» ، دمشق، العدد ١٣، ربيع ١٣٩٢هـ - ٢٠١٣م، ص ٤-٥ .
- 
- ٤٥ ( ) أحمد حسن الزيات، (دفاع عن البلاغة) ، عالم الكتب، ط ٢، ١٩٦٧م، (د.م)، ص ٩٦-٩٧ .
- 
- ٤٦ ( ) مصطفى صادق الرافعي، (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) ، راجعه وضبطه: محمد سعيد العريان، الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة، ط ١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ص ٢١٦ .

## النظم: نظرية نحو المعاني - (دراسة بلاغية ونحوية ولغوية)

بها؛ ويعلّل مصطفى حميدة ذلك بقوله: "لأنّ النحاة حين وجدوها - أي نظرية التعليق - تنطلق في دراسة بناء الجملة من المعنى إلى المبنى، وتُعنّن في درس المعنى إمعاناً، ظنّوها تتناول بالدرس علماً جديداً أطلقوا عليه اسم (علم المعاني)، وصرفوا نظرهم عنه لمن شاء الخوض فيه من أصحاب البلاغة، وقد كان الأولى بهم أن يجعلوا تلك النظرية منطلقهم، وأساس منهجهم" (47).

وعليه فمنهجية التعليق المنطلقة من دراسة المعنى أولاً ثم المبنى أنتجت علم المعاني؛ الذي يُعدُّ أحد أسس الدراسة التركيبية للجملة، وهو أيضاً يمثّل الجانب المعنوي في درس بناء الجملة، ولو حاول النحاة تطوير هذا الجانب لبلغ النحو شأواً عظيماً.

الركيزة الثالثة تخيّر الموقع: وهنا يأتي الركن الثالث من أركان نظرية النظم وهو "تخيّر الموقع" فتعلّق الألفاظ بعضها ببعض لا يكفي، حتى يختار لكل لفظ موقعه المناسب، ولا تستطيع إزالته عنه أو نقله إلى موقع آخر دون أن تفسد النظم وتذهب بالمزية والقيمة البلاغية.

وإذا كانت الألفاظ تُرتّب حسب ترتيب المعاني في النفس بحيث يتعلّق بعضها ببعض وتقع موقعها الملائم من النظم فلا بد من وسيلة لمعرفة الفروق الدقيقة التي تكون بين نظم ونظم، والتي يقع بها التفاوت ويكون بها التفاضل، وهذه الوسيلة الكاشفة مردها إلى "علم النحو".

وفكرة النظم إذا تقوم على الألفاظ ولا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمات مفردة، ولكنها تتفاضل في ملاءمة معانيها للمعاني التي تليها في السياق الذي وردت فيه، وأن اللفظة قد تروق وتحسن في موضع، وتثقل وتوحش في آخر، وأن التامين والنظم هو وحده الذي يحدّد ملاءمة الكلمة وعدم ملاءمتها بالنسبة لما قبلها وما بعدها (48).

يقول الجرجاني في أهمية النظر إلى موقع الكلمة: "وهل يقع في وهم أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من تكون هذه مألوفة مستعملة، وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخف، وامتزاجها أحسن، وهل تجد أحداً يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعدّ مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاريتها؟، وهل تشك إذا فكرت في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (49)؛ فتجلى لك منها الإعجاز، وبهرك الذي ترى وتسمع، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرية إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلمة بعضها ببعض، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها، وإنّ الفضل تناج ما بينها، وحصل من مجموعها" (50).

ويواصل قائلاً: "وإن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدّت من الفصاحة من تودّيه وهي في مكانها من الآية؟ قل (ابلعي) واعتبرها وحدها من غير أن تنظر

٤٧ ( ) مصطفى حميدة، (نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية)، المقدمة ص ٣.

٤٨ ( ) ينظر : مقدمة الجرجاني، (دلائل الإعجاز)، مقدمة المحقق :محمد عبدالمنعم خفاجي، مكتبة القاهرة ،ص ٢١ وما بعدها.

٤٩ ( ) سورة هود ، الآية (٤٤).

٥٠ ( ) ينظر : عبدالقاهر الجرجاني، (دلائل الإعجاز)، ص ٩٣ وما بعدها.

## النظم: نظرية نحو المعاني - (دراسة بلاغية ونحوية ولغوية)

ما قبلها، ولا إلى ما بعدها، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها، وكيف بالشك في ذلك ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء بيا دون أي نحو يا أيتها الأرض ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال: ابلعي الماء، ثم أن أتبع نداء الأرض وأمرها بما هو شأنها نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل: (وغيض الماء)، وجاء الفعل على صيغة فعل - المبني للمجهول - والدالة على أنه لم يعض إلا بأمر أمر، وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقديره بقوله تعالى: (وقضى الأمر) ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو (استوت على الجودي)، ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة قيل في الخاتمة بقيل في الفاتحة، أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤها بالإعجاز روعة، وتحضرها عند تصورك هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى في المنطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب؟“ (51).

إن تحليل عبدالقاهر الجرجاني للأية الكريمة أعلاه يوضح منهجه في تحليل النصوص؛ إذ يقوم على أساس مفهومه للغة، فإذا كان عبد القاهر قد اعتبر أن سر الجودة والرداءة في أي عمل أدبي كامن في خصائص فنية معينة في صياغتها، فإنه بذلك يردنا إلى المنهج اللغوي الذي يشتق أحكامه من طبيعة العلاقات التي تتولد من دلالات الصياغة اللغوية وفعاليتها الخاصة.

الركيزة الرابعة: توخي معاني النحو:

إن خصائص النظم عند الجرجاني هي جزء لا يتجزأ من معاني النحو؛ وعلى أساس من هذا المفهوم الناضج للنحو وعلم المعاني طبّق عبد القاهر نظريته في تحليل النصوص واستخراج مكوناتها، إذ إن الإعجاز لا يتأتى إلا عن طريق النظم، فسراً الجمال إذا يعود إلى ترتيب الألفاظ، وتناسق الدلالات، واستخدامها على نحو خاص ويُدرَك ذلك كله بالذوق.

المبحث الرابع: دلالات التراكيب النحوية والسياقية:

أتى عبدالقاهر الجرجاني فوجد عامة المحدثين والفقهاء قد زهدوا في النحو؛ لما وجدوه ممزوجاً بالمنطق، وهجروه لما عزّ عليهم الاستفادة منه، فوجّه إليهم اللوم والعتاب، إذ إن إعجاز القرآن الكريم بالنظم، وما النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله؛ يقول الجرجاني: ”واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسّمت لك فلا تخل بشيء منها، فينظر الناظم في الخبر... وفي الشرط والجزاء... وفي الحال... فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به حيث ينبغي له“ (52)، وهذا النظم هو الذي يجعل الكلام حسناً يشهد له أصحاب البلاغة بالفضل، وعندما تسمعه تراك قد ارتجت واهتزت واستحسننت“ (53).

إن للتركيب النحوي معنى أول يدل على ظاهر الوضع اللغوي، وله معنى ثان، ودلالة إضافية تتبع المعنى الأول، وهذا المعنى الثاني وتلك الدلالة الإضافية هي المقصد والهدف في البلاغة، يقول عبدالفتاح شاهين: ”وقد جهد عبدالقاهر وشقي في الوصول إلى ذلك الغرض، حتى خرج بقاعدة لا

٥١ ( المصدر السابق، ص ٩٣ وما بعدها.

٥٢ ( ينظر : عبدالقاهر الجرجاني، (دلائل الإعجاز) ، ص ٨١-٨٢ .

٥٣ ( ينظر : المصدر السابق، ص ٨٥ .

## النظم: نظرية نحو المعاني - (دراسة بلاغية ونحوية ولغوية)

تتخلف، وقانون لا يقبل النقص؛ وهو أن دقة النظم، والبلاغة، والبراعة، والبيان، كامنة في معاني النحو، ومطوية في التركيب اللغوي“ (54).

إذا فالمعاني الإيحائية التي ترسلها الألفاظ تتسق مع البناء الهندسي لها، وتوحي معاني النحو تتجلى الصورة بما فيها من آيات الجمال .

ثم ينتهي عبد القاهر بعد ذلك إلى الغاية التي وقف عليها وهي أن إعجاز القرآن في نظمه على نحو مخصوص ناشئ من معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه، فيقول: “ فإذا ثبت الآن ألا شك ولا مزية في أن ليس النظم شيئاً غير توحي النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم ثبت من ذلك أن طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه، ولم يعلم أنها معدنه وموضعه ومكانه وأنه لامستنبط له سواها وألا وجه لطلبه فيما عداها غار نفسه بالكاذب من الطمع ومسلم لها إلى الخداع“ (55). إذا أسبغ الجرجاني على التععيد النحوي دثار الشمولية، ولم يعد الدرس النحوي محض قواعد وتطبيقات؛ بل هو تضام بين المفردات، وإعجاز بتوحي معاني النحو، وأصبحت القواعد تؤدي دورها المنوط في تفسير النص وبيانه، وقد اتخذ الدرس النحوي بعد الجرجاني مساراً آخر وشكل تياراً عظيماً لا يزال مثار الدرس والبحث .

ومما سبق فإن الجرجاني نظر إلى أن الفكر لا يتعلق بمعاني الألفاظ نفسها، وإنما بما بين المعاني من علاقات؛ وبذلك كانت نظرية النظم عملية توفيق بين الشكل المادي للصياغة، والجانب العقلي للمعنى عبر الاستعانة بالنحو وتحويله إلى أحداث.

جعل الجرجاني من النظم وسيلة لفهم البيان القرآني، واستغل لذلك طاقات اللغة والفنون البلاغية في ضوء الانضباط النحوي لتشكيل مادة فنية ألا وهي النظم، ومتخذاً شواهد قرآنية وشعرية للإثبات ما جاء به، وكتابه ” دلائل الإعجاز ” هو الشارح لها ضمناً دون الإفصاح عنها (، فهذه النظرية لم تأت من العدم، وإنما تخضت عقب رحلة علمية طويلة وشاقّة، ميّزتها سعة ثقافة عبد القاهر وتنوعها، هذا الاتساع دال على انتفاعه بالدراسات القرآنية والأدبية والنقدية والبلاغية التي سبقته .

وخلاصة ما يقرره عبد القاهر الجرجاني: أنه لا فضل بين الألفاظ ومعناها، ولا بين الصورة والمحتوى، ولا بين الشكل والمضمون في النص الأدبي، وأن البلاغة في النظم لا في الكلمة مفردة ولا في مجرد المعاني، وأن الباحث عن الإعجاز عليه أن يتبعه في النظم وحده، وأن النظم هو توحي معاني النحو وأحكامه وذوقه ووجوهه في ما بين معاني الكلم؛ إذ إن المهم عند الجرجاني معرفة مدلول عبارات النحو لا العبارات نفسها، ويرى الجرجاني أن الاستعارة وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النحو، ولا يُنكر الجرجاني تعلق الفكر بمعاني الكلم المفردة أصلاً، ولكن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم مجردة عن معاني النحو، والخلاصة أن النظم ليس شيئاً غير توحي معاني النحو فيما بين الكلم، ومعاني النحو تابعة لترتيب المعاني في النفس لتحقيق الدلالة أو ما يسميه الجرجاني معنى المعنى.

٥٤ (عبد الفتاح لاشين، (التركيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر)، دار المريخ

للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، (د.ت)، ص ٤ .

٥٥ ( ينظر :محمود نحلة، (في البلاغة العربية» علم المعاني)، دار العلوم العربية بيروت، ط١،

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ١٩-٣٩.

## الخاتمة :

إنَّ جهود العلماء في قضية اللفظ والمعنى لم تكتمِلْ إلا في القرن الخامس الهجري على يدي عبدالقاهر الجرجاني؛ إذ جمع شتات تلك الآراء، ووحد بينها في إطار منظم، ثم وضع الخطوط ورسم الحدود، وجعل التقسيمات وأبرز المعالم، ثم أرجعها إلى أسس علمية في نظم الكلام، فُجاء منهجه اللغوي فيها واضحا(56).

لقد اعتمد عبد القاهر الجرجاني في تحليل الكلام على توجه عقلي مسبق، وأسس معرفية واضحة تيسرت له باعتقاد مطلق مفاده "أن قضايا العقول هي القواعد والأسس التي يبنى عليها، والأصول التي يرد ما سواها إليها"(57)، فُنَجح في تطوير فكرة النظم، واتخذها سبيلا إلى تحليل أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز معاً.

أمَّا نظرية المعاني فلقد عالجها الجرجاني في كتابه(دلائل الإعجاز) بكونها قائمة على فكرة النظم الذي عرّفه بأنّه توخّي معاني النحو فيما بين الكلم على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام"(58)، إنَّ مرد الإعجاز عند الجرجاني ليس في معانيه فحسب؛ لأنَّ المعاني لا تتصور من غير الألفاظ، وإنما السبيل الذي يمكن فهم الإعجاز فهو فكرة النظم التي يمكن أن تشيع لكل ما سبق، وهي تقوم على تعلق الكلم ببعضه ببعض، ومن خلال إدراك هذه العلاقات تظهر المعاني الإضافية، فضلا عن المعنى الأصلي"(59).

النظم قبل عبد القاهر لم يكن مقصوداً عن عمد أو مدروساً بطريقة مباشرة، وإنما هو شئ عفوي نابع من ملاحظات العلماء حين يؤخذون بجمال الشعر أو الإعجاز في القرآن الكريم في داخل هذا النطاق فحسب، أمَّا عند عبد القاهر فهو عمل مدروس، ومحور يدور حوله كتابه "دلائل الإعجاز" كله، وهو القصد من تلك الدراسة الواسعة التي نهضت على أكتاف النحو وعلى تماسك لبناته حتى إنه يرجع كل جمال في النظم إلى مراعاة أحكام النحو.

إنَّ نظرية الجرجاني بتوخي معاني النحو تهدف إلى رصد اللغة والكلام في أرقى استعمالاتها مما جعل دراساته أقرب إلى الدرس الأدبي والفني؛ إذ لم يرد الجرجاني تجديد النحو ولا هدم ما أصله النحاة قبله؛ فهو لم يأت بالحجج والبراهين لدحض آراء سابقيه بل أكد في كتابه (العوامل المائة) (60) نظرية العامل التي اعتمدها النحويون؛ لذا كانت هذه الدراسة هي الجسر الذي ربط الدرس اللغوي بالنقد، وكان علم المعاني هو العلم الذي يمكن أن يُسمي بالنحو الإبداعي، أو نظرية الكمال اللغوي.

التوصيات: يقترح الباحث أن يتم تدريس نظرية النظم بوصفها (نظرية نحو المعاني)، على ألا تدرّس بمعزل عن نظرية العامل، والنظرية السياقية، ونظرية تضافر القرائن؛ لتكتمل الفائدة، وتوضح الرؤية، ولتفسير الغموض الذي يحيط بهذه النظريات.

٥٦ ( ) وليد محمد مراد، (نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبدالقاهر الجرجاني)، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٥.

٥٧ ( ) الجرجاني، (أسرار البلاغة)، ط. إسطنبول. ١٩٥٤. ص٣٤٥. نقلًا عن حمادي صمود التفكير البلاغي عند العرب. ص٤٣٨.

٥٨ ( ) ينظر: شوقي ضيف: (البلاغة تطور وتاريخ)، دار المعارف، القاهرة، ط٩، د.ت، ص١٦٨.

٥٩ ( ) ينظر: يوسف أبو العدوس، (مدخل إلى البلاغة العربية: علم المعاني - علم البيان - علم البديع)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمّان - الأردن، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م، ص٣٦.

٦٠ ( ) عبدالقاهر الجرجاني، (العوامل المائة النحوية في أصول العربية) شرح الشيخ: خالد الأزهرّي الجرجاوي (ت ٩٠٥هـ:)، تح: البدرابي زهران، ط٢، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

# حفريات في الطابع السحري للبيان

## دراسة وصفية تحليلية

### Investigating in the Magical Character of the Rhetoric (An Analytical Descriptive Study)

أستاذ مساعد جامعة النيلين  
كلية الآداب قسم اللغة العربية

د. عزالدين علي مختار علي

#### المستخلص:

يتنزل هذا البحث ليقارب قضية الارتباط البنيوي بين البيان والسحر، وهنا تكمن أهمية هذا البحث؛ لأنه يضع على طاولته مفهومين تماهيا في العقل الجمعي العربي. أما الأسباب القابضة وراء اختيار هذا الموضوع فمن أهمها استكناه الطابع السحري للبيان بغية الكشف عن العلة الخفية التي تجعل الخطاب يستحق الوصف بالسحر، كذلك يحاول البحث أن يجيب عن أسئلة من قبيل: لم وصف مشركو مكة القرآن بالسحر والشعر والكهانة؟ ما السحر المقصود في هذا السياق وما علاقته بالبيان أداة ووظيفة؟ وما الأسس الثقافية والتاريخية التي جعلت هذا اللقاء بين البيان والسحر لقاء عضويًا طبيعيًا؟ كل هذا وفق منهج وصفي تحليلي يصف هذه العلاقة ويحلل طبيعتها وصولاً إلى غايات منها: الوقوف على الأسباب الخفية التي جعلت مشركي مكة يصفون القرآن بالسحر والشعر والكهانة، وعلى الغايات التي يصبون إليها من هذا الوصف، والكشف عن كنه هذا الارتباط العضوي بين البيان والسحر، وعن التماس المتجلي بينهما في الوظيفة التي يؤديها كل منهما. كذلك يحوي البحث خاتمة وجملته من النتائج التي توصل إليها، وقائمة بالمصادر والمراجع المعتمد عليها.

## Investigating in the Magical Character of the Rhetoric (An Analytical Descriptive Study)

*Dr. Izz-ud-Din Ali Mukhtar Ali*  
*Associate Professor*  
*Al-Neelain University/ Faculty of Arts*  
*Department of Arabic Language*

### **Abstract:**

The present research seeks to approach the issue of the structural link between rhetoric and magic, and herein lies the importance of this research, and that is because it considers two concepts that are identical in the Arab collective mind. As for the reasons behind choosing this topic, the most important of which is to scrutinize the magical nature of the rhetoric in order to reveal the hidden reasons that make rhetoric worthy of being described as magic. The research also attempts to answer questions such as: Why did the polytheists of Mecca describe the Qur'an as magic, poetry and fortune-telling? What is meant by magic in this context and what is its relationship to rhetoric as a tool and a function? What are the cultural and historical foundations that made this encounter between rhetoric and magic a natural, organic encounter? All of this is done according to a descriptive and analytical approach that describes this relationship and analyzes its nature in order to reach some goals. These goals include: examining the hidden reasons that made the polytheists of Mecca describe the Qur'an as magic, poetry and fortune-telling, and examining the goals they aspire to from this description, and revealing the essence of this organic link between rhetoric and magic, and about the convergence between them manifested in the function performed by each of them. The research also contains a conclusion and a number of findings, and a list of reliable relevant sources and references.

## مقدمة:

تکمن أهمية هذا البحث في كونه يتناول موضوعاً يجمع بين نشاطين بشريين قاما في المخيال الثقافي العربي هما الكلام والسحر؛ لذا يصبو هذا البحث إلى التوصل إلى نتائج معمقة من مقارنة هذا الموضوع مقارنة وصفية تحليلية يتتبع بها هذا الارتباط العضوي بين الكلام والسحر منذ نزول الوحي على الرسول الكريم، ويصف طبيعة هذا الارتباط، ويحاول أن يفسره في ضوء النص الإلهي والنص البشري على حد سواء، كاشفاً عن الأسباب الخفية التي جعلت مشركي مكة يصفون القرآن بالسحر والشعر والكهانة تحديداً، والوقوف على دلالات هذه المفاهيم في المخيال الثقافي لدى العرب، وعلى الأهداف التي يرومون، وعلى صيرورة هذا الارتباط — الذي غدا طبيعياً — بين الكلام البليغ والسحر في الخطاب الشعري. لا جدال في أن العرب قبل الإسلام كانوا يعتقدون أن السحر والشعر والكهانة مفاهيم وممارسات مصدرها عوالم خارقة هي عوالم الجن والشياطين حيث يكون الاتصال فيها بين طرفين لا ينتميان إلى مرتبة وجودية واحدة إذ يتم بين إنسان وشيطان. وكان لزاماً علينا بدءاً أن نحرر هذه المفاهيم خاصة السحر والكهانة قبل أن نتعمق في البحث في كنه العلاقة بين السحر والشعر باعتباره كلاماً مخصوصاً شكلاً ومحتوى يتوسل بالبلاغة بوصفها أداة مؤسسه له؛ الأمر الذي يجعل على وجه الخصوص علاقة كذلك بين السحر والبيان. لما أضاء الإسلام الكون، وأنزل القرآن منجماً على الرسول عليه السلام أخذ مشركو مكة يصفون القرآن والرسول بممارسات وأنشطة معروفة لديهم كان بعضهم ماهراً فيها هي السحر والشعر والكهانة وهنا ”يلتقي الشعر بالسحر في التصور العربي الأول في منابع الموهبة ومصادر الإلهام: فكل من الساحر والشاعر شخص ملهم يوحى إليه ويستمد سلطانه من قوى غير منظورة ويعيش على شفا عالين: عالم الجن وعالم الإنس، عالم الغيب وعالم الشهادة يشار كهما هذه المنزلة طرف ثالث هو الكاهن“ (1) بالإضافة إلى هاتين الصفتين هناك صفة الجنون التي بها رمي الرسول عليه السلام وحده. ويبدو أن هذه الحرب الإعلامية الشرسة كانت حامية فقد حكى القرآن عنها في أكثر من موضع فما كان منه إلا أن أخذ ينافح في كثير من الآيات عن القرآن والرسول نافياً عنهما هذه الصفات. إن هذا الفعل من مشركي مكة يقصد إلى التوحيد بين الأسطوري والمقدس حين ظنوا أن المقدس قد تمت فيه عملية الاتصال على نحو ما تمت في الأسطوري بين شيطان وإنسان مما اقتضى من المقدس أن يثبت أن الاتصال فيه قد كان بين ملك وإنسان، وأن بشن حرباً ضرورياً على السحر والكهانة خاصة بغية القضاء عليهما نهائياً. أما الشعر فقد وقف منه المقدس موقفاً وسطاً قبل منه ما تواءم مع تصوره، ورفض منه ما تعارض معه بل اتخذ من الشعر وسيلة في خدمة مبادئه.

## مفهوم السحر:

لا شك في أن الإسلام باعتباره عصر الدين القيم والعلم قد انقلب انقلاباً تاماً على عصر السحر غير أن هذا لا يعني أن هذا الثالوث قد لا يتعايش في العصر الواحد يدافع فيه الثنائي الدين والعلم السحر فقد تعايش هذا الثالوث في الصدر الأول من الإسلام الذي أخذ في محاربة السحر وتكفير من يمارسه والحكم عليه

بالقتل. ولكن ما ماهية السحر؟ "السحر: "عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه. كل ذلك الأمر كينونة للسحر، ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حتى يظن أن الأمر كما يرى وليس الأصل على ما يرى... وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر" (2)

"هو التمويه وتخيل الشيء بخلاف حقيقته مع إرادة تجوزه على من يقصده به، وسواء أكان ذلك في سرعة أو بطء وفي القرآن: "يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى" (3) وهو كذلك "اسم لما دق من الحيلة حتى لا تفتن الطريقة" (4)

"هو فعل يخفى سببه ويوهم قلب الشيء عن حقيقته...السحر في أصل اللغة الصرف...وسمي السحر سحرًا؛ لأنه صرف الشيء عن جهته فكان الساحر لما أرى الباطل حقًا أي في صورة الحق، وخيل الشيء على غير حقيقته فقد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه" (5)

يلاحظ من هذه النصوص أن السحر مادة تتمحور حول معاني التخيل والتمويه ودقة الحيلة والإيهام والخداع، واللطافة والصرف، وهي كذلك تحيل على نوع واحد من السحر هو سحر الحركة الذي تخدم فيه العين فترى الأشياء على غير حقيقتها. غير أن السحر قد لا يعرف في ذاته وإنما يعرف بعجز معاينه عن فهم قوانينه، وعليه "فالسحر هو مشاهدة الظاهرة بالحواس دون فهم القوانين التي تحكم هذه الظاهرة، فإذا أحضرت ماء فيه بعض المواد الكيميائية ووضعت فيه ورقة بيضاء فتلونت وصارت حمراء، فإن الذي يجهل علوم الكيمياء يقول عن هذا إنه سحر. وهذا فعلاً ما قاله العرب عندما سمعوا القرآن أي أنهم سمعوا كلاماً عربياً دون فهم المحتويات والقوانين المبطنة لهذا الكلام" (6)

إن السحر في الإسلام محرم منهي عنه؛ لأنه "الإتيان بخارق عن مزاولة قول أو فعل محرم في الشرع أجرى الله سبحانه سنته بحصوله عنده ابتلاءً" (7). لقد وردت كلمة السحر بينها المختلفة في القرآن الكريم حيث نجد في بعض الآيات وصفاً أثبتته أهل مكة للقرآن، وفي بعضها وصفاً للرسول الأكرم إلى جانب وصفهما معاً كذلك بالشعر والكهانة فقد "كان بعض قريش في أول عهدهم بالإسلام متأثرين بعقيدتهم الجاهلية في مقدرة الشياطين على القول المزخرف، تلقي به على أوليائهم من الشعراء، وعلى الإخبار بالغيبي في صورة من التعبير مسجوعة. فحملهم عنادهم، وعمى قلوبهم على عدم إدراك الفرق بين ما يقوله الشعراء والكهان وبين ما نزل على محمد من القرآن؛ لهذا حسبوا قوله من وحي الشياطين" (8)

وينظر أبو زيد للقضية من منظار مختلف إذ يقول: "وحين وصف العرب محمداً بالشاعرية والسحر والكهانة فإنما كانوا يحاولون رد النص إلى إطار النصوص المألوفة من جهة، وكانوا يحاولون احتواء الدعوة والرسالة في إطار الوظائف الاجتماعية للكهانة والسحر والشعر في الواقع من جهة أخرى. وهذا يفسر لنا أن الاعتراض على الوحي لم يكن اعتراضاً على عملية الاتصال ذاتها بين إنسان وملك بل كان اعتراضاً إما على مضمون الوحي أو على شخص الموحى إليه" (9). ثم أخذ القرآن ينفي هذا الوصف عنه وعن الرسول بطرائق من الحجاج دامغة تتجلى في تفسير الزمخشري "فأثبت على تكبير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم: كاهن أو مجنون، ولا تبال به فإنه قول باطل متناقض؛ لأن الكاهن يحتاج في كهانته إلى فطنة ودقة نظر، والمجنون مغطى على عقله وما أنت بحمد الله وإنعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل أحد هذين" (10)

وعندي أن أهل مكة قد نعتوا القرآن بالسحر لعجزهم عن الكشف عن السبب الذي يجعل من يستمع

إليه من الرسول خاصة يعلن في طرفة عين إسلامه ، فمن "الدلالة على هذا السحر ما حكاه القرآن عن قول بعض الكفار: "لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون". فإن هذا ليدل على الذعر الذي كان يضطرب في نفوسهم من تأثير هذا القرآن فيهم وفي أتباعهم وهم يرون هؤلاء الأتباع يسحرون بين عشية وضحاها من تأثير الآية والآيتين، والسورة والسورتين، يتلوها محمد أو أحد أتباعه السابقين فتتقاد إليهم النفوس، وتهوي إليهم الأفئدة، ويهرع إليهم المتقون" (11) ، ولعجزهم كذلك عن الإتيان بمثله مع أنهم نعتوه بالشعر الذين هم أساطينه. ولأنها ممارسات يكتنفها الغموض والخفاء فقد "اختلف في أذهانهم الشاعر والساحر والكاهن فهم جميعاً ينتمون إلى دولة الظلام الغامضة الرهيبة، ومن وراء كل واحد منهم قوة خفية تمده وتعينه. وأعان على هذا الاضطراب والخلط ما كان يجري على ألسن السحرة والكهان من كلام شعري منمق، يصوغون فيه أحكامهم ونبوءاتهم" (12). ولما كان الشعر كالسحر لا يعرف السبب وراء تأثيرهما الغامض وصف القرآن بهما "فالسحر أول ما يقوم على التأثير في النفوس واسترهابها، والساحر يستعين على إلقاء الرهبة في صدور الناس بالبخور والتلاوات الغريبة التي يسمونها التعاويذ أو العزائم يستغل بها ما الكلام من خواص صوتية فيشغل بها الحواس ريثما ينفذ إلى النفوس فيقر فيها ما يشاء. وقد كان الشعر عندهم شبيهاً بهذا في تأثيره ونفاذه" (13). وهذه الآيات المشيرة إلى السجالات بين القرآن في رد ما وصف به ورسول الإسلام من السحر والشعر والكهانة وبين مشركي مكة الحيارى في أي الأوصاف أنسب لهذا الكلام العجيب — واضحة الدلالة "في اختلاط مفهوم الشعر والسحر في أوامهم العرب وواضحة الدلالة في أن العرب لم يفهموا من الشعر إلا أنه كلام منمق، يؤثر في المشاعر، ويهز النفوس ويحركها؛ ولذلك سموا القرآن شعراً وسموه سحرًا، والسحر لغة هو كل ما لطف مأخذه ودق، وسحر كمنع: خدع. فالملحوظ في اشتقاق السحر اللغوي: الخداع وقوة التأثير، وهو واضح في الشعر" (14).

ثم لعل في ترسيخ الارتباط العضوي بين السحر والشعر بالانتقال بهذا الارتباط من التعميم إلى التخصيص باتخاذ الهجاء نموذجاً له — الكثير من الوجاهة فـ "قد كان الهجاء من أكثر الفنون الشعرية ارتباطاً بالسحر في أوامهم العرب؛ ذلك لأن الخفاء والغموض اللذين لازما الشعر كانا أليق بالشر وأدنى أن يبعثا الرهبة والخوف في قلوب الناس. فقد كانت العرب تزعم أن لكل شاعر رثياً من الجن يسمونه تابعاً أو هاجساً" (15). والتواشج بين السحر والهجاء من الواضح بمكان "فالسحر كلمات تقال فيصيب شرها المسحور، وينصب ما تضمنت من لعنة على المقصود بالإيذاء، والهجاء كذلك كلمات تقال فيها معنى الشر، واستمطار اللعنة، والساحر يتوسل إلى شياطينه وأرواحه الشريرة أن تعينه على إلحاق الأذى بالمسحور، والهجاء يستلهم شياطينه الهجاء ويستعينها على المهجو؛ ولذلك غلب ذكر شياطين الشعر في الهجاء بنوع خاص... ولأمر ما نسب الناس هذه القوة الخفية التي تمد الشاعر بالشعر للشر ولم ينسبها للخير فقالوا (شيطان الشعر) ولم يقولوا (ربة الشعر) كما تعود اليونان أن يقولوا" (16). أما إحسان عباس فقد فسّر الاختلاف في نسبة الشعر بين العرب واليونان تفسيراً أرجعه إلى طبيعة الشعر نفسها "فالشعر عند العرب ذو مفهوم دفاعي أو هجومي بالدرجة الأولى إذ هو دفاع عن القبيلة أو هجوم على أعدائها وهب أن الهجاء لم يكن الفن الشعري الأول الذي ظهر بين الفنون فإن الحماسة نفسها وهي موضوع يتحدث عن الحرب والبطولة والثبات والفرار والأسر والقتل والسلاح — وثيق الصلة بتصور شياطين ملهمة وهذه الحماسة تتطلب رجالاً أشداء لا عذارى خفريات" (17)

الكهانة تعني ادعاء معرفة الغيب فـ“ الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار...فمنهم من كان يزعم أن له تابعاً من الجن ورتياً يلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو لعله أو حاله، وهذا يخصونه باسم العراف“ (18)

ولا أظن أن عبد الله الطيب قد فارق الصواب في ما ذهب إليه؛ لأن هذا الثالث (السحر والكهانة والشعر) كان يخرج في تصور العرب من سنخ واحد هو أنه نتاج قوى خارقة تتصل بعالم الجن والشياطين حين ذهب إلى ”أن الشاعر كان أول أمره من قبيل الكهان. ألا تراهم يذكرون له صاحباً من الجن كما للكهنة أصحاب من الجن يخطفون أخبار السماء ويلقونها إليهم؟ ثم خذ لفظ الشاعر نفسه — أليس اشتقاقه من قولهم شعر بمعنى عرف؟ من ذلك قولهم: ليت شعري أي ليتني أعرف؟ فكأن معنى الشاعر هو العارف. وأنت تعلم أن العراف (وهذه صيغة المبالغة لقولك العارف) قد كان أحد كهان العرب، وكانوا يطلبون إليه الطب ويحتكمون إليه في كثير من النوازل“ (19).

هذا، وقد ارتبط الكهان بكلام مخصوص مسجوع عرف بسجع الكهان اختلف الباحثون في الحكم عليه فمنهم من فهم حديث ”أسجعاً كسجع الكهان؟“ على أن السجع مذموم مطلقاً، ومنهم من فهمه على أن المذموم فقط هو ”سجع الكهان“ وليس السجع على إطلاقه إذ ”لو كره النبي صلى الله عليه وسلم السجع مطلقاً لقال: ”أسجعاً؟“ ثم سكت، وكان المعنى يدل على إنكار هذا الفعل لم كان، فلما قال: ”أسجعاً كسجع الكهان؟“ صار المعنى معلقاً على أمر، وهو إنكار الفعل لما كان على مثل هذا الوجه. فعلم أنه إما ذم من السجع ما كان مثل سجع الكهان لا غير، وأنه لم يذم السجع على الإطلاق“ (20) ”وكان الذي كرهه الأسجاع بعينها — وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة — أن كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم، كانوا يدعون الكهانة، وأن مع كل واحد منهم رتياً من الجن“ (21). أما الباقلاني باعتباره أشعرياً فلم يقف في مناقشة السجع عند هذا الحد بل ذهب موافقاً لإجماع الأشعرية إلى نفي السجع من القرآن؛ بحجة أن الكهانة تنافي النبوءات ”ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم، ولو كلن داخلها فيها لم يقع بذلك إعجاز. ولو جاز أن يقولوا: هو سجع معجز، لجاز لهم أن يقولوا: شعر معجز. وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر؛ لأن الكهانة تنافي النبوءات، وليس كذلك الشعر“ (22). ولا يستبعد عبد الله الطيب ”أن السجع قد كان طرازاً من الشعر أول أمره، ثم صار من السهولة بحيث خرج من باب النظم إلى باب النثر مرة واحدة. ومما يدل على أن السجع كان أول أمره شعراً أن الكهان في الجاهلية كانوا يسجعون، وكان لهم نوع خاص من السجع. والشعر في أول أمره يرتبط عادة بالسحر والكهانة والدين...ومما يستحق الذكر هنا أن أعداء النبي كانوا يتهمونه إما بالكهانة وإما بالشعر. وما أحسب أنهم ربطوا بين الكهانة والشعر من غير أن يكون في عقولهم رابط قوي بينهما“ (23)

### سحر البيان:

إذا كنا قد عرفنا مفهوم السحر وموقف الشرع الإسلامي منه باعتباره فعلاً محرماً يتقرب به إلى الشيطان، فإننا نود أن نتبين بأدوات حفر معرفي عميق التركيب الإضافي ”سحر البيان“ الذي جمع بين هذين المفهومين وهو بطبيعة الحال ليس جمعاً اعتباطياً؟

يطلعنا التراث النبوي والأدبي أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام هو المؤسس لهذا التركيب في مقولته المشهورة "إن من البيان لسحراً". قبل أن نستعرض من فسر هذه المقولة النبوية من القدامى والمعاصرين، يجدر بنا أن نشير إلى السياق الذي تنزلت فيه إذ هو بلا شك يعين على تفسيرها: روي أن النبي عليه السلام سأل عمرو بن الأهثم عن الزبرقان بن بدر فقال: "مانع لحوزته، مطاع في أدنيه". فقال الزبرقان: "أما إنه قد علم أكثر مما قال، ولكنه حسدني شرفي". فقال عمرو: "أما لئن قال ما قال فوالله ما علمته إلا ضيق الصدر، زمر المروءة، لئيم الخال، حديث الغنى". فلما رأى أنه خالف قوله الآخرُ قوله الأول، ورأى الإنكار في عيني رسول الله قال: "يا رسول الله، رضيت فقلت أحسن ما علمت، وغضبت فقلت أقبح ما علمت، وما كذبت في الأولى، ولقد صدقت في الآخرة". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: "إن من البيان لسحراً" (24).

إذا راجعت نص ابن الأهثم جيداً تجلّى لك أنه قد أحال على الدافع النفسي الثاوي وراء قلبه الكلام من مدح إلى ذم فتجده الرضا في الأولى الذي أوجب عليه قول الحسن، والغضب في الثانية الذي أداله إلى قول القبيح في شخص المتحدث عنه، مؤكداً أنه صادق في القولين؛ لأنه يعلم أحسن ما عند الزبرقان، وأقبح ما عنده من الصفات. إذن ثمة ارتباط هو ارتباط سبب بنتيجة بين الانفعال والبيان: فالرضا رائد القول الحسن أو المدح، والغضب ينتج القول القبيح أو الهجاء.

علق كثير من الباحثين قدامى ومعاصرين على هذا الحديث متفقين على التشابه القائم بين البيان والسحر إذ الجامع بينهما يتمثل في جعل الحق باطلاً والباطل حقاً، وفي مدى تأثير كل منهما في متلقيه سواء أكان التلقي عن طريق البصر أو طريق السمع أو عن طريقهما معاً. نختار من هؤلاء المعلقين تمثيلاً لا حصرًا:

### ابن رشيق

"فقرن البيان بالسحر فصاحة منه صلى الله عليه وسلم...؛ لأن السحر يخيل للإنسان ما لم يكن؛ للطفاته وحيلة صاحبه، وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل والباطل بصورة الحق؛ لرقعة معناه، ولطف موقعه، وأبلغ البيانين عند العلماء الشعر بلا مدافعة" (25).

### ابن منظور

"وقيل معناه: إن من البيان ما يكسب من الإثم ما يكتسبه الساحر بسحره فيكون في معرض الذم، ويجوز أن يكون في معرض المدح؛ لأنه تستمال به القلوب، ويرضى به الساخط، ويستنزل به الصعب" (26). يقرر ابن منظور هذا التأويل مرة أخرى بعد أن يقدم عليه تأويلاً آخر لا يختلف عنه كثيراً "وقيل معناه: إن الرجل يكون عليه الحق، وهو أقوم بحجته من خصمه، فيقلب الحق ببيانه إلى نفسه؛ لأن السحر قلب الشيء في عين الإنسان، وليس بقلب الأعيان، وقيل معناه: إنه يبلغ من بيان ذي الفصاحة أنه يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله وحبه، ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله وبغضه، فكأنه سحر السامعين بذلك، وهو وجه قوله: إن من البيان لسحراً" (27).

## أدونيس

”ويعني أن من البيان ما يؤثر في العقل والقلب تأثير السحر. فكما أن الشاعر يموه الحقيقة، ويزين الباطل حتى يظهره أنه الحقيقة، فإن المتكلم قد يسلب عقل السامع بمهارته، فيشغله عن التفكير بما يقوله، حتى يخيل إليه الباطل حقاً، والحق باطلاً. وهكذا قد يستميل البيان عقل الإنسان وقلبه كما يستميلهما السحر“ (28)

نحن إزاء نوعين من السحر إذن: سحر حرام، وسحر حلال هو البيان في فطنة. وقد جرت هذه الكلمة على لسان عمر بن عبد العزيز. وكان العرب يسمون الكلام الغريب ”السحر الحلال“، ويقولون: ”اللفظ الجميل من إحدى النفثات في العقد“ (29)، لا سيما في باب الشعر، فهو ”يغض من شرف الشريف، ويظلم من قدر ذي العزة المنيف، ويظلم الفضل ويتهمه، ويخدش وجه الجمال ويتخونه، ويعطي الشبهة سلطان الحجّة، ويرد الحجّة إلى صيغة الشبهة، ويصنع من المادة الخسيسة بدءاً يغلو في القيمة ويعلو، ويفعل من قلب الجواهر وتبديل الطبائع ما ترى به الكيمياء وقد صحت، ودعوى الإكسير وقد وضحت، إلا أنها روحانية تتلبس بالأوهام والأفهام، دون الأجسام والأجرام“ (30) يدل على ذلك التصرف الثنائي الضدي السحري للشعر ”المكانة المرموقة التي حظي بها (الشاعر) في السلم الاجتماعي، واعتبارهم إياه مخلوقاً ”من نوع خاص“ يتمتع بقدرات خارقة على الفطنة بما لا يفتن به الناس، والتطلع إلى الغيب وإقامة علاقات مع عالم الجن والشياطين“ (31).

من هنا جاء اقتران الشعر بالسحر بوصفه كلاماً ليس في مقدور كل الناس؛ لأنه كلام يختص بخصائص نوعية في التعبير عن المعاني، فيه من الانزياح القدر الذي يبين الكلام العادي. لقد بلغ هذا الاقتران بينهما درجة ”تكاد تلغي الفواصل بين الظاهرة الشعرية والظاهرة السحرية، وتجعل القارئ يدلف بسهولة من إحداها إلى الأخرى: ذلك أن مواد السحر اللفظي وإجراءاته قريبة جداً من مواد الشعر وإجراءاته، وأن الخطابين البلاغي والنقدي قد استخدموا — في الماضي والحاضر — مواد السحر وإجراءات الساحر في الحديث عن مواد الشعر وإجراءات الشاعر“ (32) ولما كان مدار الشعر البلاغة باعتبارها آلتها وأداتها الأولى كان الكلام عن أحدهما كلاماً عن الآخر. إن حديث ”إن من البيان لسحراً“ كان تعليقاً من الرسول الكريم على كلام نثري قلب فيه في لمحة صاحبه المدح ذمّاً، ولما كان البيان ليس مقصوراً على النثر فهو يشمل الشعر كذلك، تدل على ذلك كلمة ”من“ التي تفيد الجنس أي أن في جنس البيان ما هو سحر أو تفيد البعضية أي بعض البيان سحر، كما تفيده الجملة المعطوفة على تلك التي أردف بها الرسول الكريم ”وإن من الشعر لحكماً“ باعتبارها عطفت خاصاً (الشعر) على عام (البيان).

قد يتماهى البيان مع الكلام بوصفه المميز للإنسان عن الحيوان وقد ينفصل عنه باعتباره درجة أعلى في الكلام فكل بيان كلام ولا ينعكس، كما يميز بين البلاغة والفصاحة من وجه ”وهو أنها (البلاغة) لا تكون إلا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب، فإن اللفظة الواحدة لا يطلق عليها اسم البلاغة، ويطلق عليها اسم الفصاحة، إذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها، وأما وصف البلاغة فلا يوجد فيها لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاماً“ (33)

في اعتقادي أن المتكلم قد يكون فصيحاً بأن يعطي لكل صوت حقه ومستحقه من الصفة والمخرج،

وأن يراعي شروط الفصاحة المتواضع عليها في اللفظة المفردة والتركيب ولكنه قد لا يراعي المقام إذ البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته؛ مما يعني أن البلاغة مشروطة بالفصاحة والفصاحة ليست كذلك. وإن من البيان نوعاً يوصف بالسحر مما يعني أن ليس كل البيان سحرًا والسحر الوارد هنا مستخدم على وجه المجاز في حين أنه في وصف مشركي مكة القرآن مستخدم على الحقيقة. وبهذا فإن سحر البيان أو البيان الساحر درجة أسنى في سلم البيان قد يوصف بها الكلام الذي يمكن أن ينقلب إلى ضديده أو الذي يحول الباطل حقًا والحق باطلاً مما فسر به الحديث النبوي، على أن هذا مستوى واحد من مستويات السحر البياني، وهو يمثل أدناها بالنسبة إلى الكلام الإلهي الذي يأتي على رأس السحر البياني، وبالنظر إلى الكلام النبوي الذي يأتي في المرتبة الثانية في السحر البياني بعد الكلام الإلهي. إن السحر البياني لا يقتصر على الجانب الجمالي للكلام الذي يتوسل فيه بالوسائل البلاغية المختلفة، والدليل على ما أذهب إليه هو كلام عمرو بن الأهتم الذي علق عليه الرسول الكريم بقوله ” إن من البيان لسحراً“ فإن نظرة فاحصة لهذا الكلام تبين خلوه من الوسائل البلاغية والبيانية.

ولما كان السحر البياني للقرآن مفروغاً منه فإننا سنقتصر على شواهد من الكلام الشعري. إن المقصود بسحر البيان الأثر الذي تحدثه الكلمة في النفوس، والتي تفعل فعلها فيها حتى تقوم النفوس برد فعل تجاه فعل الكلمة. مصداق تأثير الكلمة تلك المقولة ذائعة الصيت ” الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان“ هذه المقولة إذا تأملناها تحيل على الصدق باعتباره السر الخفي في تأثير الكلمة. وتأثير الكلمة في ضوء هذه المقولة صنفان: سطحي خارجي عابر بحيث لا يتعدى الآذان وهذا مصدره اللسان وحده، وعميق داخلي باق يقر في القلب؛ لأن مصدره القلب مع أن اللسان وسيلة كلا الصنفين مما يعني أن تأثير البيان ليس مرهوناً باللسان وحده ليفعل فعله السحري وإنما مرهون بالصدق الذي مكمنه القلب. تأسيساً على ذلك، فإن جهرارة الصوت ورفعته لا تؤثر في المتلقي دون صدق المتكلم بما يقول، وهي لا تعد بلاغة إذا كانت في مقام ترقيق القلوب الذي يوجب الهمس وخفض الصوت واللين فيه ليتسلل الكلام إلى مسارب الروح وإلى شغاف القلوب، ويفعل أثره مما يعني أن للقول سياسة ينبغي لمن يمارسه ويروم أن يجني ثماره من تأثير وإقناع وإمتاع أن يكون على وعي بسياسة القول التي يعد مفتاحها عبارة البلاغيين الأكثر شهرة ” لكل مقام مقال“.

في هذا الشوط من البحث، ينبغي الوقوف عند بعض النصوص والمرويات بغية تفسيرها وتحليلها بوصفها نصوصاً ومرويات تؤيد مدى تأثير الكلمة في متلقيها وتدفعه إلى رد فعل تجاه سحرها الأسر. لقد سجد الفرزدق عند سماعه بيت لبيد:

وَجَلَّ السُّيُولُ عَنْ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تُجَدُّ مَتَوْنَهَا أَقْلَامُهَا

إن سجود الفرزدق ينظر إليه على أنه رد فعل تجاه قول سحري بهره وأدخل الروعة في قلبه وهو الشاعر الخبير بكنه الشعر يتمثل ذلك في قوله ”أنا أعرف سجدة الشعر“. لقد جعل الفرزدق للشعر سجدة كما للمقدس سجدة غير أن سجدة الشعر تنم عن إكبار وإعظام وإعجاب في حين أن سجدة المقدس تنبئ بالتنزيه والتوحيد والتعظيم. إذا أمعنت النظر في البيت تحلية لسحر بيانه الذي جعل الفرزدق يسجد دهشاً وعجباً وجدته قد قرن بين مشهد واقعي ومشهد متخيل، كما أن فيه تماهياً بين المشهدين وكأنك تنظر إلى مشهد واحد تسمع فيه وتبصر في أن: تسمع خريبر السيول/الأمطار وصرير الأقلام وتبصر فعلهما المتمثل في تلميع الأولى للطلول الدائرة وتجليتها مما علق بها من أغبرة، وفي تجديد الثانية/الأقلام بحبرها

لمتون الكتب التي طال بها العهد وأخذ تسويدها في التلاشي، فهي تصوير يوحى بحرص الطبيعة على تجديد الحياة المادية والحياة الفكرية في أن خشية الاندثار والتلاشي. أما من الناحية الموسيقية فتجد التكرار غالباً فإن كلمات "السيول والطلول والمتون" فهن ذات صيغة واحدة مما يجعل توقع البيت خفيفاً سلسلاً، وصوت اللام مكرراً خمس مرات، والمقطع "ها" الذي يشكله الضمير الغائب الموحى صوتياً بالمد الرأسي العمودي في تجاوب مع المد الأفقي المهيمن الدال على السرعة الخاطفة مبنى ومعنى في الشطر الأول.

تطاول بني أنف الناقة وتفاخرهم بعد قول الحطيئة فيهم:

سيرى أمام فإن الأكثرين حصى والأكرمين إذا ما ينسيون أبا

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا؟

فقد كانوا قبل هذا القول الشعري يفرون من هذا اللقب، ويستحون منه، ويخشون أن يُذكروا به ولكنهم بعد هذا القول صاروا يشمخون بهذا اللقب ويعتزون. إن هذا القول الشعري قلب هؤلاء القوم في طرفة عين من حال إلى حال، وكان نقطة تحول بامتياز في حياتهم، وكان فاصلاً بين شعورين: شعور الحياء والاشمئزاز قبل القول الشعري، وشعور الشموخ والتطاول بعده، وهكذا سحر البيان حين يكون علامة فارقة بين عهدين متضادين أو حين يصير مركزاً بين "قبل وبعد". وما أروع تعليق الجرجاني على بيت الحطيئة "فنفى العار ووضع الافتخار وجعل ما كان نقصاً وشيناً فضلاً وزيناً، وما كان لقباً ونبزاً يسوء السمع شرفاً وعزاً يرفع الطرف. وما ذاك إلا بحسن الانتزاع ولطف القريحة الصناع، والذهن الناقد في دقائق الإحسان والإبداع، كما كساهم الجمال من حيث كانوا عروا منه، وأثبتهم في نصاب الفضل من حيث نفوا عنه، فلرب أنف سليم قد وضع الشعر عليه حده فجدعه، واسم رفيع قلب معناه حتى حط به صاحبه ووضع" (34)

وعلى خلاف الواقعة السابقة، فقد حوّل قول شعري بني نمير الذين كانوا أحد جمرات العرب، وكان الواحد منهم إذا سئل عن أصله ونسبه أظهر تعالياً وزهوياً حين يجيب بأنه من بني نمير، ولكن سرعان ما انقلبت الآية بعد أن هجاهم جرير بقوله:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فأصبحوا مضرب المثل في الهجاء ومثالاً للسخرية والتندر، ولعل قول الجاحظ "وما علمت في العرب قبيلة لقيت من جميع ما هجيت به ما لقيت نمير من بيت جرير" (35) (الجاحظ، 1998) يبين عن المأل المخزي الذي آلت إليه بنو نمير. هذا وقد سميت هذه القصيدة بالفاضحة أو الدماغية.

كل هذه الوقائع وغيرها (36) تثبت مدى تأثير الشعر في متلقيه هجاءً أو مدحاً، أو وصفاً دون أن تقف بالبحث والتنقيب عن سر هذا التأثير في بنية الخطاب الشعري؛ لقد جاء الحديث عن تأثير الشعر في المتلقي في هذه الوقائع حديثاً سطحياً فوق أنه حديث يتصل بما هو خارج القول الشعري؛ لأن النظر إليه كان نظراً أفقياً يمتد من الخطاب إلى المتلقي. إن سحر البيان الشعري ينبغي — في رأبي — أن ينقب عنه في جسد الخطاب بالغوص على مكوناته الصوتية والمعجمية والتركيبية والبلاغية والدلالية. هذا، ومما يجب أن يوضع في الحسبان هو أن البلاغة ليست وسيلة فحسب من الوسائل التعبيرية الجمالية الساحرة التي يتوسل بها الأديب وإنما هي كذلك أداة من أدوات التحليل العميق بحثاً عن سر السحر البياني فهي إذن أداة تعبير وأداة تحليل: في الأولى تجعل النص جميلاً أسراً ساحراً وفي الثانية يتوسل

بها في الكشف عن سر السحر البياني الأسر. قد عرفنا أن ثمة صلة في منابع الموهبة والإبداع عند العرب بين ما هو سحري وما هو شعري ولكننا في هذه المحطة من البحث نروم استكناه سر السحر في الخطاب البياني، وسر تأثيره القوي في متلقيه. إذا كان عبد القاهر الجرجاني قد وضع اليد على سر الإعجاز ودلالته في الخطاب القرآني والشعري معاً جاعلاً من نظرية النظم ممكن ذلك الإعجاز؛ فإن سيد قطب قد خلص بعد معايشة صادقة للقرآن إلى أن التصوير الفني بمحمولاته من تخيل حسي وتجسيم وتناسق فني هو منبع السحر في هذا الكتاب الكريم، وكذلك فعل عبدالله الطيب ولكن في الخطاب الشعري بغية فهم أشعار العرب وصناعتها، وإرشاد القارئ إلى هذا الفهم وهذه الصناعة بعد تشريح داخلي وتوصيف خارجي مستفيضة للظاهرة الشعرية استغرق نحو أربعة أجزاء من مشروعه الضخم الموسوم بـ "المرشد".

ليس من همي بل ليس في مكنتي أن أرصد باستقصاء كل خطاب شعري يمثل سحر بيان بغية الحفر والتنقيب عن مظاهر السحر البياني فيه وألوانه؛ لذا سأكتفي بإيراد بعض النصوص محاولاً وضع اليد على ما فيها من وسائل سحر البيان التي يمكن أن أقتصر تناولي إياها على ما يأتي:

### 1/ التصوير:

لقد أجمع النقاد على أن الكلام المصور للمعاني أبعد تأثيراً من الكلام المجرد الذي ينقل المعاني عارية من كل تصوير. أذكر من هؤلاء النقاد تمثيلاً لا حصراً ابن الأثير إذ يقول: "وأعجب ما في العبارة المجازية أنها تنقل السامع عن خلقه الطبيعي في بعض الأحوال حتى إنها ليسمح بها البخيل ويشجع بها الجبان ويحكم بها الطائش المتسرع، ويجد المخاطب بها عند سماعها نشوة كنشوة الخمر، حتى إذا قطع عنه ذلك الكلام أفاق وندم على ما كان منه من بذل مال، أو ترك عقوبة، أو إقدام على أمر مهول، وهذا هو فحوى السحر الحلال المستغنى عن إلقاء العصا والحبال" (37)، وسيد قطب فبعد أن استنبط أن التصوير الفني هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن خلص إلى أن الطريقة التي تنقل المعاني وهي مجردة أفضل منها الطريقة التي تنقلها وهي مصورة؛ لأن المعاني "في الطريقة الأولى تخاطب الذهن والوعي وتصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة، وفي الطريقة الثانية تخاطب الحس والوجدان وتصل إلى النفس من منافذ شتى: من الحواس بالتخييل، ومن الحس عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء. ويكون الذهن منفذاً واحداً من منافذها الكثيرة إلى النفس، لا منفذاً المفرد الوحيد" (38).

من هنا يكون للتصوير تأثير السحر أو يكون آلية من آليات سحر البيان. هذا، وعندي أن التصوير لا يكون إلا بين محسوسين تمييزاً له عن آيتين أخريين تدرجان تحته هما التشخيص والتجسيم. إذا تذكرت أن التصوير الشعري مرادف للتخييل استقرت عندك العلاقة الوشيجة بين الشعر والسحر، وقوي عندك التأثير الذي يحدثه كلاهما في المتلقي. انظر إلى قول امرئ القيس:

وليـل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي  
فقلت له: لما تطفى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل  
ألا أيها الليل الطويل ألا انجـل بصبح وما الإصباح منك بأمثل

إن امرأ القيس يعيش حالة نفسية رهيبية لا يجلوها عنه لا ليل ولا صباح فحين أراد أن يعبر عن ثقل هذه الحالة النفسية على ذاته عمد إلى تصوير الليل بوج البحر رامزاً إلى بقاءه وطوله وعدم انقضائه،

ثم عمد إلى تصويره مرة أخرى رامزاً هذه المرة إلى ثقله بمخلوق مفرط في الضخامة والبدانة أخذ في تأكيد هذه الضخامة التي لازمها البطء والثقل في الحركة بتقسيم ثلاثي يحيل على أعضاء معينة لهذا الكائن "تمطى بصلبه، أردف أعجازاً، ناء بكلكل" تمثيلاً بليغاً لهذه الحركة الثقيلة البطيئة. لقد انتقل بنا الشاعر من الليل/موج البحر حين أراد التعبير عن طول الليل الذي لا يريد انقضاء إلى الليل/الكائن الضخم حين رام التعبير عن ثقل الليل وبطئه الأمر الذي يفيد أن الشعر يماهي — وهذا ما يفعله السحر — بين العوالم والأشياء.

لا تحسب أن النظر إلى الشعر على أنه يفعل كذلك — إلى جانب السحر — ما يفعله الفن (الرسم والنحت) في وجدان المتلقي — فكرة وليدة العصر الحديث أو استمددناها من الفكر الأوربي بل هي فكرة أصيلة في الفكر أو النقد العربي يغنيها عليها شاهداً قول الجرجاني "فالاحتفال والصنعة في التصويرات التي تروق السامعين وتروعههم، والتخيلات التي تهز الممدوحين وتحركهم، وتفعل فعلاً شبيهاً بما يقع في نفس الناظر إلى التصاوير التي يشكلها الحذاق بالتخطيط والنقش أو بالنحت والنقر، فكما أن تلك تعجب وتخلب، وتروق وتونق، وتدخل النفس من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبل رؤيتها، ويغشاها ضرب من الفتنة لا ينكر مكانه، ولا يخفى شأنه... كذلك حكم الشعر فيما يصنعه من الصور، ويشكله من البدع، ويوقعه في النفوس من المعاني التي يتوهم بها الجامد الصامت في صورة الحي الناطق، والموات الأخرس في قضية الفصيح المعرب، والمبين المميز، والمعدوم المفقود في حكم الموجود المشاهد" (39).

استناداً إلى نص الجرجاني يمكن التشديد على أن التماهي في التأثير في وجدان المتلقي بين الشعر والسحر والفن (الرسم والنحت) لم يغيب عن المخيال العربي مما يفيد أنهم كانوا على إدراك ووعي تام بأنها جميعاً تعود إلى سنخ واحد هو ما خفي سببه، وصعب الكشف عن كنهه وماهيته مصدرًا ووظيفة.

### 2/التشخيص:

يتردد إلى جانب التشخيص مصطلح آخر يرادفه في المفهوم هو مصطلح "الأنسنة"، وهي تقنية تتجلى في "خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية" (40) الأمر الذي يفيد أن الحياة المخلوعة على المواد والظواهر هي الحياة الإنسانية وحدها، ولعل ما يؤكد هذا أن كلمة التشخيص عند (أبو موسى) "منتزعة من الشخصية أو الشخص؛ لأنه يعني نسبة أو إضافة ضروب من الشخصية للأشياء" (41) من هذا المنطلق يتبين لنا أن الذي يحدد التشخيص أو الأنسنة هو المشبه به حين يحيل على صفات الإنسان سواء أكان المشبه شيئاً محسوساً أو شيئاً مجرداً لئلا يلتبس بالتجسيم أو التجسيد الذي يقتضي أن يكون المشبه به مادة جامدة أو كائناً حياً غير إنسان والمشبه أمراً معنوياً مجرداً.

لقد فسر أبو موسى لجوء الشاعر إلى أنسنة الأشياء من حوله تفسيراً نفسياً بوصفه من خصائص الذات الإنسانية " وهذه الخصوصية أعني إضفاء الصفات الإنسانية على الأشياء من خصائص النفس الإنسانية التي تنزع في كثير من الحالات إلى أن يصير ما حولها داخلاً في جنسها، وكأنها جادة في أن تحول الأشياء كلها إلى أناس لتعيش معها في وئام، ولتبثها سرانها، أو لتبوح لها الأشياء بدواخلها، وهي تنزع إلى إخراج الأشياء من حالة الصمت الذي ينطوي على رهبة وغموض إلى حالة

النطق المبين“ (42)

إذا كانت هناك أنواع من التصوير الشعري قد تداولها جل الشعراء على مر العصور فلقد تحامى الشعراء بعضها كتلك التي تفرد بها أصحابها، وعجز غيرهم عن الإتيان بمثلها؛ لذا وصفت بالعقم ”التي لم يسبق أصحابها إليها، ولا تعدى أحد من بعدهم عليها، واشتقاقها — فيما ذكر— من الریح العقيم التي لا تلحق شجرة ولا تنتج ثمرة“ (43). وقد مثلوا لها بقول عنتره في صفة الذباب (النحل):

جادت عليها كل عين ثرة فتركن كل حـ ديقة كالدرهم  
فترى الذباب بها يغني وحده هزجا كفعل الشارب المترنم  
غردا يحك ذراعاه بذراعاه فعل المكب على الزناد الأجذم

لقد علق الجاحظ على هذا التشخيص بقوله: ”يريد فعل الأقطع المكب على الزناد، والأجذم المقطوع اليدين. فوصف الذباب إذا كان واقعا ثم حك إحدى يديه بالأخرى، فشببهه عند ذلك برجل مقطوع اليدين يقدهم بعودين، ومتى سقط الذباب فعل ذلك. ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شعر عنتره“ (44)

من تعليق الجاحظ أعلاه، تبين أنه لم يلتفت إلى التشبيهين الواردين في البيتين الأول: تشبيهه (الحديقة بالدرهم)، والثاني: تشبيهه (النحل بالشارب المترنم في الغناء)؛ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنهما تصويران كثيرا التداول ومن الشيعوع بمكان على خلاف البيت الأخير الذي صنف في دائرة التشبيهات العقم التي لا ينزع أحد في أنها تتربع على قمة هرم السحر البياني فهو تشخيص مصيب دقيق: المشبه به فيه إنسان مقطوع اليدين يريد أن يقده ناراً ويشعلها بعودين وهو طرف متخيل مستدعى، في مقابل المشبه المعين المرئي وهو ما يصدره الذباب حين يسقط من حركة متمثلة في حك إحدى يديه بالأخرى. تأسيساً على ذلك يمكن القول بأن ”ليس في الشعر أحلى ولا أعذب من هذه المواقف التي تتحول فيها الأشياء عن طبيعتها وأوصافها المألوفة لتصير أشياء جديدة بعدما نفتت فيها روح الشعر من فيض حياتها، وإنما يكون ذلك حين يهتز الشاعر بالشعور القوي والانفعال الصادق، أو قل حين تدور حميا الشعر برأسه فتتحرك الحياة من حوله حركة ثانية“ (45)

3/التجسيم:

ينبغي أن نعلم أن من معاني البنية الصرفية التي جاءت عليها كلمة ”التجسيم“: التحويل أو التصيير ف ”جسمه“ تعني جعل له جسماً أو حوله وصييره جسماً، الأمر الذي يفيد أن التجسيم شرطه أن يكون المشبه شيئاً مجرداً يخرج من حيز التجريد والمعنويات إلى حيز الأجسام أو الأجساد جامدة كانت أو حية. يظهر جلياً أن تحويل المعاني من طابعها المجرد إلى طابع حسي أدخل في باب السحر البياني من تشبيه محسوس بمحسوس، ومن ثم أكثر إدهاشاً وإثارة وترويعاً للنفس وأدعى إلى إعجابها واهتزازها ودغدغتها؛ وذلك لأن ”أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن ترددها في الشيء لعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعمما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع؛ لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام“ (46).

هذا، والتجسيم تقنية فنية فاشية وطاغية في الخطاب الشعري العربي قديمه وحديثه، ولكننا سنكتفي

## حضرية في الطابع السحري للبيان - دراسة وصفية تحليلية

باستعراض بعض النماذج منها؛ لأن طبيعة هذا البحث لا تسمح بدراسة تفصيلية استقصائية لها. فمن التصوير المبني على التجسيم:

فأصبحت من ليلي الغداة كقابض على الماء خاتته فروج الأصابع

إن المشبه هنا معنى مجرد هو خيبة الأمل في أن يسعد بوصول محبوبته ليلي، والمشبه به أمر حسي يتمثل في القبض على الماء الذي يستحيل القبض عليه إذ يتسرب من فروج الأصابع. ولما كانت خيبة الأمل أمرًا نسبيًا يتفاوت مقدارها في العقل ويختلف فقد بين مقدارها حسيًا عن طريق التجسيم بحيث تبصرها وتقدر بلوغها إلى أي غاية دون شك أو ارتياب "فالشاعر لما قال: "كقابض على الماء خاتته فروج الأصابع" أراك رؤية لا تشك معها، ولا ترتاب أنه بلغ في خيبة ظنه، وبار سعيه إلى أقصى المبالغ، وانتهى فيه إلى أبعد الغايات، حتى لم يحظ لا بما قل ولا ما كثر... ونحن بنوع من التسهيل والتسامح نقع على أن الأنس الحاصل بانتقالك في الشيء عن الصفة والخبر إلى العيان ورؤية البصر ليس له سبب سوى زوال الشك والريب. فأما إذا رجعنا إلى التحقيق فإننا نعلم أن المشاهدة تؤثر في النفوس بصدق الخبر." (47)

في هذا النص يقرر الجرجاني أن سبب الأنس الذي يخالج المرء حين يُنقل إليه المعنى عن الصفة والخبر إلى الحس والعيان لا يكمن في أنه زوال الشك والريب ونفيهما إلا تسامحًا وتساهلاً وإنما يكمن على التحقيق في المشاهدة نفسها فليس الخبر كالمعينة كما يقال، ثم يؤكد الجرجاني مدى تأثير التجسيم بالرؤية في النفوس بقوله: "... بقي لنا ما تقتضيه الرؤية للموصوف على ما وصف عليه من الحالة المتجددة مع العلم بصدق الصفة. يبين ذلك أنه لو كان الرجل مثلاً على طرف نهر في وقت مخاطبة صاحبه وإخباره له بأنه لا يحصل من سعيه على شيء فأدخل يده في الماء وقال: "انظر هل حصل من كفي من الماء شيء؟ فكذلك أنت في أمرك" — كان لذلك ضرب من التأثير زائد على القول والنطق بذلك دون الفعل" (48)

4/ الجرس الموسيقي:

الشعر يتميز بضرين من الموسيقى: موسيقى خارجية تتمثل في الوزن، وموسيقى داخلية تتخلل الوزن. وعنايتنا هنا ستكون بالموسيقى الداخلية باعتبارها ذات تأثير سحري كلما منحها الشاعر مزيداً من المراعاة والاعتناء بتوفره على الآليات والوسائل التي تنتج هذه الموسيقى، والتي تتمثل في علم البديع عامة، وفي المحسنات اللفظية على وجه الخصوص كالجناس وغيره، وفي التكرار.

لقد أثرت — موافقاً عبد الله الطيب — اختيار كلمة الجرس بوصفها أدل على ما يراد به من نعت الألفاظ ورنينها "فصوتها نفسه يشعر بمعناها، وهي بعد لفظ واسع المدلول، ينضوي تحته كل ما يتعلق بدنونة الألفاظ في البيان الشعري... وكل ما من شأنه أن يعين على تجويد البنية والرنين في أبيات الشعر" (49).

إن الشاعر حين يريد الإيحاء بالمعاني في سياق الغرض الشعري الذي يعبر عنه، يعتمد بالإضافة إلى موسيقى الإطار — الوزن والقافية، في الشعر القديم إلى مزيد من الاعتناء بموسيقى النسيج الداخلي باستخدام الترصيع والتوازي الصرفي والتجنيس والتقسيم أو التقطيع مما يشير إلى مدى الانفعال الذي كان ينتابه وهو يخوض غمار التجربة التي كان متلبساً بها عند التعبير. غير أنه لا بد من التأكيد على أن الأبيات التي تتسم بمزيد من العناية الموسيقية تأتي في القصيدة الواحدة متباعدة أو متوالية بحيث لا تتعدى أصابع اليد الواحدة. والدليل على ما أقول هو أن تمثيل البلاغيين لهذه الظواهر البديعية لا يتجاوز البيتين أو البيت المفرد الذي ينتزع من عدة قصائد. أستثنى من هذه الظواهر الموسيقية في هذا الجانب الكمي التكرار الذي قد تتعدى الأبيات فيه أصابع اليدين.

يجب التشديد على أن هذه الظواهر تصويرية كانت أو تنغيمية تمثل ضفيرة واحدة في القصيدة، وهي مجتمعة

في تناغم توحى بسحر البيان، وتتضافر في التأثير النفسي في المتلقي. إن الوزن أفقي يبدأ من الوحدة الأولى وينتهي عند الوحدة الأخيرة التي تحدد الروي الذي ستبنى عليه القصيدة ويلتزم به في كل بيت من أبياتها صوتاً وحركة، وله كذلك بعد رأسي يتجلى بالنزول من البيت الأول إلى البيت الأخير من القصيدة خاصة إذا كانت بعض الأبيات تتناول معنى واحداً. إذا كانت تلك رؤية كلية للقصيدة وزناً وقافية فإن الرؤية التحليلية تبدأ من الوحدات الجزئية التي تتمثل في الصوت وطبيعته صمناً وليناً، جهرًا وهمسًا، طولًا وقصرًا، وفي المفردات باعتبارها اللبنة الأولية التي ينبنى التركيب الذي يندغم فيه النحوي والبلاغي والدلالي.

ينبغي ألا يفهم مصطلح المحسن اللفظي بمنأى عن المعنى ومن هنا فإن لدي تحفظاً على التقسيم المدرسي للبدیع إلى محسن لفظي وآخر معنوي. إن الجناس على سبيل المثال بوصفه محسنًا لفظيًا لا يمكن أن يكون بمنأى عن المعنى لاستحالة أن يكون سحر البيان في مجرد السهولة وسلامة الألفاظ مما ينقل على اللسان. يعلق عبد القاهر على أمثلة ضربها للجناس المفيد المستحسن وغير المفيد المستهجن مقررًا أن الاستحسان أو الاستضعاف لها "لم يكن لأمر يرجع إلى اللفظ ولكن لأنك رأيت الفائدة ضعفت في الأول وقويت في الثاني، وذلك أنك رأيت أبا تمام لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعك حروفًا مكررة لا تجد لها فائدة — إن وجدت — إلا متكلفة متمحلة، ورأيت الآخر (حتى نجا من خوفه وما نجا، ناظره في ما جنى ناظره) قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخذعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك أنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفأها، وهذه النكتة كان التجنيس وخصوصًا المستوفى منه مثل "نجا ونجا" من حلي الشعر" (50)

أستشف من خطاب الجرجاني هذا أن سلطة المعنى ينبغي أن تكون فوق سلطة اللفظ لا العكس، فهو يجب أن يكون متبوعًا لا تابعًا للفظ عامة ولا للمحسن اللفظي خاصة كالجناس والسجع وغيرهما، على "أن الجناس هو أقوى وسائل الزخرف لما يجتمع فيه من تأثير القوى المختلفة على الوزن من طريق الجرس، وعلى الجرس من طريق تشابه الحروف، وعلى الخط من طريق رسم الكلمات، وعلى العقل من طريق الإيهام والتورية التي تتبع تشابه الكلمات والحروف" (51).

### الخاتمة:

لقد حاول البحث أن يحفر حفرة معرفيًا عميقًا ليستنبط العلل والوجوه التي تجعل نصًا ما يوصف بسحر البيان. وكان نتيجة هذا الحفر المعرفي أن وقع على هذه العلل فوجدها في التصوير والتشخيص والتجسيم والجرس الموسيقي. وكان قبلا قد ناقش وصف مشرقي مكة القرآن بالسحر وبالشعر وبالكهانة مقدمًا لهذه الأوصاف تفسيرًا، ثم انتقل من مفهوم السحر الحرام إلى مفهوم السحر الحلال الذي يرادف سحر البيان الذي جرى على لسان الرسول الكريم بوصفه المؤسس لهذا المصطلح، كاشفًا عن السياق الذي تنزل فيه، معطياً نصوصًا لكل تقنية من تقنيات سحر البيان الشعري المذكورة آنفًا مشفوعة بالتحليل والتفسير والتعليل، مؤكدًا على أن تأثيرها السحري لا يكون إلا وهي مجتمعة.

## النتائج:

لقد توصل البحث إلى حزمة من النتائج يمكن إيرادها على النحو الآتي:

- قاس العرب نزول الوحي بالقرآن على اتصال الشيطان بالإنسان في مجال الشعر والسحر والكهانة فجعلهم هذا يصفون القرآن بهذه الصفات.
- لقد قضى الإسلام نهائيًا على السحر والكهانة عدا الشعر الذي اتخذ منه موقفًا وسطًا بل اتخذه وسيلة لخدمة مبادئه هجومًا ودفاعًا.
- أن السحر الذي وصف به القرآن كان على وجه الحقيقة، وأن السحر الذي وصف به البيان كان مجازيًا، وللتفريق بينهما سمي الأخير بالسحر الحلال.
- ساق بعض النقاد القدامى مرويات يستشف منها مدى تأثير الخطاب الموصوف بسحر البيان دون أن يحفروا عميقًا بحثًا عن علل هذا التأثير الخفية.
- أن التصوير والتشخيص والتجسيم والجرس الموسيقي مجتمعة من الآليات التي تجعل الخطاب يصنف في دائرة سحر البيان
- أن البلاغة أداة تحسين للكلام وأداة تحليل: في الأولى تجعل الكلام ساحرًا أسرًا، وفي الثانية يتوسل بها في الكشف عن سر سحره وأسرده.

الهوامش:

- 1- د. مبروك المناعي "الشعر والسحر" دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م، ص65
- 2- ابن منظور "لسان العرب" دار صادر، بيروت، 4/348
- 3- أبو هلال العسكري "الفروق اللغوية" دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2006، ص287
- 4- المصدر نفسه، ص288
- 5- التهانوي "كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" مكتبة لبنان، ناشرون، ط1، 1996، 1/935
- 6- د. محمد شحرور "الكتاب والقرآن" الأهالي للطباعة ونشر والتوزيع، دمشق، بدون، ص83
- 7- المصدر السابق، 1/935
- 8- د. عبد الرزاق حميدة "شياطين الشعراء" مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون، 1956م، ص130
- 9- د. نصر حامد أبو زيد "مفهوم النص" المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط7، 2008م، ص141
- 10- الزمخشري "الكشاف" دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009م، 1057
- 11- سيد قطب "التصوير الفني في القرآن" دار الشروق، بيروت، ط3، 1995، ص14
- 12- د. محمد محمد حسين "الهجاء والهجاءون في الجاهلية" مكتبة الآداب بالجاميز، بدون، ص52-53
- 13- المرجع السابق، ص53
- 14- المرجع السابق، ص55-56
- 15- المرجع السابق، ص57
- 16- المرجع السابق، ص59
- 17- د. إحسان عباس "تاريخ النقد الأدبي عند العرب" دار الشروق، عمان، ط1، 2001م، ص22
- 18- ابن منظور "لسان العرب" 13/363

- 19 - د. عبد الله الطيب "المرشد إلى أشعار العرب وصناعتها" 3 "دار الفكر، بيروت، ط1، 1970م، 853-3/852
- 20 - ابن الأثير "المثل السائر" دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، 1/191
- 21- الجاحظ "البيان والتبيين" 1/197.
- 22 - الباقلائي "إعجاز القرآن" دار المعارف، القاهرة، ط5، بدون، ص57-58.
- 23 - د. عبدالله الطيب "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" 1/21
- 24 - الجاحظ "البيان والتبيين" دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، 1/45. ينظر كذلك "لسان العرب" 4/348، و"زهر الآداب" 1/38، وابن رشيق "العمدة" 1/396
- 25 - ابن رشيق "العمدة" مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2000م، 1/20
- 26- ابن منظور "لسان العرب" 4/348
- 27- المصدر السابق، 13/69
- 28 - أدونيس "الثابت والمتحول" دار الساقى، بيروت، ط7، 1994، ص191
- 30 - الحصري القيرواني "زهر الآداب وثمر الألباب" دار الجيل بيروت، ط4، بدون، 1/40.
- 31 - عبد القاهر الجرجاني دار إحياء العلوم، بيروت، ط2، 1997م، ص429
- 32 - د. حمادي صمود "التفكير البلاغي عند العرب" منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، ط2، 1994م، ص25
- 33- د. مبروك المناعي "الشعر والسحر" ، ص15
- 34 - ابن الأثير "المثل السائر" 1/78
- 35 - عبد القاهر الجرجاني "أسرار البلاغة" ص430-431
- 36 - الجاحظ "البيان والتبيين" 4/22
- 37 - ينظر "العمدة" 58/1 وما بعدها.
- 38- ابن الأثير "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" 1/72-73
- 39- سيد قطب "التصوير الفني في القرآن" ص242
- عبد القاهر الجرجاني "أسرار البلاغة" ص428-429
- 40 - سيد قطب "التصوير الفني في القرآن" ص73
- 41 - محمد محمد أبو موسى "التصوير البياني" مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1993، ص276
- 42 - المرجع السابق، ص274
- 43 - ابن رشيق "العمدة" 486-1/485
- 44 - الجاحظ "الحيوان" دار مكتبة الهلال، بيروت، بدون، 1992م، المجلد الأول، 3/468
- 45- د. محمد محمد أبو موسى "التصوير البياني" ص272
- 46 - عبد القاهر الجرجاني "أسرار البلاغة" ص158-159
- 47 - المصدر السابق، ص163-164
- 48 - المصدر السابق، ص165
- 49 - د. عبد الله الطيب "المرشد" 2/14

50 - عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" دار المعرفة، بيروت، ط1، 1994م، ص335. ينظر كذلك "أسرار البلاغة" ص16.  
51 د. عبد الله الطيب "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" 2/193

## المصادر والمراجع:

- ابن الأثير - "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.  
ابن رشيق - "العمدة في صناعة الشعر ونقده" مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2000م  
ابن منظور - "لسان العرب" دار صادر، بيروت، بدون.  
أبو هلال العسكري - "الفروق اللغوية" دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2006م.  
- "الصناعتين" المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1986م.  
د. إحسان عباس - "تاريخ النقد الأدبي عند العرب" دار الشروق، عمان، ط1، 2001م.  
أدونيس - "الثابت والمتحول" دار الساقي، بيروت، ط7، 1994  
الباقلاني - "إعجاز القرآن" دار المعارف، القاهرة، ط5، بدون.  
التهانوي - "موسوعة اصطلاحات الفنون والعلوم" مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م.  
الجاحظ - "الحيوان" دار مكتبة الهلال، بيروت، بدون، 1992م.  
- "البيان والتبيين" دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.  
الحصري (أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني)  
- "زهر الآداب وثمر الألباب" دار الجيل، بيروت، ط4، بدون.  
حمادي صمود - "التفكير البلاغي عند العرب" منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس، ط2، 1994م.  
الزمخشري - "الكشاف" دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009م.  
سيد قطب - "التصوير الفني في القرآن" دار الشروق، بيروت، ط3، 1995م.  
عبد الرزاق حميدة - "شياطين الشعراء" مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون، 1956م.  
عبد القاهر الجرجاني - "دلائل الإعجاز" دار المعرفة، بيروت، ط1، 1994م.  
- "أسرار البلاغة" دار إحياء العلوم، بيروت، ط2، 1997م.  
د. عبد الله الطيب - "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" دار الفكر، بيروت، ط1، 1970م.  
د. مبروك المناعي - "الشعر والسحر" دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2004م.  
د. محمد شحرور - "الكتاب والقرآن" الأهالي للطباعة ونشر والتوزيع، دمشق، بدون،  
د. محمد محمد أبو موسى - "التصوير البياني" مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1993  
د. محمد محمد حسين - "الهجاء والهجاءون في الجاهلية" مكتبة الآداب بالجماميز، بدون.  
د. نصر حامد أبو زيد - "مفهوم النص" المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط7، 2008م.

# حوار إبراهيم عليه السلام مع النمرود في سورة البقرة (دراسة تحليلية)

Abraham's (Peace Be Upon Him) Dialogue, with  
Nimrod in the Holy Quran Chapter of Al-Baquara

أستاذ مساعد  
جامعة الشرق للعلوم والتكنولوجيا

د. عبد اللطيف أحمد يعقوب محمد

## مستخلص:

هذا البحث يتناول الحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام مع النمرود، كما نقله القرآن في سورة البقرة، وهو حوار يهدف إلى بيان أن الملك قد يكون سببا للطغيان إذا ما أخذ بحقه، وأن بعض من آتاهم الله الملك يستبيحون ما حرم الله. وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي. وخلصت الدراسة إلى نتائج مهمة، منها: أن الكفر بالله من أعظم أسباب الهلاك، وأن البطر يقود إلى عدم الشكر، وذلك يؤدي إلى محق البركة وإزالتها، وأن الظلم حرام حرمه الله، وأعظم الظلم الاشرار بالله. وبناء على النتائج تقدم الدراسة التوصيات التالية: ضرورة بيان أهمية الحجج العقلية في الاقناع من خلال المناهج الدراسية. الاعتناء بالقصص القرآني لأخذ عظاتها وعبرها، مع ربط كل قصة بالمجال الذي تختص به. كلمات مفتاحية: المحاجاة، الملك، الإحياء والإماتة، بهت الذي كفر، الظالمين.

**Abraham's( peace be upon him) dialogue, with Nimrod  
in the holy Quran chapter of Al-Baqara**

*Dr.Abdellateef Ahmed Yagoub Mohamed*

**Abstract:**

This research paper discusses the dialogue between prophet Abraham( peace be upon him ) and the king of Babylon Nimrod as revealed in the Quran chapter of AlBaqarah ( the cow). It is a dialogue that aims to explain that kingdom may be tyrant if the king is not fair. And some kings have been tyrants and have done unlawful acts. The researcher used the descriptive analytical methodology as a tool for data collection and analysis. The study has come out with several important results as follows:

- unbelieving in God leads to destruction. And arrogance leads to ungratefulness and thus a person loses God's blessings.

injustice is inhibited by God and the most serious is being atheist.

Based on the results , the study forwards the following recommendations: providing mental evidence is essential and should be included in educational syllabi.

more care should be given to Quran story tales for their lessons and teachings in different aspects of life

Key words : argument , kingdom, live and death , unjust people – unbeliever defeated.

## مقدمة

يحدثنا ربنا في تنزيله عن محاكاة وقعت بين الخليل إبراهيم عليه السلام والملك المتجبر النمرود، وذلك أنه ادعى الربوبية باطلا، فكان أن أقام عليه إبراهيم الحجة، وبين سفه عقله، وعظيم جهله، وأفحمه بحجة عقلية.

نعم راعى إبراهيم الأولويات، فبدأ بدعوة أبيه وأقام عليه الحجة، ثم دعا قومه وأقام عليهم الحجة، بعد أن حاجوه فاتاه الله حجته فدحر باطل حججهم، ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 83]، كان أن تصدى للحاكم المتجبر النمرود، وإبراهيم عليه السلام بعثه الله ليدعو الناس إلى التوحيد، ولذلك فإن كل من يعارض دعوة التوحيد فإن إبراهيم عليه السلام له بالمرصاد، ليقيم عليه الحجة، ويبين له المحجة، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: 123]، وما كان لإبراهيم عليه السلام أن ينتصر لولا خلوص النية، وما تزود به من علم وحسن أسلوب، وما زوده الله به من الحجة، وهمة الإصلاح، ولذلك أتى الحوار أكله، وكلل مسعى الخليل بالنجاح، الذي انضاف إلى نجاحاته السابقة في حواريه في أبيه وقومه. فبعد أن أقام إبراهيم عليه السلام الحجة على النمرود وأفحمه، وتلك سنة الله، فما كان الله ليعذب ويهلك إلا بإقامة الحجة، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، والقاعدة المهمة أن الله لا يهدي القوم الظالمين.

## أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان:

- 1/ أهمية القصص القرآن وصلاحيته للإفادة منها في كل الأمكنة والأزمنة وذلك تبعا لصلاحيته القرآن لكل زمان ومكان.
  - 2/ أن توحيد الله أعظم عامل للنجاة والفوز في الدارين، وأن الكفر بالله من أعظم أسباب الهلاك.
  - 3/ بيان أهمية الحجج العقلية في إفحام المعاندين.
  - 4/ أن مآل الظالمين إلى هلاك.
- المنهج المتبع في الدراسة:  
أتبع المنهج الوصفي التحليلي

## أسباب اختيار الموضوع

تضافرت عدة أسباب لاختيار الموضوع منها:

- 1/ اغترار البعض بالسلطة والملك، واستباحة ما حرّم الله تعالى، والطغيان في الميزان.
- 2/ كثرة المحاجة بالباطل عموما، ومن يحسبون على الإسلام خصوصا.
- 3/ تفشي الظلم بصورة مخيفة — إلا من رحم الله — ما يدعو لبیان خطورته، ووخيم آثاره.
- 4/ أن الأنبياء جميعا جاءوا لبنيان واحد، وهو توحيد الله ما يحتم علينا أن نأخذ عنهم مواقفهم في دفاعهم عن العقيدة، وأن نسترشد بها في دعوتنا إلى الله.

## هيكل الدراسة:

تتكون الدراسة من: تمهيد وتقدمة عن سورة البقرة وفضلها، والمبحث الأول: معنى الحوار لغة واصطلاحاً، المبحث الثاني: القواعد التي بني عليها إبراهيم عليه السلام محاورته مع الملك، المبحث الثالث: بيان معنى المحاجة، المبحث الرابع: اسم الملك، المبحث الخامس: مناسبة القصة بالآيات التي قبلها، المبحث السادس: متى وقعت المحاجة؟، المبحث السابع: المحاجة، والخاتمة وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، وقائمة المصادر والمراجع.

سورة البقرة مدنيّة، وآياتها مئتان وستة وثمانون آية، وهي على رأس السبع الطوال، وفيها آخر ما نزل من القرآن، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]، وفيها سيده آية القرآن، آية الكرسي، وفيها أطول آية في القرآن الكريم، آية الدين. سميت بسورة البقرة لورود قصة البقرة فيها، وتسمى مع سورة آل عمران بالزهاوين. ورد في فضلها أحاديث كثيرة منها:

عَنْ زَيْدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَامٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو أَمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، أَقْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ الْبَقْرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فَرْقَانِ مِنْ طَيْرِ صَوَافٍ، مُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، أَقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ، فَإِنْ أَخَذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ» 1

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تَقْرَأُ فِيهِ سُورَةَ الْبَقْرَةِ» 2.

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقْرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ» 3.

## المبحث الأول : معنى الحوار لغة واصطلاحاً:

الحوار لغة: الحورُ: الرجوعُ إلى الشيء وعنه. والغصّة إذا انجذرت. يقال: حارت تحور، وأحارَ صاحبها. وكل شيء تغير من حال إلى حال، فقد حار يحور حوراً، والمحاورة: مراجعة الكلام. حاورت فلاناً في المنطق، وأحرت إليه جواباً 4.

1/ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، بالرقم ٨٠٤، (١/ ٥٥٣).

2/ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالرقم ٧٨٠، (١/ ٥٣٩).

3/ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ١، الناشر: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، بالرقم ٤٠٠٨، (٥/ ٨٤)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالرقم ٨٠٧، (١/ ٥٥٤).

4/ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، كتاب العين، تحقيق: د مهدي

الحوار اصطلاحاً: المحاورّة وِالحوارِ المواردة في الكلام ومنه التحوار5، ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: 1]، يُحاورُهُ: يخاطبه، يقال: تحاور الرجلان: إذا ردّ كل واحد منهما على صاحبه. والمحاورة: الخطاب من اثنين فما فوق ذلك 6، وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم 7.

وعليه فإنّ الحوار هو: مراجعة الكلام بين اثنين فأكثر، مع مراعاة كل طرف للآخر، بقصد إظهار الحق. **المبحث الثاني: القواعد التي بنى عليها إبراهيم عليه السلام محاورته مع الملك:**

بنى إبراهيم عليه السلام دعوته في حوارهِ مع النمرود على ثلاث قواعد متينة:

1/ الوضوح في الطرح، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258].

2/ الجرأة في قول الحق والصّدع، ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: 258]، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: 258].

3/ عدم مجازاة الملك في طرحه المنكوس، ﴿قَالَ أَنَا أَخِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: 258].

الآية التي وردت في سورة البقرة:

﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين (258)﴾ [البقرة: 258].

**المبحث الثالث: بيان معنى المحاجاة:**

المحاجاة: حاجاه، محاجاة وحجاجه جادله وغالبه في مطارحة الأحاجي 8، ويقال: حاجيته فحجوته: أي غلبته في المحاجاة 9، في حديث الدجال: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإلا فامرؤ حجيج نفسه». أي يُحاجُّه ويُحاورُهُ. ويقال: حاججته حجاجاً ومُحاجَّةً فحججته أحجُّه حجاً: أي غلبته. والحجَّة لإيضاحها

المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، (٣/ ٢٨٧).

٥/ زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، القاهري، ط١، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ١٠١٤هـ - ١٩٩٠م، ص ١٤٩.

٦/ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، حقيقه وعلق عليه: محمد الحجار، التبيان في آداب حملة القرآن، الطبعة: الثالثة مزيدة ومنقحة، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م، (ص: ٢١٨).

٧/ مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقشوسي، ط٨، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م (ص: ٣٨١).

٨/ (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، الناشر: دار الدعوة، (١/ ١٥٩).

٩/ نشوان بن سعيد الحميري اليميني، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإيراني - د يوسف محمد عبد الله، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ط١، (٣/ ١٣٥٢).

الشيء يُمكن أن تكون من المحجة 10 .

و (حاجه فحجه) من باب رد أي غلبه بالحجة، وفي المثل لج فحج فهو رجل (محجاج) بالكسر أي

جدل و (التحاج) التخاصم و (المحجة) بفتحين جادة الطريق 11 .

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 80]

قال القاسمي: وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ أي جادلوه، وأرادوا مغالبتة بالحجة، فيما ذهب إليه من توحيد الله، ونفي الشركاء عنه، تارة بأدلة فاسدة واقفة في حضيض التقليد، وأخرى بالتخويف، وقد أشير إلى جواب كل منهما. قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ أي: أتجادلونني في توحيد، وقد هداني لإقامة الحجج، ورفع الشبه على نفي إلهية ما سواه، وقد ثبت أنها ناقصة في ذاتها، فكما لاتها من غيرها، ولا إلهية للناقص بالذات، لأن كماله لا يكون مطلقا، و (تحاجوني) بإدغام نون الجمع في نون الوقاية، وقرئ بحذف الأولى 12 .

قال القاسمي رحمه الله: فعل جاء على زنة المفاعلة، ولا يعرف لحاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها. ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة قال تعالى: وإذ يتحاجون في النار [غافر: 47] مع قوله: إن ذلك لحق تخاصم أهل النار [ص: 64]، وأن الأغلب أنه يفيد الخصام بباطل، قال تعالى: وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان [الأنعام: 80] وقال: فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله [آل عمران: 20] والآيات في ذلك كثيرة. فمعنى الذي حاج إبراهيم أنه خصمه خصاما باطلا في شأن صفات الله رب إبراهيم 13 .

ومعنى: حاج إبراهيم في ربه أي: عارض حجته بمثلها، أو: أتى على الحجة بما يبطلها، أو: أظهر المغالبة في الحجة 14 .

قيل لكلام النمرود حجة، كما في نظره، وإلا فهو ليس كذلك.

١٠/ محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المدني، أبو موسى، المحقق: عبد الكريم العزباوي، المجموع المغيث في غريب القرآن والحديث، الناشر: • جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، • دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، • ج ١ (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م)، • ج ٢، ٣ (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م)، ط ١، (٤٠١)

١١/ زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، مختار الصحاح، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، ط ٥، (ص: ٦٧).

١٢/ محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٨ هـ، (٤/ ٤١١).

١٣/ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتتوير «تحرير المعنى السديد وتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، (٣/ ٣٢).

١٤/ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، البحر المحيط في التفسير، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، (٢/ ٦٢٥)

## المبحث الرابع: اسم الملك:

القرآن لم يذكر اسمه صراحة، ولكن المفسرين أجمعوا على أن الذي حاج إبراهيم في ربه هو النمرود، مع خلاف في اسم أبيه 15.

وقيل: إن «الذي حاج إبراهيم في ربه» جبار كان ببابل يقال له: نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح = وقيل: إنه نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح 16 .  
عَنْ سَمَاكِ بْنِ حَرْبٍ أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ: نَمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ 17 .

والذي يُذكر أن العبرة لما كانت من القصة، لم يذكر القرآن اسمه، قال سيّد قطب رحمه الله: الآية تحكي حواراً بين إبراهيم عليه السلام وملك في أيامه يجادله في الله، لا يذكر السياق اسمه، لأن ذكر اسمه لا يزيد من العبرة التي تمثلها الآية شيئاً 18.

## المبحث الخامس: مناسبة القصة بالآيات التي قبلها، والتي بعدها

في الآيات التي سبقت القصة، أخبرنا الله تعالى أنه ولي المؤمنين، وأن الكفار أولياؤهم الطاغوت، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 257]، عقب الله تعالى بذكر هذه القصة التي حاج فيها النمرود إبراهيم عليه السلام، فكانت الغلبة لإبراهيم عليه السلام لأن الله وليه، وبهت النمرود لأن الطاغوت وليه، ﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَائَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: 34].  
وفي الآيات التي أعقبت القصة، ذكر الله قصة عزيز عليه السلام، وكيف أن الله تعالى أماته مائة عام ثم بعثه، فتبارك الله المحيي المميت وحده دون سواه.

## المبحث السادس: متى وقعت المحاجة؟.

١٥ / أنظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: محمد حسين شمس الدين، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ١٤١٩ هـ، ط ١، (١/ ٥٢٥). أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٠ هـ، ط ٣، (٧/ ٢٠)، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٢ هـ، ط ١، (١/ ٣٤٥). محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (٣/ ٣٢).

١٦ / محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن المحقق: أحمد محمد شاكر، ط ١، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، (٥/ ٤٣٠).

١٧ / أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ١٤١٩ هـ، ط ٣، (٢/ ٤٩٨).

١٨ / سيد قطب، في ظلال القرآن، ط ٤٢، دار الشروق، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥ م، (١/ ٢٩٧).

الذي يتبين إن هذه المحاجاة وقعت بعد أن أنجى الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام من النار، وذلك لأنَّ القرآن الكريم بيّن أن سبب الكيد بإبراهيم لإحراقه إنما كان بسبب تكسيره لأصنامهم، ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: 24]، كما أن القرآن الكريم ما أشار إلى أن الإحراق كان بسبب مناظرته للملك، والذي يظهر أن الافع للمناظرة إضافة إلى ما ذكره الله في التنزيل من طغيانه واستبداده وبطره النعم التي أنعم الله عليه، كنعمة الملك، تعجب الملك من نجاته، فرأى الملك أن يناظره ويجادله حتى يرجع عن معتقده، فكانت هذه المناظرة التي حدّثنا عنها القرآن، وكيف كانت الغلبة لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وأن الملك بُهت أمام إبراهيم عليه السلام.

### المبحث السابع: المحاجاة:

ألم تر؟ أي يا رسولنا، إلى الذي حاج إبراهيم في ربه، «إبراهيم»، يعني: إبراهيم نبي الله صلى الله عليه وسلم «في ربه أن آتاه الله الملك»، يعني بذلك: حاجه فخاصمه في ربه، لأن الله آتاه الملك، وهذا تعجيب من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، من الذي حاج إبراهيم في ربه. ولذلك أدخلت «إلى» في قوله: «ألم تر إلى الذي حاج»، وكذلك تفعل العرب إذا أرادت التعجيب من رجل في بعض ما أنكرت من فعله، قالوا: «ما ترى إلى هذا؟! والمعنى: هل رأيت مثل هذا، أو كهذا؟! 19.

قال البغوي رحمه الله: هل انتهى إليك يا محمد خير الذي حاج إبراهيم، أي خاصم وجادل، وهو نمرود، وهو أول من وضع التاج على رأسه وتجبر في الأرض وادعى الربوبية؟ 20. وإنك لتعجب فبدل أن يشكر الله على نعمة الملك التي وهبه الله إياها، طغى وتجبر. قال السعدي رحمه الله: ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه﴾ أي: إلى جرائته وتجاهله وعناده ومحاجته فيما لا يقبل التشكيك، وما حمله على ذلك إلا ﴿أن آتاه الله الملك﴾ فطغى وبغى ورأى نفسه مترئسا على رعيته، فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يفعل الله 21. قال القاسمي رحمه الله: إن المصائب والشدائد تمنع من الأشر والبطر والفخر والخيلاء والتكبر والتجبر، فإن نمرود، لو كان فقيرا سقيما، فاقد السمع والبصر، لما حاج إبراهيم في ربه، لكن حمله بطر الملك على ذلك. وقد علل الله سبحانه وتعالى محاجته بإتيانه الملك، ولو ابتلى فرعون بمثل ذلك لما قال أنا ربكم الأعلى [النازعات: 24]. وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ [التوبة: 74]، إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّغِي أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَى [العلق: 6-7]. وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ [الشورى: 27]، وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ [هود: 116].

١٩ / محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٥/ ٤٣٠).

٢٠ / أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢٠ هـ، ط ١، (١/ ٣٥١).

٢١ / عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ط ١، (ص: ١١١).

لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا لَنَفْتَنَهُمْ فِيهِ [الجن: 16]. وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ [سبأ: 34] 22 .

قَالَ الزَّمْخَشَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَلَمْ تَرَ تَعْجِيبَ مَنْ مَحَاجَةٌ نَمْرُودٌ فِي اللَّهِ وَكَفَرَهُ بِهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ مُتَعَلِّقًا بِحَاجٍ عَلَى وَجْهِينَ:

أحدهما حاج لأن آتاه الله الملك، على معنى أن إيتاء الملك أبطره وأورثه الكبير والعتوّ فحاج لذلك، أو على أنه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على أن آتاه الله الملك، فكان المحاجة كانت لذلك، كما تقول: عاداني فلان لأنني أحسنت إليه، تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الإحسان. ونحوه قوله تعالى: وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ، والثاني: حاج وقت أن آتاه الله الملك 23. قال إبراهيم ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ أي: هو المنفرد بأنواع التصرف، وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، فقال ذلك المحاج: ﴿أنا أحيي وأميت﴾ ولم يقل أنا الذي أحيي وأميت، لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف، وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله ويصنع صنعه، فزعم أنه يقتل شخصاً فيكون قد أماته، ويستبقي شخصاً فيكون قد أحياه، فلما رآه إبراهيم يغالط في مجادلته ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة فضلاً عن كونه حجة، اطرده معه في الدليل فقال إبراهيم: ﴿فإن الله يأتي بالشمس من المشرق﴾ أي: عياناً يقر به كل أحد حتى ذلك الكافر ﴿فأت بها من المغرب﴾ وهذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقاً في دعواه، فلما قال له أمراً لا قوة له في شبهة تشوش دليله، ولا قادحاً يقدر في سبيله ﴿بهت الذي كفر﴾ أي: تخير فلم يرجع إليه جواباً وانقطعت حجته وسقطت شبهته، وهذه حالة المبتطل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق ويغالبه، فإنه مغلوب مقهور، فلذلك قال تعالى: ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ بل يبقيهم على كفرهم وضلالهم، وهم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك، وإلا فلو كان قصدهم الحق والهداية لهداهم إليه ويسر لهم أسباب الوصول إليه، ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير، ويلزم من ذلك أن يفرد بالعبادة والإتابة والتوكل عليه في جميع الأحوال 24

ومن اللطائف الجميلة، أن إبراهيم عليه السلام عبّر بالمضارع، ما دل على أن الإحياء والإماتة مستمران، وقدم الحياة على الموت مع أن القرآن قدّم الموت على الحياة في مواطن، منها: ﴿وَالَّذِي يُبَيِّنُ لِي ثُمَّ يُخِينُ﴾ [الشعراء: 81]، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: 2]، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: 40]، قدم الحياة على الموت لأنها مشاهدة وقائمة أمام الجميع.

وفي ذكر الرب، إشارة إلى أنه الخالق المحيي المميت المدبر شؤون خلقه دون سواه، وفي تقديم ربي على الفعل يحيي حصر الإحياء والإماتة على الله تعالى وحده دون سواه، لأن النمرود ادعى حقاً ليس له، وأتى إبراهيم عليه السلام بالوصول الذي، فكان التعريف بيننا، أما النمرود وإن نحا منحى إبراهيم عليه

٢٢/ محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، (١/ ٤٤٧).

٢٣/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تفسير الزمخشري = الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ط ٣، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤٠٧ هـ، (١/ ٣٠٥).

٢٤/ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: ١١١).

السلام في الرد قال أنا أحيي وأميت، لكنه لم يعرف نفسه بالموصول، فلم يقل: أنا الذي أحيي وأميت، وكان أن فعل ما دل على سخافته، وقلة إدراكه، فأتى بشخصين محكومين بالقتل فعفا عن أحدهما وقتل الآخر، وزعم بذلك أنه أحيأ وأمات.

عن قتادة في قوله: «إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت، قال أنا أحيي وأميت»، وذكر لنا أنه دعا برجلين فقتل أحدهما واستحي الآخر، فقال: أنا أحيي هذا! أنا أستحي من شئت، وأقتل من شئت! قال إبراهيم عند ذلك: «فإن الله يأتي بالشمس من المغرب فأت بها من المغرب»، «فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين»<sup>25</sup>.

وهكذا هم الطغاة يدعون ما لا يملكون له خردلة، فيها هو فرعون يصدق بها قاتلاً: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38]، ولكنهم على علم تام أنهم كاذبون. لماذا سكت إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ولم يناقش النمرود لما قال: أنا أحيي وأميت؟، ولماذا لم يأخذه إلى جثة ميتة ويطلب منه إحياءها؟.

لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعلم أن الإحياء والإماتة إنما بيد الله، وفي استطاعة كل أحد أن يفعل ما فعله النمرود، ولما كان القوم لا يعملون عقولهم، ولا يحققون النظر والتأمل، لجأ إبراهيم عليه السلام إلى حجة ظاهرة لا يمكن أن تشتهه عليهم، فقال: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: 258].

قال القاسمي رحمه الله: قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب أي إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود، في خلق ذواته وتسخير كواكبه وحركاته. فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق، فإن كنت إليها كما ادعت فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر تحير ودهش وغلب بالحجة، لما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام والله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يلهمهم حجة ولا برهاناً<sup>26</sup>.

قال الفخر الرازي رحمه الله: فإن قيل: هلا قال نمرود: فليأت ربك بها من المغرب؟ قلنا: الجواب من وجهين: أحدهما: أن هذه المحااجة كانت مع إبراهيم بعد إلقائه في النار وخروجه منها سالماً، فعلم أن من قدر على حفظ إبراهيم في تلك النار العظيمة من الاحتراق يقدر على أن يأتي بالشمس من المغرب والثاني: أن الله خذله وأنساه إيراد هذه الشبهة نصرة لنبيه عليه السلام<sup>27</sup>. فأظهر الله بذلك حجة إبراهيم عليه السلام، وأخزى النمرود الذي بهت، أي: بقي متحيراً ينظر نظر المتعجب، يقال منه: بهت: إذا أصابه ذلك<sup>28</sup>.

٢٥/ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (٥/ ٤٣٣).

٢٦/ محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، (٢/ ١٩٦).

٢٧/ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، (٧/ ٢٣).

٢٨/ شهاب الدين أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف اللبلي أبو جعفر الفهري المقرئ اللغوي المالكي، تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح (السفر الأول)، تحقيق: د. عبد الملك بن عيضة الثبيتي، الأستاذ المساعد في كلية المعلمين بمكة المكرمة، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة لفرع اللغة العربية، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، في المحرم ١٤١٧ هـ، سنة النشر: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، (ص: ٣٠٤).

بَهْتَهُ الشَّيْءُ: أدهشه وحيرَه، وجعله ينظر مفتوح الفم وهو يتأمله « ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ 29 ».

قال ابن القيم رحمه الله:

وفي هذه المناظرة نُكْتة لطيفة جدا وهي أن شرك العالم إنما هو مُسند إلى عبادة الكواكب والقبور ثم صوّرت الأضنام على صورتها كما تقدم فتضمن الدليلان اللذان استدل بهما إبراهيم إبطال إلهية تلك جملة بأن الله وحده هو الذي يحيي ويميت ولا يصلح الحي الذي يموت للإلهية لا في حال حياته ولا بعد موته فإن له رباً قادراً قاهراً متصرفاً فيه إيجاباً وإماتة ومن كان كذلك فكيف يكون إلهاً حتى يتخذ الصنم على صورته ويعبد من دونه وكذلك الكواكب أظهرها وأكبرها للحس 0

هذه الشمس وهي مربوبة مديرة مسخرة لا تصرف لها في نفسها بوجه ما بل ربها وخالقها سبحانه يأتي بها من مشرقها فتنقاد لأمره ومشيئته فهي مربوبة مسخرة مديرة لا إله يعبد من دون الله 30.

## النتائج:

- 1/ أن الكفر بالله من أعظم أسباب الهلاك.
- 2/ الظلم حرام حرمه الله، وأعظم الظلم الشرك بالله.
- 3/ أن البطر يقود إلى عدم الشكر، وذلك يؤدي إلى محق البركة وإزالتها.
- 4/ واجب الدعوة إلى الله تعالى العمل على إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وردّهم إلى الصواب.
- 5/ نجاح الحوار منوط بحسن تصرف الداعية، وإدراكه لنفسيات المحاور.
- 6/ مهما تجبر الإنسان وتكبر فهو ضعيف عاجز أمام عظمة الله وجبروته، ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فصلت: 15].
- 7/ في ذكر قصص الطغاة والجبابرة وكيف أهلكهم الله معتبر لمن يسلكون نهجهم.
- 8/ أن الله لا يعذب إلا إذا أقام الحجة بإرسال الرسل.

## التوصيات:

- 1/ الاعتناء بالقصص القرآني لأخذ عظاتها وعبرها، مع ربط كل قصة بالمجال الذي تختص به.
- 2/ ضرورة بيان أهمية الحجج العقلية في الاقناع من خلال المناهج الدراسية.
- 3/ على الدعاة أن لا تفتقر منهم الهمم، وأن يدعوا إلى الله على بصيرة ولا يلتفتوا للأصوات المثبطة التي كثرت في زماننا.
- 4/ على الدعاة أن يتخذوا من الأساليب بحسب المواقف المعينة، لا سيما في دعوة غير المسلمين، حتى تؤدي الدعوة أكلها.

٢٩/ د أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، : معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ط١، (١/ ٢٥٣).

٣٠/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية - بيروت، (٢/ ٢٠٥).

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

- 1/ إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، الناشر: دار الدعوة.
- 2/ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: محمد حسين شمس الدين، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، 1419 هـ، ط1.
- 3/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، 1407 هـ، ط3.
- 4/ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، البحر المحيط في التفسير، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420 هـ.
- 5/ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، كتاب العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- 6/ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420 هـ، ط3.
- 7/ أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1420 هـ، ط1.
- 8/ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، 1422 هـ، ط1.
- 9/ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، 1419 هـ، ط3.
- 10/ د أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، 1429 هـ - 2008 م، ط1.
- 11/ زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، مختار الصحاح، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، 1420 هـ / 1999 م، ط5.
- 12/ سيد قطب، في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، 1436 هـ، 2015 م، ط42.
- 13/ شهاب الدين أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف اللبلي أبو جعفر الفهرى المقرئ اللغوى المالكي، تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح (السفر الأول)، تحقيق: د. عبد الملك بن عيضة الثبيني، الأستاذ المساعد في كلية المعلمين بمكة المكرمة، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة لفرع اللغة العربية، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، في المحرم 1417 هـ، سنة النشر: 1418 هـ - 1997 م.
- 14/ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الناشر: مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م، ط1.

- 15/ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: 1984م.
- 16/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية - بيروت.
- 17/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، 1422هـ، ط1.
- 18/ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م، ط1.
- 19/ محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني، أبو موسى، المحقق: عبد الكريم العزباوي، المجموع المغيث في غربي القرآن والحديث، الناشر: • جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - مكة المكرمة، • دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، • ج1 (1406 هـ - 1986 م)، • ج2، 3 (1408 هـ - 1988 م)، ط1.
- 20/ محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية 1418 هـ، ط1.
- 21/ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 22/ نشوان بن سعيد الحميري اليميني، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، 1420 هـ - 1999 م، ط1.

# الفنية في شعر ثورة ديسمبر السودانية - (معد شيخون أنموذجا)

## دراسة نقدية تحليلية

### A Study in Sudanese Revolutionary Poetry

### "Maad Sheikhoun as a Model"

أستاذ مشارك بجامعة النيلين  
كلية الآداب / قسم اللغة العربية

د/هدى أحمد حسن محمد

#### مستخلص

تنطلق هذه الدراسة من منطلق أهمية تدوين الشعر الذي يعبر عن وضع مجتمعي عام، باعتباره المؤرّخ الأصدق الذي ينقل الأحداث والمشاعر، ومن ثم تحليله الذي من المفترض أن يكون التحليل الأصح والأكثر عمقا؛ لتوفّر السياقات المقامية والحالية التي تشرح كثيرا من رمزيته ودلالاته العميقة، ناهيك عن وجود الأديب نفسه، مما يكشف بصدق ما وراء النص الأدبي.

فكان اختيار الدراسة للشعر الثوري الفصيح المصاحب للثورة السودانية (19 ديسمبر 2019م) باعتبارها الحدث المجتمعي الأقوى، فكانت بعنوان: "الفنية في شعر ثورة ديسمبر السودانية - معد شيخون أنموذجا"، حيث تناولت ما أنتجه الشاعر الشاب معد شيخون من كتابات شعرية فصيحة، متمثلة في خمس قصائد، جمعت من مقاطع اليوتيوب ومن خلال لقاء شخصي مباشر مع الشاعر نفسه، ودوّنت كاملة في هذه الدراسة. وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي التاريخي في كتابة هذه الدراسة. ومن أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة: الشاعر استطاع أن يعبر بالأسلوب الراقى الرمزي المفعم بالثورية- عن آلام وآمال الشعب عامة والشباب الثوار خاصة، وقد استطاع مخاطبة المتلقي بما يجيش به وجدانه من ثورة عارمة ضد وضع مرفوض، مترفعا عن الانزلاق بالفاظه أو معانيه. كذلك أن ما ينتج وقت الثورة من آداب هو مما يستحق التدوين والدراسة والتحليل، كموثق فني يُجلي صورا واقعية ووجدانية دقيقة يعجز التاريخ عن تدوينها. ومن ثم إتاحة الفرصة لتقويم الإنتاج الأدبي، وصقل المواهب الفتية الجادة.

الكلمات المفتاحية: رمزية، شعر، ثورة

## A Study in Sudanese Revolutionary Poetry "Maad Sheikhoun as a Model"

*Huda Ahmed Hassan*

### **Abstract**

This study is based on the importance of compiling poetry that expresses a general societal situation, as the truest chronicler that conveys events and feelings, and then analyzes it, which is supposed to be the most correct and profound analysis. The availability of current contexts that explain much of the symbolism of poetry and its deep connotations, not to mention the presence of the writer himself, which honestly reveals what is behind the literary text.

The study was chosen for the eloquent revolutionary poetry accompanying the Sudanese revolution (December 19, 2019 AD) as the strongest societal event, and it was entitled: "A Study in Sudanese Revolutionary Poetry - Maad Sheik-houn as a Model", where it dealt with the eloquent poetic writings produced by the young poet Maad Sheikhoun, represented in five poems Collected from YouTube clips and through a direct personal interview with the poet himself, and written down in full in this study.

The study found that the poet was able to express, in a sophisticated, symbolic, revolutionary style, the pain and hopes of the people in general, and the revolutionary youth in particular.

The study confirmed that the literary writings produced at the time of the revolution are worthy of collection, study and analysis, as an artistic document that reveals accurate realistic and sentimental images that history is unable to write down. And then straighten it, and refine the serious young talents

## مقدمة:

أحدثت ثورة التاسع عشر من ديسمبر من العام ثمانية عشر وألفين (19 ديسمبر 2018م) تغييرًا مجتمعيًا وسياسيًا كبيرًا في تاريخ السودان المعاصر، وقد كان الشباب قواد هذه الثورة ووقودها، وقد عبّروا عن آمالهم وآلامهم ومظالمهم بالشعارات والهاثفات، والأغاني والأشعار العامية والفصيحة. وقد تناقلت الأسافير الإلكترونية ووسائل الإعلام هذه الأشعار الثورية، وفيها الشعر الفصيح الرّاقى مضمونًا ولفظًا، وبرز من شعرائه الشاعر "معدّ محمد شيخون".

وقد هدف البحث إلى الاستفادة من الأدب الرّاقى الذي قدمته الثورة للراقي بذوق الشباب ومن ثم ترقية الأداء اللغوي لهم، وذلك من خلال تسليط الضوء عليه، ودراسته وتحليل مضامينه. وتكمن أهمية الدراسة في عدد من النقاط، أهمها:

- 1- حداثة الدراسة؛ وارتباطها بأهم حدث مؤثر في المجتمع السوداني وهو ثورة (19 ديسمبر 2018م).
- 2- كونها تستهدف الشباب رعاية لهم، وترقية لأدائهم اللغوي، وهم قادة التغيير وأمل الأمة.
- 3- معاصرة أدب الثورة السودانية للثورة ذاتها، مما يساهم في صحة التوثيق للنص وتحليل الدلالات العميقة للإنتاج الأدبي؛ لا تتّضح حيثيات السياقات غير اللغوية المتممة للمعنى.

وتم تحديد عينة الدراسة في شعر "معدّ شيخون" لأسباب أهمها:  
أ/ أن الشاعر أنموذج شاب متعلم وموظف، وهو يمثل أنموذجا مشرفا من نماذج الشباب السوداني.  
ب/ تميّز شعره برصانة العبارة وبلاغة التعبير المؤثرة وقد تجلّى ذلك في شعره الفصيح والعامي.  
ب/ كونه نتاجا لغويا أدبيا عبّر عن حاجة المجتمع اللغوي بأسلوب رفيع، ولبّى حاجة الشباب الثّوار خاصة والشعب الثائر عامة لتعبيره عن وجدانهم.

وقد انحصرت الدراسة في الشعر الفصيح عند الشاعر "معدّ محمد شيخون". كما حرصت على تدوين قصائده المجموعة من الإلقاء الشفاهي للشاعر في مواقع التواصل الاجتماعي، التي كانت المصدر الوحيد لها حين إعداد هذه الدراسة، والاستماع إلى الشاعر نفسه في مقابلة شخصية.

## محاو الدراسة:

المحور الأول: مفهوم أدب الثورة.

المحور الثاني: زمنية الأدب الثوري.

المحور الثالث: الدراسة الفنيّة في الشعر الثوريّ عند "معدّ شيخون"

## المحور الأول: مفهوم أدب الثورة:

يعرّف الأدب اصطلاحاً بمفهومه الشّامل، بأنّه: "أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف الإنسان وأفكاره وخواطره وهواجسه بأرقى الأساليب الكتابية، التي تتنوع من النثر إلى النثر المنظوم إلى الشعر الموزون؛ لتفتح للإنسان أبواب القدرة للتعبير عما لا يمكن أن يعبر عنه بأسلوب آخر"<sup>1</sup>. ويعرّف أيضا بأنه: "هو كل ما يؤثر في النفس من نثر رائع وشعر جميل، يراد به التعبير عن مكنون العواطف والضمائر وسوانح الخواطر بأسلوب إنشائي أنيق، يُطلق على الشعر والنثر الفني فحسب"<sup>2</sup>.

١ - وقد شاع هذا التعريف حديثاً في عدد من المواقع المختصة: شبكة الألوكة والفصيح... ويكيبيديا [ora.wikipedia.m.ar](http://ora.wikipedia.m.ar)

٢ - انظر: ايمان صديق «مفهوم الأدب في النظرية الأدبية الحديثة» بحث منشور في مجلة أقلام الثقافية، بتاريخ ٢٢ مارس ٢٠١٧م

وقد حررت النظرة الجديدة الأدب "فلم يعد مقصورا على الكلمة المكتوبة، ولم يعد مرتبطا بأنماط السلوك، بل أصبح فناً جميلاً - مكتوباً أو شفهيًا- يتوسل باللغة؛ أي: إنه يشترك في جوهره مع سائر الفنون التشكيلية والغنائية والتمثيلية"<sup>3</sup>

أما الثورة: فهي مصطلح سياسي يعني الخروج عن الوضع الراهن وتغييره باندفاع يحركه عدم الرضا أو التطلع إلى الأفضل<sup>4</sup>. كما عرفت بأنها: "تغيير أساسي في الأوضاع السياسية والاجتماعية، يقوم به الشعب في دولة ما"<sup>5</sup>.

وعليه فإن أدب الثورة يمكن تعريفه بأنه: الأدب المكتوب أو الشفاهي الذي يعبر عن قضايا الشعب الثائر، مجسداً عواطف الثوار، وأفكارهم، وهواجسهم، وأمالهم، وألامهم وصراخهم ضد وضع سياسي واجتماعي مرفوض.

## المحور الثاني: زمنية الأدب الثوري:

اتفق النقاد في أن "الأدب الثوري" أدب يوعي القارئ ويكشف أمامه حقيقة الواقع الذي يحيط به ليدفعه نحو التغيير. إلا أن النقاد قد تباينوا في تحديد مفهوم الأدب الثوري حسب زمنية إنتاجه على ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: ويرى أصحابه أن الأدب الثوري هو ذلك الأدب النضالي أو التوجيهي الذي يحرك الشعوب والذي يسبق الثورة، باعتبار أن "الأدب يثور قبل أن تثور السياسة، وثورة الأدب هي التي تمهد الطريق لثورة السياسة؛ لأنها تهيب قلوب الناس ونفوسهم وعقولهم: تبغض إليهم نظاماً قائماً، وتحبب إليهم نظاماً تحقق لهم آمالاً تمتد إليها عقولهم وتقصر عنها أيديهم"<sup>6</sup>، وإلى هذا المذهب اتجه جورج حنا في كتابه "معنى الثورة"<sup>7</sup>

الاتجاه الثاني: يتحدث أنصاره عن "أدب لا يكتب في أثناء الثورات ولا بعدها مباشرة، وإنما هو يحتاج إلى نوع من التأمل والتدقيق لذلك هو يكتب بعد فترة، يأخذ فيها الأديب وقته للإمام بموضوع الثورة"<sup>8</sup>. ويبرر لذلك طه حسين بقوله: "فليس من فقه الحياة في شيء أن ينجم الأدب فجأة"<sup>9</sup>.

وقد ظهر الاتجاهان في ثورات القرن الماضي، ولعل ذلك يرجع إلى أن الأدب قد خبت جذوته إبان هذه الثورات، ويؤكد قول طه حسين: "لم تكذ ثورتنا [الثورة المصرية في 23 يوليو 1952] تنشب وقللاً أحداثها وظواهرها قلوب الناس وعقولهم في مصر وفيما حولها من البلاد العربية، حتى أخذ فريق من الكتاب يتساءلون في إلحاح: "أين أدب الثورة؟". ثم لم تكذ تبلغ من عمرها أشهراً قصاراً، حتى أخذ هؤلاء الكتاب يُظهرون اليأس وخيبة الأمل؛ لأن أدب الثورة لم يستجب لهم حين دعوته..."<sup>10</sup>.

وذهب عدد من النقاد إلى أن الثورة حال اندلاعها لا يصحبها أدب لانشغال الثوار عن الكتابة والتأليف

٣ محمد عناني «الأدب وفنونه» طبعة الهيئة العامة للكتاب، ص ١٣

٤ ثورة- ويكيبيديا [org.wikipedia.m.ar](http://org.wikipedia.m.ar)

٥ مجمع اللغة العربية القاهري «المعجم الوسيط» ص ١٢٣

٦ طه حسين «خصام ونقد» ص ٩٠، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، نسخة الكترونية.

٧ انظر: جورج حنا «معنى الثورة» بيروت: دار الطباعة، ١٩٥٧م.

٨ انظر: تقوى سعدانة في مقال «أدب الثورة في كتابات بوراوي سعيدانة» [com.blogspot.takwabourawisaidana](http://com.blogspot.takwabourawisaidana)

٩ انظر: طه حسين «خصام ونقد» ص ٩٠، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، نسخة الكترونية.

١٠ انظر: المرجع نفسه. الثورات العربية في الخمسينيات وما بعدها، والتي كانت غابيتها الأسمى الاستقلال من المستعمر

والتجويد، وهو إن وجد فأدب فقير في فنياته وجمالياته، يقول عبد العالي بركات: ” ارتبط الأدب المغربي في فترة من تاريخه - فترة الستينات والسبعينات أساسا - بالثورة، وتم النظر إلى هذا الأدب بخفوت الجانب الإبداعي فيه، اعتبارا لسيادة نزعتة الإيديولوجية“<sup>11</sup>.

الاتجاه الثالث: وهو اتجاه يرى الأدب الثوري أدبًا يتزامن مع الثورة، وقد قُوبل هذا الاتجاه بعدد من التساؤلات: هل هناك إنتاج أدبي متزامن مع الثورات؟ فإن كان هناك ثمة نتاج فهل هو أدب حقيقي؟ وهل هو ذو فنيات وجماليات؟

وقد بدا هذا الاتجاه بشكل واضح عند النقاد الجدد الذين واكبوا ثورات الربيع العربي في مطلع هذا القرن، وتعرض الكاتبة د/ نيللي عددا من الآراء حول ما كتب وألقي في ميادين الاعتصام في الثورة المصرية (25 يناير)، حيث يرى عدد من المختصين أن ما أنتج هو نواة لأدب ثوري قادم، بينما ترى د/ نيللي أنه أدب ثوري بالفعل؛ لأنه ”يعبر عن فترة معينة لا يمكن أن تكتب إلا في هذه الفترة“<sup>12</sup>. وأرى أن رأي د/ نيللي رأي سديد نافع؛ إذ إن نشوء أدب متأخر هو محض فرضية، فقد تنقطع الصلة بين الأدباء وواقع الثورات لتغير الأوضاع المتسارع، وهنا نكون قد فرطنا في واحد من أهم المؤرخات للأحداث المجتمعية، ذلك المؤرخ الأكثر خلودا والأوسع انتشارا والأصدق والأدق تعبيرا عن الوجدان والمشاعر.

ويبدو أنه ليس من الصواب القطع بالأحكام التي تحدد زمنية للشعر الثوري؛ لأن لكل زمان ومكان طبيعته ومقوماته المعينة على الإبداع الفني، فقد تنتج الثورات أدبًا أنيًّا راقيا، يتسم بفنيات وجماليات تجعل منه تعبيرًا صادقًا عن وجدان الشعب الثائر. وبالتالي يصبح من واجب الباحثين في أدب الثورات أن يدوتوا بدقة الإنتاج الأدبي أنيًّا، وعليهم أن يحلوه تحليلًا لغويا أدبيًا دقيقًا. وقد اعتدت الدراسة بأن ما أنتج في وقت اندلاع الثورات هو أدب حقيقي وهو الجدير بالجمع والنظر والتحليل، باعتباره الأصدق في رسم صورة الواقع والتعبير الحي عن الوجدان المجتمعي.

المحور الثالث: الدراسة الفنية لقصائد ”معد“ الثورية:

وقد أنتجت الثورة السودانية المشتعلة أدبًا أنيًّا، امتاز بعمق التأثير، وامتلك عددًا من فنيات الرمز والإشارة التي زادت من قوة القبول والتأثير، نظرًا لتعبيرها عن وجدان المتلقي الذي يعيش الحالة الشعرية ذاتها، لكنه لا يمتلك موهبة الشاعر وفنيته في التعبير عما يحس به.

التعريف بالشاعر معد محمد شيخون: شاب سوداني ثائر، أصله من حلفا، ولد ببغداد، وتلقى تعليمه الأساس والثانوي بالسودان، درس المرحلة الجامعية بأندونيسيا، وتحصل على درجة الماجستير في تخصص البرمجيات. ويعمل الآن ببنك الخرطوم بالسودان.

فجرت الثورة موهبة الشاعر ليبدع شعرا وطنيا، ويمكننا أن نقول أن الشاعر ”معد“ يعد أنموذجا متميزا حيث كان أول ما كتبه الشاعر ”معد“ لوطنه مع الثورة، كذلك فقد ردّ شاعرنا مقولة: ”إن الثائر إما أن يصنع التاريخ أو أن يسجله“، حيث كانت قصائده تُبث من ميدان الاعتصام عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ومن ثم كانت عبر عدد من القنوات الفضائية من خلال لقاءات أجريت مع الشاعر. ومما

١١ مقال في «بيان اليوم» بعنوان «الأدب الثوري» لعبد العالي بركات، بتاريخ: ١٦ / نوفمبر ٢٠١٨ م. // <http://bayanealyaoume.press.ma>

١٢ انظر: نهلة نمر «أدب الثورة بين خيال المبدع وحقيقة الأحداث» مقال بجريدة «الوفد» بتاريخ ٦ سبتمبر

نشر له قصيدتان بالعامية: "شمس الخلاص، أرضاً سلاح" 13. أما قصائده الخمس الفصيحة، التي هي محور الدراسة: فقصيدة بعنوان: "مالي أرى صفو الحياة": وهي قصيدة عمودية على بحر الكامل، وهي أول قصيدة كتبها إبان الثورة. ثم قصيدة: "ماباله السودان ثار" وهي القصيدة التي ذاع صيتها في مقطع فيديو، انتشر داخليا وخارجيا على نطاق واسع. وقصيدة "على لسان أم الشهيد" و "في عشق الوطن" وكانت ختام هذه القصائد "فصول الثورة". قصائد "معد شيخون" منتشرة في "اليوتيوب" كمقاطع مرئية مسموعة وليست مكتوبة، وقد خاطب "معد" الثوار من خلال الشعر الحر، متحررا من قيد الشعر العمودي، محافظا على الإيقاع الذي يكتمل -أحيانا- من خلال الأداء الصوتي والتنغيم الشخصي للشاعر حال إلقاءه لقصائده من خلال الوقف أو التسكين أو مد الصوت.

وإذا ما كان من مقاييس العاطفة صدقها فقد تجلّى صدق العاطفة عند الشاعر "معد" من خلال ألفاظه وتراكيبه، التي جاءت معبرة عن قيمه وثوابته، فلا نكاد نرى في شعره أثرا لألفاظ الشعارات والتهافتات التي شاعت 14، وإنما تتجلى في شعره روح المعاني وقيم التهافتات السامية التي اقتنع بها الشاعر، فعبّر عنها باللفظ القوي الفصيح الرصين.

كذلك فإننا نعيش ذلك الصدق من خلال الوزن والإيقاع الذي صاغ أبياته عليها، إذ كانت أولى قصائده قصيدة عمودية على وزن الكامل، وكلما اشتدت الثورة وزاد اندلاعها كانت أوزانه متابعة لهذه الثورة متنوعة متجددة، يشوبها الاضطراب في بعض أبياتها، وتتعدد المقاطع في القصيدة الواحدة وقد تختلف إيقاعاتها، حتى بلغت مداها في قصيدته الأخيرة "فصول الثورة". وقد استطاع الشاعر أن يلامس بألفاظه وإيقاعه وجدان الشعب الثائر، لتبرز قدرته على تصوير الأحداث التي غيرت مسار المجتمع. وقد تم تناول قصائده حسب ترتيب كتابتها حسب إفادة الشاعر.

#### القصيدة الأولى: يا صبر أيوب

والهم في دنياي زاد تجذرا  
حولي الظلام فكيف لي أن أبصرا  
والحقل عندي بالشقاوة أثمرأ  
حبل النجاة بات يبدو أقصرا  
وسفينتي ضلّت وتاهت في الكرى  
بات السرور إذن يُباع ويُشترى  
أتى لفرحي أن يلوح ويظهِرأ  
أعود بستاني ويرجع أخضرأ؟!  
أعود بستاني ويرجع مزهراً!؟

مالي أرى صفو الحياة معكرا  
كل الدروب عليّ ضاقت فجأة  
غيم من الأرق الطويل أحاطني  
حتى التفاؤل لم يعد متفائلا  
سفنٌ على مرسى النعيم توقفت  
والبشرُ أضحي في مزاد معلن  
هي دهرها دهران قد أخبرتني  
يا صبر أيوب ألا نبأتني  
أيا صبر أيوب ألا أخبرتني

١٣ المصدر: شفوي من معد مجند شيخون في لقاء مباشر له مع قسم اللغة العربية بجامعة النيلين.

الخميس ٢٠١٩ / ١٢ / ٩م

١٤ مثل: تسقط بس، أو «حرية وسلام وعدالة» أو «الطلق ما بتقتل بيقتل سكات الزول» لكن معاني الثورة وقيم الشعارات عبّر عنها بألوان جزل رفيع.

قال: اتَّخذ سبيلَ الإله خريطةً  
لا ترتدي ثوب الشقاء عباءةً  
عش في حياتك دون أيّ تدمرٍ  
إن الحياة وإن ضاقت لها فرجٌ

فالقيدُ مكسورٌ وربك بشراً  
ثوب التفاؤل كان أبهى منظراً  
وارباً بنفسك أن تكون مكدرًا  
والعسرُ بعد العسر كان ميسرًا

انبثقت قصائد "معد" مع الثورة، وقد جاءت أولى القصائد في تصوير الكدر الذي ملأ فؤاد الشاعر، وكبّل التفاؤل والبشر بقلبه، فغدا يأتسا ضلّت سفينته في الكرى، وما أقسى هذه الغربية! وما أشدّ هذا الضياع! ومن ثمّ دعا الشاعر "صبر أيوب" مستجداً، فيجيبه مبينا له أن سبيل السعادة إنما يبدأ بالإنسان نفسه،

### القصيدة الثانية: ما باله السودان ثار

وسئلت ماذا قد جرى... ما باله السودان ثار  
والأرض حبلى بالنعم.. ما سرّ هذا الاستعار  
عمرقو أرضا سواكم... وربوعكم تشكو الدمار  
سأجيب لكن باقتضاب... وبكلّ غبن وانكسار  
أرأيت نارا تستجير من الشهيد  
أرأيت نيلا يستجير من السُّعار  
أرأيت حراسا على مال اليتيم...  
سرقوا اليتيم وماله وضع النهار  
أرأيت محصولا بلا حصّاد  
أرأيت مسجوناً بلا أوصاد  
أرأيت شعبا لاجئا وممزقا في داره.. وبدون دار  
ما الحل؟؟  
هم ؟ ... هم قالوا اصبروا...  
فالصبر مفتاح الخلاص  
الصبر مفتاح الظفر  
إن كان شعبي أنبياء... عقدان أيوب صبر  
لم يستطع حمل الهموم.. وأضاره حجم الكدر  
فدعا مناج ربه ... يااارب مسني الضرر  
فاستجاب له الكريم... وبالنعيم له أمر

ولقد صبرنا مثل أيوب.. وواقعنا أمر  
فالوضع في السودان مزر... وحالنا يبكي  
الحجر  
لم يسمعوا صوت الحشود...  
أو لم يروا دما هدر؟؟  
يستمرّون فجورهم وكأنهم...  
من دون سمع أو بصر  
سنعيده السودان شامخ  
وطنا عزيزا منتصر  
سأثور...  
باذلا في عشق وطني.. كل غال أو نفيس  
سأموت في حب الوطن  
فانزعوا عني ثيابي ...  
وارموا على وطني القميص  
كي يردّ له البصر  
ثمّ زفوني عريس  
فالآن قد أملت حقا ما أريد على القدر  
والآن قد عاد الوطن وطنا عزيزا منتصر  
الآن قد عاد الوطن وطنا عزيزا وانتصر

ويبدأ بالتزام سبيل الإله، ونبذ التشاؤم، واتّخاذ الرضا وعدم التدمر منهاجا، والإيمان بأن الفرج مع الكرب واليسر مع العسر. وقد استطاع الشاعر نقل المتلقي معه من قاع اليأس إلى الأفق الرحب الواسع، أفق التفاؤل والثقة واليقين. ولم تحتو هذه القصيدة على إشارة مباشرة للوطن والثورة، لكنها

في منهجها العام ترسم ملامح المعاني والقيم التي آمن بها الشاعر، وبرزت في صور متعددة في قصائده الثورية.

مناسبة القصيدة: السؤال كان سؤالا واقعيا حقيقيا تلقاه الشاعر، فأثار قريحة الشاعر وغيرته على وطنه، استغل الشاعر هذا السؤال ليجيب معبرا عن آلامه وآلام وطنه، وكأنه إعلامي قد ترصد الفرصة لنشر رسالته، وإزالة الغبار عن صورة وطنه، وإعطائه حقه ببيان ما فيه من مقومات القيادة والسيادة والغنى لكنها لم تستغل، فيأتي تعبيره عنها بقوله:

”الأرض حبلتي بالنعم“، فهي حبلتي ولما تضع، فلا يزال مكنون خيراتها لم يظهر في أرض الواقع. ”عمرتمو أرضا سواكم“ تعبيرا عن زيادة شعب السودان وتمييزه خارج بلاده.

وعلى الرغم من السؤال المباشر الذي بدأ به الشاعر قصيدته، كانت جميع الإجابات مفعمة بالرمزية التي تجمع المتناقضات؛ يؤكد بها مدى التناقض بين خيارات البلاد وبين الواقع المرير الذي يعاني منه الشعب، ليعبر عن معان عظيمة تتناسب مع حجم الظلم والفساد والدمار الذي عانى منه الشعب وعبر عنه الشاعر بقوة اللفظ في قوله: سأجيب لكن باقتضاب... وبكل غبن وانكسار

ثم يأتي بمجموعة من الصور منها:

أرأيت نارا تستجير من الشهيد؟... أرأيت نيلا يستجير من الشعار؟

أرأيت حراسا على مال اليتيم...سرقوا اليتيم وماله وضع النهار؟

أرأيت محصولا بلا حصّاد؟...أرأيت مسجوننا بلا أوصاد؟

أرأيت شعبا لاجئا ومزقا في داره.. وبدون دار؟

ثانيا: التعبير بـ ”هم“ عن مكونات النظام السابق، تغييرا لهم... ومن بعد يتكلم عنهم بصيغة الغائبين: لم يسمعوا صوت الحشود؟؟.....أو لم يروا دما هدر؟؟ يستمرئون فجورهم وكأنهم.....من دون سمع أو بصر

ثالثا: تكلم عن الصبر أمام عظم المصاب، متناولا قصة سيدنا أيوب عليه السلام، مع أمل يلوح لا يزال يتردد عند معد في كل قصائده، فيقول: لم يستطع حمل الهموم.. وأضاره حجم الكدر فدعا مناج ربه ... ياأارب مسني الضرر

فالحديث عن صبر سيدنا أيوب عند الشاعر لا يقف عند حدود البلاء والصبر وإنما يتعداه إلى الجزاء الجميل والفرج الذي جناه من الصبر، ليعبر عما في نفسه من أمل عظيم قاطعا بالنصر، وتحقيق أسمى الغايات، فيختم الأبيات بقوله: والآن قد عاد الوطن وطنا عزيزا منتصر

القصيدة الثالثة: على لسان أم الشهيد

لا توقظوه...  
فلقد أتيت لكي أحيي من بعيد  
من أنت؟ .. قالت على استحياء: أنا أم الشهيد  
قالوا: سترحل...والآن جئتُ أودّعك..  
والقلب مفطور على موت الفقيد..  
رفعت يديها للسماء..  
خذ من سنيني ما تشاء...خذ أنت عمري والدماء  
لكنّه... ولدي الوحيد... أنا .. أنا لا أريد  
خذ مني عمري كله... لتمدّه عاما [جديداً]1  
بل مدّه يوما [جديداً]  
كانت تعاتب ربّها... لكنها متيقنة  
[أنّه] قدر وأنّ الله يفعل ما يريد  
المشهد الثاني:  
أوقفت الغاسل تستجديه  
أنّ يُغسل بالماء الدافئ.. فالماء البارد يؤذيه  
سألت أيضاً عن لون الكفن...  
الزّام أبيض؟؟  
أعطوه الفرصة كي يحكي..

والله سيرفض؟؟ يحبّ الأزرق والبني ويحبّ  
بلاده  
حذرت مرارا ياولدي..وبكيت مرارا ياولدي...  
لكنّ عناده..  
ما رأيك أن تنهض لحظات...  
لحظات... وافتح دولابك..  
هددتك أني لن أفعل...  
لكن كالعادة يا ولدي ... رتبت ثيابك..  
ووضعت قميصا تعشقه في أعلى الرفّ  
والآن ستحمل ياولدي من أعلى الكف  
وستمضي قدما بشموخ في صوب الدار  
اختارك ربي بجواره  
لن نجزع أبدا ياولدي... فهي الأقدار  
وسيدفن وطن في وطن.. وسيحمل نور في  
نار  
وسيحمل في كتف الثائر... كي يُدفن قرب  
الثوار  
في رقعة أرض وقادة... كي نكمل نحن المشوار

أورد شاعرنا في هذا النص أحاسيس أم الشهيد في ثورة ديسمبر، دونما إشارة إلى زوجته وأطفاله، فابنها الشهيد - كغيره من شهداء ثورة ديسمبر - أبطال ثوار في ريعان شبابهم. وقد تمثّلت أحاسيس الأم الشكلى في وجدان الشّاعر الذي استطاع أن يعبر عنه بعمق على لسانها في صور متعددة يتفاعل معها المتلقي، فتنقله من مجرد مستمع إلى معاش للحدث المفجع، وكأنّه يشاهد المنظر حيّاً متحرّكاً أمام ناظره، مما يثير وجدانه، ويهزّ مشاعره. ولقد أجاد الشّاعر تصوير نفسية هذه الأم المكلومة عبر الانتقالات السريعة وبصور متصاعدة تحكي دواخلها المفجوعة المضطربة، ففي دواخلها نداؤها لابنها كي يبقى، ثم حوارها معه كأنّه حيّ قائم بين يديها، ثم حوارها مع الغاسل، وذلك كله في إطار تسليم لقضاء الله؛ إيماناً بعظم القضية، قضية الوطن التي بذل ابنها من أجله عمره. ففي هذه القصيدة نجد أن الشّاعر رسم على لسان أم الشهيد هذه المضامين والصور:

أ/ التسليم التام بالقضاء، وهو ما عبّر عنه الشّاعر بطرح مباشر:  
كانت تعاتب ربّها... لكنها متيقنة

أنه قدرُ وأن الله يفعل ما يريد  
وقولها في مقام آخر: اختارك ربي بجواره  
لن نجزع أبدا يا ولدي... فهي الأقدار  
ب/ رسم الشاعر صورة واقعية تتكرر في بعض قطاعات المجتمع من رفض لموت الابن الشاب،  
لا يتنافى مع التسليم بقضاء الله، لكنه تعبير عن عظم المصائب...  
خذ من سنيني ما تشاء... خذ أنت عمري والدماء  
خذ مني عمري كله.. لتمدّه عاما جديدا... بل مدّه يوما جديدا  
وقول الشاعر: سألت أيضا عن لون الكفن... الزام أبيض؟؟  
أعطوه الفرصة كي يحكي... والله سيرفض؟؟  
ويقول أيضا على لسان أم الشهيد:  
ما رأيك أن تنهض لحظات... لحظات.. وافتح دولابك...  
هددتك أني لن أفعل...  
لكن كالعادة يا ولدي ... رتبت ثيابك..  
ج/ تأتي قمة التداخل والانتقال بين شعورين: أولهما - أن ابنها الشهيد لما يميت وأنه لا يزال حيا تحذثه  
حديث الأم لولدها، وثانيهما- التسليم بقضاء الله إيمانا بقضية الشهيد:  
ووضعت قميصا تعشقه في أعلى الرف  
والآن ستحمل يا ولدي في أعلى الكف  
لقد أبدع الشاعر وهو يتكلم على لسان الأم في جعل المتلقي يتنقل ما بين مشاعر الالهفة على ولدها  
الشاب المفقود، ورفض دواخلها بأنه لم يعد حيا، فتناديه وتحدث إليه، وما بين تسليمها بقضاء الله  
إيمانا بقضيته العظمى قضية الوطن.  
ينطلق الشاعر إلى تصوير شغف الأم بابنها واهتمامها بتفاصيل ما يحبه، وهو ما يتماشى مع عمر  
الشباب الذي ينتقي ما يلبسه بعناية، لينفذ إلى رمزية الألوان التي تنسجم مع حبه لبلاده، حبا لنيلها  
الأزرق وترابها البني، تقول: "يحب الأزرق والبني ويحب بلاده" مؤكدا من سياق الحال أن الروح  
الشبابية التي تختار ألوان ملابسها مهمة بمظهرها هي ذات الروح صاحبة الحماس الوقاد الذي أذهل  
المجتمع بمواقفه البطولية في عشق وطنه.  
ثم جاء انتقال الأم من التسليم بموته إلى التفاعل مع قضية الثورة والوطن، حيث تخاطبه بقولها:  
وستمضي قدما بشموخ في صوب الدار  
وسيدفن وطن في وطن.. سيحمل نور في نار  
سيحمل في كف الثائر.. كي يُدفن قرب الثوار  
في رقعة أرض وقادة... كي نكمل نحن المشوار

ورفعتُ علما في الهوا....أرديتُ لكن ما هوى  
ولكل شخص ما هوى... ياليتها شعبي يثورُ  
وطنٌ كليلى. كن أنت قيس  
ونحن أولى.. يا شعبُ قس  
ما ضرنا بذل النفيس  
عشقُ قوي.. حبُّ جسورُ  
أما عن الفصل الأخير..  
يا معشر الثوار...  
بالله لا تتخاذلوا... كي يكمل المشوار  
أخسرت روعي؟؟ ... بل كسبتُ قضيتي  
فالموت من أجل القضية [انتصار]2

يا أمي يكفيك نحيبا  
فالبعض يموتُ لكي يحيا  
إن كنتُ تركتُك في شيبكُ  
فجموع الشعبُ لك يحيى  
وسيسمَعُ صوتي في الشارعُ  
ما كنتُ أرددُ وأقول:  
فالشمس تضيء وما غربت...  
ألشمس الأحرار أفولُ؟؟  
للفجر كُنَّا كالنواة  
ولكل مرء ما نوى  
فاخترت بُعدا والنوى  
كي يبصر السّودان نور

يقول الشّاعر ناقلا الحديث على لسان الشهيد:  
يا أمي يكفيك نحيا.... فالبعض يموتُ لكي يحيا  
إن كنتُ تركتُك في شيبكُ.... فجموع الشعبُ لك يحيى  
نقل الشّاعر الحديث الذي كان يردده الثّوار على أرض الواقع لأمهات الشهداء، "يا أمي ما تبكي خلي  
الوطن يبكي؟"، "شهداءنا ماتوا عائشين مع الثّوار" "أم الشهيد أمي دم الشهيد دمي".  
وسيسمَعُ صوتي في الشارع.... ما كنتُ أرددُ وأقول  
فالشمس تضيء وما غربت... الشمس الأحرار أفولُ؟؟  
"وسيسمَعُ صوتي في الشارع": تعبير عن وحدة الغايات والهدف، وأن موته لن يوقف الثّورة فالمشوار  
سيكمل ولن ينقطع ... ونور شمس الحق لن ينطفئ، ويواصل الشهيد حديثه؛ منتقلا لإيقاع سريع  
يصب في عشق الوطن، ومنه قوله: للفجر كُنَّا كالنواة...ولكل مرء ما نوى  
فاخترت بُعدا والنوى... كي يبصر السّودان نورُ  
ويختم بترسيخ مبادئه في أن الشهادة انتصار للقضية: "فالموت من أجل القضية انتصار15"

## القصيدة الرابعة: في عشق الوطن

غازلتها فتبسمت..  
همّت تكفكف دمعها.. أخفت جروح الروح  
همّ الوطن هو همها.. فقدت أعزّ الناس  
ذاك الصغيرَ وأمها..  
لكنها.. لكنها.. هتفت وبصوت مسموع  
ما أخرجنا قط الجوع  
أخرجنا ظلم وفساد.. أخرجنا وطنٌ موجوع  
وقفت لتردد في الساحة.. كالبلبل تهتف  
صدّاحه  
تحمل أفرحا وبشائر.. سنضمّد للوطن جراحه  
فاله قسّم رزقه... الربّ من فوق السماء  
فرزقت وطنا طيبا... والله يرزق من يشاء  
وطنٌ كصومي.. في الفريضة  
والمحبة والعناء...  
سنظل نعشقه حتى وإن طال المساء  
فالليل في وطني جميل... وبنورك حلّ الضياء  
ملئت شوارع بالهتاف... حاشاه شعبي أن يخاف  
قد أينعت كل الربوع... من بعد ما كانت عجاف  
يا شعبنا المنصور... ملء الشوارع نور  
الأصل من حلفا... والقلب في دارفور  
محبوتي حسناء.. وقلبها مكسور...  
عيونها داري.. ودارها مهجور

قد كنت أعشق في الخفاء صبيّة  
فالعشق أحلى في الخفاء من العلن  
من ذا رأى ذاك السمار بخدّها  
أو من رأى تلك العيون وما افتتن؟  
والآن أعلن للجميع مصرحاً  
أنّي بكل الفخر أعشقه الوطن  
فاله قسّم رزقه... الربّ من فوق السماء  
فرزقت وطنا طيبا... والله يرزق من يشاء  
وطنٌ كصومي.. في الفريضة  
والمحبة والعناء...  
سنظل نعشقه حتى وإن طال المساء  
فالليل في وطني جميل... وبنورك حلّ الضياء  
ملئت شوارع بالهتاف... حاشاه شعبي أن يخاف  
قد أينعت كل الربوع... من بعد ما كانت عجاف  
يا شعبنا المنصور... ملء الشوارع نور  
الأصل من حلفا... والقلب في دارفور  
محبوتي حسناء.. وقلبها مكسور...  
عيونها داري.. ودارها مهجور

قصيدة "في عشق الوطن" تنقل فيها الشاعر بين معانٍ متعددة نقلات سريعة، كأنما جمع فيها مقطوعات قصار متعددة، تصبّ جميعها في عشق الوطن المكلم المجرّح. فصاغها في أوزان وقواف متلوّنة، أشبه ما تكون بعبارات السجع لا القصائد، يتحقق النغم والإيقاع فيها بتسكين القافية وتقييدها. ويبدو في هذا العمل بوضوح أثر السمة الإلقائية الشفاهية كواحد من مقومات ومكملات التذوق والقبول، كما تجلّى ذلك في اختتام القصيدة بتكرار مقطع من منتصفها، يتسم بالحماسة والتفاعلية وإلهاب مشاعر الثائرين للوطن. وإلى جانب ذلك تناولت القصيدة سمو المعاني التي كان الشاعر مهتماً بإبرازها، وهي:

عشق الوطن مهما كانت الآمه، إذ عدّ هذا الوطن رزقا طيباً من الله تعالى. ويرى أنّ الثورة والهتاف ورفض الظلم - في حدّ ذاته - إيناع من بعد الجفاف. وقد أكد الشاعر سمو الغايات في خروج الشعب الثائر؛ رفضاً للظلم، وجدّد اليقين بتحقيق الأمل المتجدد بالنصر وتحقيق البشريات.

القصيدة الخامسة: فصول الثورة:

الآن سأرويها قصة...  
وسأحكي كل فصول النصر  
قصة قوم عشقوا الأرض... فدوها عمر  
قصة شعب يُسقى مرًا... ينبت صبر  
في الفصل الأول...  
قالوا: زوبعة في فنجان...  
فالشعب يعاني حالة فقر  
يعاني شحًا في البنزين...  
وسياي دعم باخرتين  
سنوزع خبزًا في دلقو...  
أما إختوتنا في الدامر نعطيهم قر  
وسندعو الله بأن تفرج...  
فالشعب بعيد عن ربّه  
سنحث الشعب بأن يدعو...  
وسيقضى الأمر...  
قاطعهم شيخهم الأكبر...  
أعترض.. وقد أعذر من أنذر...  
فالشعب تعلمه الدرسا...  
والعذر الواهي يتكرر...

أتظنُّ بأنّ الناس جياع.....  
أخرجهم خبزًا أو سكر  
فالشعب يقوم بجرد حساب...  
قد خرج ويحمله الدفتز  
قد خرجوا رفضا للطغيان...  
رفضاً لسياسات العسكر  
أوصيك كما أوصي نفسي....  
من هذي الثورة فلنحذر  
يا قوم...  
نيران الثورة تتأجج...  
وكلامي أبدا لا يثلج...  
أرجوكم أعطوني مخرج  
ليلي ونهاري في حيره...  
أكرهها - والله- السيره  
فالشعب المارق يتمرد...  
ومسيره.. من بعد مسيره  
وشعوب تدعم من ظلموا...  
لا راعوا فضلا لا جيره

اتصلوا بالرجل السحري....  
يوجده حلا للأمر  
يطرنا أفكارا دوما...  
أراء تجري كالنهر  
فطنٌ وذكيٌّ لماحٌ.....  
مخترع لدفاع النظر  
الحل بسيط يا سادة...  
وإليكم حلّمك الجذري:  
نعطيهم حقّ استفتاء...  
من فتحوا بابا للنصر  
واستوصوا خيرا بالجار...  
ياخوتكم في دولة بري  
إيقاف فوري للفييس...  
أسبوع من دون خميس  
اعتقلوا كل الثوار...  
واحترسوا فالعام كبيس  
أحيانا تبلى بالمرض...  
أو تبلى فقدا للولد  
أما مشكلتي في بلدي...  
فبلاء في شكل رئيس

بدأها بقوله: "الآن سأرويها قصة" مما سوّغ معه أسلوب السرد، والتحرر من قيد الوزن أحيانا، وتنوع الإيقاعات، والذي كان سمة بارزة في قصائده الثورية. في الفصل الأول يفرض الشاعر تحجيم أسباب الثورة في نقص المؤن وحدوث الأزمات، وقد عبّر عنه تصريحيا في قصيدة "في عشق الوطن" قائلا: ما أخرجنا قط الجوع... أخرجنا ظلم وفساد.. أخرجنا وطنٌ مروجع ويرى أن الثورة كانت ثمرة صبر حتى بلغ الصبر مداه. وهو ما تناوله في قصيدة "ما باله السودان ثار"، ممثلا بصبر أيوب عليه السلام فيقول: إن كان شعبي أنبياء.. عقدان أيوب صبر ولقد صبرنا مثل أيوب ... وواقعنا أمر وقد أجرى ذلك على لسان قادة النظام السابق، من خلال حوار رمزي وظّفه "معد" بعناية ليخدم أغراضا معنوية، منها:

1- بيان قوة الثورة وقيمها التي قامت من أجلها بشهادة من كانت ضدّهم، يقول على لسان شيخهم الأكبر: أوصيك كما أوصي نفسي... من هذي الثورة فلنحذر...  
يا قوم... نيران الثورة تتأجج...

- 2- بيان مدى الاضطراب والتشتت الذهني من قبل قادة لنظام السابق، مع العجز عن احتواء الموقف والحد من المواقب والمسيرات، وهو مفهوم ضمنا من خلال الحوار كله، وصرح به على لسان شيخهم الأكبر إذ يقول: ليلي ونهاري في حيره.... أكرهها والله السيره  
فالشعب المارق يتمرد.... ومسيرة من بعد مسيره  
وقوله: اتصلوا بالرجل السحري..... يوجد حلا للأمر.....
- 3- فضح أساليبهم التي لم يكن لها حدود في قمع الثوار، فهم يتشاورون مجتمعين لإيقاف الثورة بكافة الطرق، بدءاً بالعود بانفراج الغمة ووصول الدعم، ثم التهديد والوعيد، ثم ممارسة القمع إذ يختتمها بقوله: اعتقلوا كل الثوار..... واحترسوا فالعام كبيس
- 4- يختتم الشاعر المشهد كله في الفصل الأول، تلخيصا لهذه المهازل كلها، قائلا:  
أحيانا تبلى بالمرض.... أو تبلى فقدا للولد....  
أما مشكلتي في بلدي.... فبلاء في شكل رئيس  
وقد اتسم هذا التركيب الأسلوبى الختامي بالجمع بين القوة والمفاجأة والسخرية، ذلك الأسلوب الساخر الذي تجلى في عدد من التعبيرات في الفصل الأول من فصول الثورة، فقلل من حجم الظالم، وبين تخبطه وعجزه، مما أسهم في التنفيس عن آهات المتلقي من الظلم المعاش، وخفف احتقان النفوس مما مورس ضدها من صور البطش. كذلك فإن بعض رمزيات السخرية يفسرها السياق الثقافي السابق ولا تتضح من خلال السياق اللغوي وحده.

أذكروني إن غرستم شتلة  
يوم يؤتي غرُسُكم حلو الثمارُ  
قد كنت كالجمر الذي لا ينطفئُ  
متفرد كالنجم في وضح النهارُ  
مزقت كل مخاوفي .. حطمتها  
وخرجت كالطوفان والإعصارُ  
ورسمت أحلامي على تلك  
الحوائط  
فاحفظوا ما قد رسمت على  
الجدارُ  
ورسمتُ مقلة من أحب ودمعة  
فامسحوها إن مررتم بالديارُ  
فاضلت بين محبة ومحبة  
وكلاهما نفس الخيار  
فإما أن أموت بسهم لحظك  
وإما أن أموت على الجدارُ  
فاخترت أن أمضي لكي يحيا  
الوطن  
من أجل بسمتها وأطفال صغارُ  
إن تقتلوني قد قتلتم واحدا  
ألف سيكمل ذاته المشوارُ

وطني يناديني ألا يا منجدي  
أهديته روعي وكان لزاما  
xxx  
ماكنت أبغيه الرحيل  
ماكنت أنويه الفراق  
أحلامنا كانت كنييل  
ودماؤنا أضحت تراق  
والدرب أحيانا طويل  
والحب أبلغه العناق  
فالروح للوطن العليل  
حق وإن شقَّ المذاق  
أتراه يذكرني الجميل  
أتراه محبوبي يُشاق  
ولوصلهم هل من سبيل؟  
أشتاقهم كل الرفاق  
لكن وعدا قد قُطع  
وبيننا كان اتفاق  
xxx  
فاذكروني إن تحقق انتصار  
واذكروني إن بدأت في العمارُ

الفصل الثاني:  
من جبُّ قد خرج الماردُ  
فالثورة تحتاج لقائدُ  
سأقوم بإعداد الخطة  
يا جمهور الشعب الصامد.....  
xxx  
قمع قد جابه إصرارُ  
من يوقف زحف الثوار  
فوقود الثورة من دمنا  
وشهيد قد كان النارُ  
إن متُّ فقد كان قضاءُ  
سيواصل غيري المشوار.....  
xxx  
قد كنت في صدر المحبِّ علامة  
فعلام هذا العشق يقتلني علام؟  
قلدتني بالموت حين قتلتنني  
فالموت أحيانا يكون وساما  
برصاصة خرقت فؤادي...  
لم أمت..  
فالموت أن تحيا بدون كرامه

## الفصل الثاني:

وهو في مجمله عدد من المقاطع، تجسّد في عمومها قوة الثورة، وقيم الشهادة، آمال الثوار والامهم، عشق الوطن، ويصل الشاعر إلى تجسيد تلك المعاني من خلال تراكيب تتسم بفنية عالية مشبعة بمعاني القوة في هذه الثورة وصلابة الثوار، عبر رمزية بديعة، ومن ذلك قوله:

×(من جبُّ قد خرج المارد)

×فوقود الثورة من دمنا.... وشهيد قد كان النار

×قلدتني بالموت حين قتلتنني.... فالموت أحيانا يكون وساما

×برصاصة خرقت فؤاد... لم أمت.....فالموت أن تحيا بدون كرامة

×مزقت كل مخاوفي حطمتها..... وخرجت كالطوفان والإعصار

ثم يأتي الشاعر - كما في كثير من عرضه - لينفث روح القوة والتأثير في إيصال المعنى من خلال إجراء الحديث على لسان غيره، وهنا يأتي حديثه على لسان الشهيد، مرسخا معاني الفداء لأجل الوطن، وأن قتل واحد يثبت ألفا، وأجمل ما تصوره هذه الأبيات آمال الثوار ويقينهم بالنصر، وما أروع ذلك

حينما يأتي وصية من شهيد، يقول معد:  
 فاذكروني إن تحقق انتصار... واذكروني إن بدأت في العمار  
 اذكروني إن غرستم شتلة... يوم يوتي غرسكم حلو الثمار  
 أبرز "معد" جماليات هذا الفصل أيضا بالتلميح للجداريات التي عبرت فيها الرسوم عن وجدان  
 الثوار، تاريخ نضالهم، مطالبهم، آمالهم، آلامهم.  
 ورسمت أحلامي على تلك الحوائط... فاحفظوا ما قد رسمت على الجدار  
 ليختم هذا الفصل مؤكدا استمرار الثورة:  
 إن تقتلوني قد قتلتم واحدا  
 ألف سيكمل بعده المشوار

الفصل الثالث..	بالقرآن وبالإنجيل	فصل أخير
يوم أكد صحوة جيل يوم السادس من أبريل امتزجت كل الألوان والمشهد قد كان جميل أصوات الشهداء تنادي أرواح مثل القنديل فاختلط الحزن بيسمتنا والدمعة في الخد تسيل أقسمنا نكمل ما بدأوا	كهل يطرب بالألحان طفل يلعب بالألوان فاتنة ترقص وتغني تحمل أعلام السودان لم يعجبهم ذاك المنظر كل في الساحة إخوان يا دولة في داخل دوله قد فُضت وانتهت الجوله كنا نعلم منذ البدء أن طريق النصر طويل	توقيعنا كان الختام والوضع أفضل ما يرام فلهيب ثورتهم طفئ والشعب قد ألف المنام والله... لن ننسى الوعد... والثورة لم تبدأ بعد ويقيننا يحو الظنون إن الشوارع لا تخون

### الفصل الثالث:

1- رسم الشاعر لوحة الاعتصام يوم السقوط، لوحة زاهية الألوان عذبة الألحان، روعتها من جموع  
 الثوار على اختلافهم وتباينهم، ليخلد هذه الصورة فتأخذ الكلمات قوتها وتعمق عند كل من حضر  
 الموقف أو سمع به، تتجلى في هذا المقطع نغمية إيقاعية تناسب الغرض خفة وطربا، وفيها:  
 أ/ قوة التعبير (صحوة جيل)

ب/ الدلالات الزمانية: السادس من إبريل والدلالات المكانية: الساحة  
 ج/ تحريك الوجدان من خلال التناوب على استنفار حاستي البصر والسمع:  
 امتزجت كل الألوان... والمشهد قد كان جميل  
 أصوات الشهداء تنادي... أرواح مثل القنديل

كهل يطرب بالأحان... طفل يلعب بالألوان.....فاتنة ترقص وتغني...تحمل أعلام السودان  
2-عاد معد للحديث عن أعداء الثورة بصيغة الغائب المبعد، إذ هو غير مرغوب في ذكره، متجنباً  
التصريح: لم يعجبهم ذاك المنظر.....كل في الساحة إخوان  
3- يختم الشاعر أبيات فصول الثورة بقسم أن عهدهم مع الوطن سيظل باق، لا يحجمه توقيع ولا  
اتفاق، رقباء على الثورة، فالشعب الذي قام أولاً رافضاً كل ما ينافي الوطنية سيظل موفياً بعهد، ولن  
يخون، وذلك رداً على من ظن أن لهيب الثورة سينطفئ:

ويقيننا يحو الظنون...إن الشوارع لا تخون  
”فصول الثورة“ قصيدة كاللوح الفنية متعددة الملامح متكاملة منسجمة في مجملها، معبرة أما تعبير  
عما يجيش به صدر الشعب الثائر، مخددة لتفاصيل دقيقة بمصطلحاتها وبرمزيتها، وبرسمها لصور  
حقيقية كانت على مرأى ومسمع المجتمع اللغوي كله، ومن هنا ترسخ الصدق الفني الذي جعل  
قصائد ”معد“ مؤرخاً عالي الجودة في هذه المرحلة.

القيم التي بثها ”معد“ في شعره:  
عشق الوطن وبذل الغالي والنفيس من أجله، بل بذل الروح، وإعلاء قيمة الشهادة والشهداء.  
رفض الظلم، والثورة عليه هو في حد ذاته انتصار.

الصبر المقرون بالتفاؤل واليقين بالنصر.

القيم العليا هي الأولى بالاهتمام والانشغال بها.

السمات الأسلوبية الفنية في شعر ”معد“:

أولاً: الاقتباسات من القرآن الكريم والحديث النبوي:

1-”والعسر بعد العسر بات ميسيراً“: اقتباساً من قوله تعالى في سورة الشرح: ”فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)“

2- لم يستطع حمل الهموم وأضاره حجم الكدر

فدعا مناج ربه يارب مسيني الضرر

اقتباساً من قوله تعالى في سورة الأنبياء: ( وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ)

3- فانزعوا عني ثيابي ..... وأرموا على وطني القميص ... كي يرد له البصر  
اقتباساً من قوله تعالى في سورة يوسف: ”أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا.. (93)“

4- للفجر كنا كالنواهٍ ولكل مرء ما نوى

اقتباساً من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ”إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى....“16

ثانياً: تناول الشاعر للشخصيات:

يمكننا أن نقول: إن إشارات معد للشخصيات كانت رمزا، لأغرض دلالية تتجاوز مجرد الإشارة  
لشخصية ما دون غيرها، ويمكن عرض ماورد في شعره كله سواء أكان تصريحاً باسم علم: كأيوب

١٦ أخرجه البخاري «باب بدء الوحي» رقم [١] باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى.  
راوي الحديث: عمر بن الخطاب.

ويحيى عليهما السلام، أو ضمنا: كيوسف عليه السلام، أو كان إشارة لجنس عام شاملا أفراده: كالشهيد وأم الشهيد، أو كان كناية عن أشخاص تجنّب ذكرهم ترفعا. وفيما يلي بيانه:

أيوب عليه السلام: وقد ذكره معد في قصائده لترسيخ معنى الصير الذي ينتج خيرا ويعقبه فرج، يقول: يا صبر أيوب ألا نبأتني × أيعود بستانني ويرجع أخضرا

وفي قصيدة أخرى يقول: إن كان شعبي أنبياء... عقدان أيوب صبر يحيى عليه السلام: وهو رمز لتعويض الأم التي بلغت المشيب وقلبها معلق بالابن، فجعل الشاعر

جموع الشعب لأم الشهيد بمثابة "يحيى". ويستوحي في هذا المشهد قصة سيدنا يحيى عليه السلام، "إذ إن سيدنا يحيى عليه السلام جاء بشارة لوالدته بعدما يئست؛ لبلوغها من الكبر عتيا، وكذا أم

الشهيد يعوضها الله عز وجل بأبناء وهم "جموع الشعب السوداني"، والسباق اللغوي الدال على المعنى قوله: إن كنت تركتك في شيبك<sup>17</sup> × فجموع الشعب لك "يحيى

يوسف عليه السلام: لم يصرح الشاعر باسمه، وإنما نقل حديث يوسف عندما أعطى لإخوته قميصه ليلقوه على وجه أبيه (يعقوب عليه السلام) فارتد بصيرا، مرسخا معنى قوة انتمائه لوطنه وتضحيته

من أجله بقوله: سأموت في عشق الوطن

فانزعوا عني ثيابي.... وارموا على وطني القميص

لكي يردّ له البصر

الشهيد وأم الشهيد: هو وسم لكل من بذل روحه فداء لوطنه إيمانا بقضيته، دون تصريح أو تلميح لواحد دون آخر، عبر "معد" عن قضايا كل الشهداء وقناعاتهم وآمالهم على لسان الشهيد

نفسه، مرسخا القيم العليا التي تجمعهم. أما أم الشهيد فهي الأم المكلمة الموجودة، والمسلمة الراضية، والمؤمنة بعظمة قضية ابنها الشهيد لأنها قضية الوطن.

كنى الشاعر عن رموز النظام السابق ولم يصرح، مستعينا بأدوات السخرية والتهكم، دون أن ينزلق إلى ما ينبو عن الذوق الرفيع، ومن الكنايات ما تتسع دلالاته ومنها ما تتحدد مؤشرات له واحد

دون غيره وفق سياقات غير لغوية، لا يدرکها إلا من يدرک كنه الكناية وسببها، والكنايات هي: أ/ "شيخهم الأكبر". ب/ الرجل السحري. ج/ مخترع لدفاع النظر

ثالثا: تعدد أساليبه في التعبير عن مظاهر القمع الظالم :

اتخذ شاعرنا "معد" للتعبير عن مظاهر القمع ومدى الظلم أساليب متعددة:

1- التصريح، وقد كان في أوائل قصائده، معبرا بألفاظ صريحة، منها: "دما هدر" "يستمرئون فجورهم" إذ يقول: لم يسمعوا صوت الحشود...؟؟...أو لم يروا دما هدر؟؟

يستمرئون فجورهم وكأنهم... من دون سمع أو بصر

2- إلهاب مشاعر المتلقي من خلال إشراكه في الألم النفسي لنتائج القمع والقتل، كما في قصيدة "أم الشهيد"، والانصراف التام عن التعرض للسبب لعظم القضية.

3- عرض أساليب القمع على لسان القامعين، مما يعطي المتلقي شعور الاستخفاف والتقليل من أهميتها لدى الثوار فطوفانهم لن يقف، كذلك يعبر عنها الشاعر بتراكيب جمالية، عرضها بأسلوب تهكمي

١٧ هذا التفسير على لسان الشاعر «معد» نفسه.

ساخر موغل في الرمزية، تكتمل صورته وملامحه بالسياق الثقافي وسياق الموقف، فيقول:

واستوصوا خيرا بالجار.... إختكم في دولة بري  
وذلك إشارة إلى ما كان يمارس من بطش سافر ضد أهالي منطقة بري، التي أطلق عليها الشاعر "دولة بري".

إيقاف فوري للفيس..... أسبوع من دون خميس  
اعتقلوا كل الثوار.... واحترسوا فالعام كبس  
وفيه يشير الشاعر إلى قطع "النت" تعسفا، وإلى المواكب والمسيرات التي قرر الثوار قيامها في الساعة الواحدة ظهرا كل خميس، والتي كان يعدّ لقمعها وإخمادها إعدادا بجميع الأساليب.

رابعا: قوة ختام القصائد:

تتسم ختام قصائد "معد" بفخامة اللفظ وقوة الأسلوب، حاملة قيما عالية، وقد برز ذلك في الأبيات التي ختم بها الفصول في قصيدته الأخيرة.

خامسا: التكرار:

دارت قصائد "معد" حول أفكار ومعان حاول ترسيخها من خلال تكرارها في قوالب لفظية متعددة، وأساليب متنوعة. كذلك قصد الشاعر إلى تكرار الألفاظ داخل القصيدة مؤكدا بها المعنى ومثيرة الحماس، خاصة وأنها قصائد مسموعة يتلقاها السامع شفاهة من شاعرها، وهي سمة ملاحظة في قصائده، ومن ذلك قوله في قصيدة "يا صبر أيوب": "أيعود بستاني ويرجع أخضرا.... أيعود بستاني ويرجع مزهرا"

ومنه قوله في قصيدة أم الشهيد: "خذ من سنيني ما تشاء..... خذ أنت عمري والدّماء.... خذ مني عمري كله..."

وقوله: "فاذكروني إن تحقق انتصار... واذكروني إن بدأت في العمار... واذكروني إن غرستم شتلة"  
سادسا: الأساليب الإنشائية:

وظف الشاعر الإنشاء الطلبي وغير الطلبي بفنية عالية، وكان من أهم ما تميّز به اعتماد هذه الأساليب على الإلقاء الصوتي، ومما لوحظ في قصائده استخدامه أسلوب الاستفهام دون أداة استفهام<sup>18</sup>، معتمدا على التنغيم الصوتي، والسياق اللغوي الحواري، وذلك في قوله: "هم؟ هم قالوا اصبروا" وقوله: "لم يسمعوا صوت الحشود؟... ألم يروا دما هدر؟"

ولعنا ختما نستطيع أن نقول: إن جذوة الثورة الصادقة تشري اللغة وتشري البحث اللغوي بفروعه المختلفة، وإن الأدب الراقي جدير بالدرس وتسليط الضوء عليه، والعمل على دراسته ورعاية أدبائه، فإن وجد الأدب الثوري الراقي من شباب مخاطبا وجدان الشباب في وطنيتهم، معبرا عن أفراحهم وتضحياتهم لأجل قيمة سامية هي الوطن - فمثل هذا الأدب هو الأجدر بالدرس والنشر والذيع.

١٨ الاستفهام بغير أداة هو أسلوب غير شائع، ولا يجد حظه بين مباحث الاستفهام في الكتب، إلا أنه أسلوب مستخدم رصين في اللغة الحوارية، ومنه ما رواه الترمذي (رقم: ٢٦١٩) في حديث طويل عن معاذ بن جبل قال يحيى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فأخذ بلسانه وقال: «كف عليك هذا» قلت: يا نبي الله، وأنا لمؤاخذون على ما نتكلم به؟...»

## النتائج والتوصيات:

- 1- كل مصطلح أو إنتاج لغوي أنتجه المجتمع اللغوي هو موضوع دراسة لغوية وفق المناهج العلمية للدرس اللغوي والأدبي، وتعد وسائل التواصل الاجتماعي مصدرا هاما للمادة اللغوية.
- 2- يمتاز الأدب بسمتي الخلود والتخليد؛ لذا فإن شعر الثورة يعدّ أصدق توثيق وأدقّ مُدوّن للأحداث والمشاعر بظلالها وعمقها، وهو ما يعجز عن تدوينه المؤرخون. كما يعدّ سجلا حافظاً للتغيرات المجتمعية، والسياسية في الدولة السودانية في أثناء ثورة شعبها.
- 3- ما أنتجته الثورة من مصطلحات وأشعار وهتافات - عامية كانت أو فصيحة - يعدّ ذا تأثير بالغ على لغة المجتمع، ولا يمكن إنكاره أو التقليل من أهميته، خاصة على قطاع الشباب الثوار صانعي الثورة، وعليه يعظم دور الأدب الراقي الفصيح ومسئوليته في ترقية المجتمع لغة وفكرا.
- 4- شعر معد شعرٌ راق مهذب؛ يسمو بالمجتمع فكرا ولفظا ومعنى، ويخلو من الألفاظ الجارحة أو النابية، على الرغم من أنه يعبر عن فترة صراعٍ ثوري جُوبه بأنواع القمع السافر.
- 5- استطاع معد أن يبرز القيم الإيجابية في الثورة في شعرٍ راق رفيع، رافعا قدر الشعب الثائر، مدعما قيمة عشق الوطن، والتضحية بالروح من أجله، مؤكدا أن الشهيد نبت يولد ألف ألف ثائر وناثر.
- 6- تجنب شاعرنا التصريح عن مكونات النظام السابق، انشغالا بالقضايا العظيمة، ولجأ إلى الإشارة إليهم بصيغة الغائب المجهول. مستعينا بضمائر الغيبة، والكنيات المفعمة بالتهكم والسخرية، وبلغ قمته في قصيدة "أم الشهيد" فلم يورد لهم ذكرا، انشغالا بعظم قضية الشهيد.
- 7- أبرز معد مثالب قرارات القمع في بعض عبارات معانيها تنجلي من خلال السياق الثقافي لخلفيات الأحداث، والتي هي حاضرة حضورا فعليا عند شباب الثورة: كما في قوله: "واستوصوا خيرا بالجار..." وما بعدها.
- 8- الدلالات العميقة لعدد من التراكيب البنائية تتحدد من خلال السياقات الثقافية والاجتماعية والحالية، ولا يفني السياق اللفظي وحده إلا بجزء من المعنى.
- 9- في لقطات متعددة أرسل شاعرنا فكرته على لسان متكلم آخر، كما في "أم الشهيد، أو الشهيد نفسه، وكذلك قادة النظام السابق": مما أسهم في تعميق المعاني، ومساعدة المتلقي على التعايش مع الفكرة، كأنما هي أحداث مسرحية، تراها العين كما تسمع الأذن حوارها.

## التوصيات:

- 1- رعاية الأدباء والشعراء الموهوبين خاصة من فئة الشباب رعاية أدبية وعلمية لصقل مواهبهم، وتدوين إنتاجهم، وإخضاع إنتاجهم للسلامة النحوية والصرفية وضوابط اللغة السليمة.
- 2- نشر أدب الثورة الراقي لترقية الأداء والسمو بالذوق اللغوي لدى المجتمع اللغوي عامة والشباب خاصة، من خلال الاهتمام باحتياجاتهم وقضاياهم.
- 3- تبني الجامعات والجهات العلمية لمسابقات أدبية في قضايا حية تمس واقع الشباب، وتعبر عن وجدانهم.

## المصادر والمراجع

- ١- ويكيبيديا
- ٢- مفهوم الأدب في النظرية الأدبية الحديثة - إيمان صديق - مجلة أعلام الثقافية - ٢٩١٧م
- ٣- ويكيبيديا
- ٤- المعجم الوسيط - ص ٢٣
- ٥- خصام ونقد - طه حسين - مؤسسة هنداوي - ص ٩٠
- ٦- معنى الثورة - جورج حنا- دار الطباعة بيروت - ص ٥٠
- ٧- أدب الثورة - تقوى سعدان
- ٨- خصام ونقد - طه حسين - ص ٩٥
- ٩- الثورات الهربية في الخمسينيات وما بعدها -
- ١٠- ويكيبيديا
- ١١- أدب الثورة بين خيال المبدع وحقيقة الأحداث - نهلة نمر
- ١٢- معد شيخون - لقاء مباشر - ٢٠١٩/١٢/١٩